بداية الهداية

للإمام الغزالي

رضي الله عنه

دار المنهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية الهداية

تأليف

الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين

زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

الطوسي الطابراني الشافعي

رضي الله عنه

(٤٥٠-٥٠٥هـ)

تشرف بخدمته والعناية به

اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

الإصدار الثاني ـ الطبعة الثالثة
١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٤م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب : بداية الهداية

المؤلف : الإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

موضوع الكتاب : فقه شافعي ، أخلاق
قياس الكتاب : (٢٢ سم)
تصنيف ديوي الموضوعي : (٢١٧٫٣)
عدد المجلدات : (١)

عدد الصفحات : (٢٤٠ صفحة)
نوع الورق : شاموا فاخر
نوع التجليد : مجلَّد كرتوناج
عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأيّ شكلٍ من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي سابقٍ من الناشر .

الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 82 - 9

دار المنهاج

لبنان ـ بيروت

هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الشَّرَفية ـ شارع الملك فهد (الستين) ـ بجوار عماير الإسكان

هاتف رئيسي 6326666 12 00966

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو اتحاد الناشرين العرب

عضو جمعية الناشرين السعوديين

عضو نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

مكتبة جرير بجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
هاتف عام 920000089

جدة
مكتبة دار كنوز المعرفة
هاتف 0126570628 . 0126510421

جدة
مكتبة الشنقيطي
هاتف 0126893638 . 0504395716

مكة المكرمة
مكتبة الأسدي
هاتف 0125570506 . 0125273037

المدينة المنورة
مكتبة الزمان
هاتف 0148366666 . فاكس 0148383226

المدينة المنورة
مكتبة دار النصيحة
هاتف 0534499801

الدمام
مكتبة المتنبي
هاتف 0138344946 . فاكس 0138432794

الرياض
دار التدمرية
هاتف 0114459993 . فاكس 0114937130

خميس مشيط
مكتبة الغريب
هاتف 0172273134 . جوال 0530433638

لدينا خدمة توصيل داخل المملكة وخارجها

كتابك إلى بابك

dar_alminhaj

@dar_alminhaj

@daralminhaj

+966 12 6326666

رابط المتجر الإلكتروني

الموزّعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت

هاتف 417130 ـ فاكس 418130

جمهورية مصر العربية

دار السلام ـ القاهرة

هاتف 22741578 ـ فاكس 22741750

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس ـ عمّان

هاتف 4653390 ـ فاكس 4653380

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي

هاتف 5593007 ـ فاكس 5593027

الجمهورية العربية السورية

دار السنابل ـ دمشق

هاتف 0988156620 ـ فاكس 2237960

دولة الكويت

مكتبة دار البيان ـ حَوَلّي

تلفاكس 22616490 ـ جوال 99521001

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق ـ المنامة

هاتف 17272204 ـ فاكس 17256936

مكتبة الريان ـ المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم ـ بيروت

هاتف 785107 ـ فاكس 786230

مكتبة التمام ـ بيروت

هاتف 01707039 ـ جوال 03662783

جمهورية العراق

مكتبة الوراقين ـ صلاح الدين

هاتف 07706311103 ـ 07800442414

دولة قطر

مكتبة الثقافة ـ الدوحة

هاتف 44421132 ـ فاكس 44421131

سلطنة عمان

مكتبة روازن ـ مسقط

جوال 0096891609993

جمهورية الجزائر

دار المشرق والمغرب ـ الجزائر

هاتف 0780380501 ـ 0559380141

المملكة المغربية

دار الأمان ـ الرباط

هاتف 0537723276 ـ فاكس 0537200055

الدار العالمية ـ الدار البيضاء

هاتف 052282882 ـ فاكس 052283354

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

دار العلوم ـ مقديشو

جوال 00252615573951

فلسطين

مكتبة دنديس ـ الضفة الغربية

هاتف 0097022225174

ليبيا

الدار الأسمرية ـ زليتن

واتس 00218925540836

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية ـ سورابايا

هاتف 0062313522971

جوال 00620811821227

ماليزيا

مكتبة نوء كنالي ـ كوالا لمبور

هاتف 00601111764722

بنغلادش

مكتبة الحسن ـ دكا

هاتف 008801675399119

جمهورية جنوب أفريقيا

دار الإمام البخاري ـ بينوني

هاتف 0027114210824

جمهورية داغستان

مكتبة دار الرسالة ـ محج قلعة

هاتف 0079285708188

مكتبة نور الإسلام ـ محج قلعة

هاتف 0079882124001

باكستان

مكتبة المدينة العربية ـ كراتشي

جوال 00923102864568

مكتبة المدينة العربية ـ لاهور

جوال 00923218188780

مكتبة زمزم ـ كراتشي

هاتف 00922132721817

الهند

مكتبة الشباب العلمية ـ لكنو

هاتف 00919198621671

مكتبة المدينة العربية ـ مومباي

جوال 00917400262692

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد ـ إستانبول

هاتف 02126381633. فاكس 02126381700

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الإمام الشافعي ـ جورجيا

هاتف 0017036723653

أستراليا

المكتبة الإسلامية

هاتف 0061297584040

إنكلترا

دار مكة العالمية ـ برمنجهام

جوال 07533177345. فاكس 01217723600

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا ـ باريس

هاتف 0148052928. فاكس 0148052997

جميع إصداراتنا متوافرة على

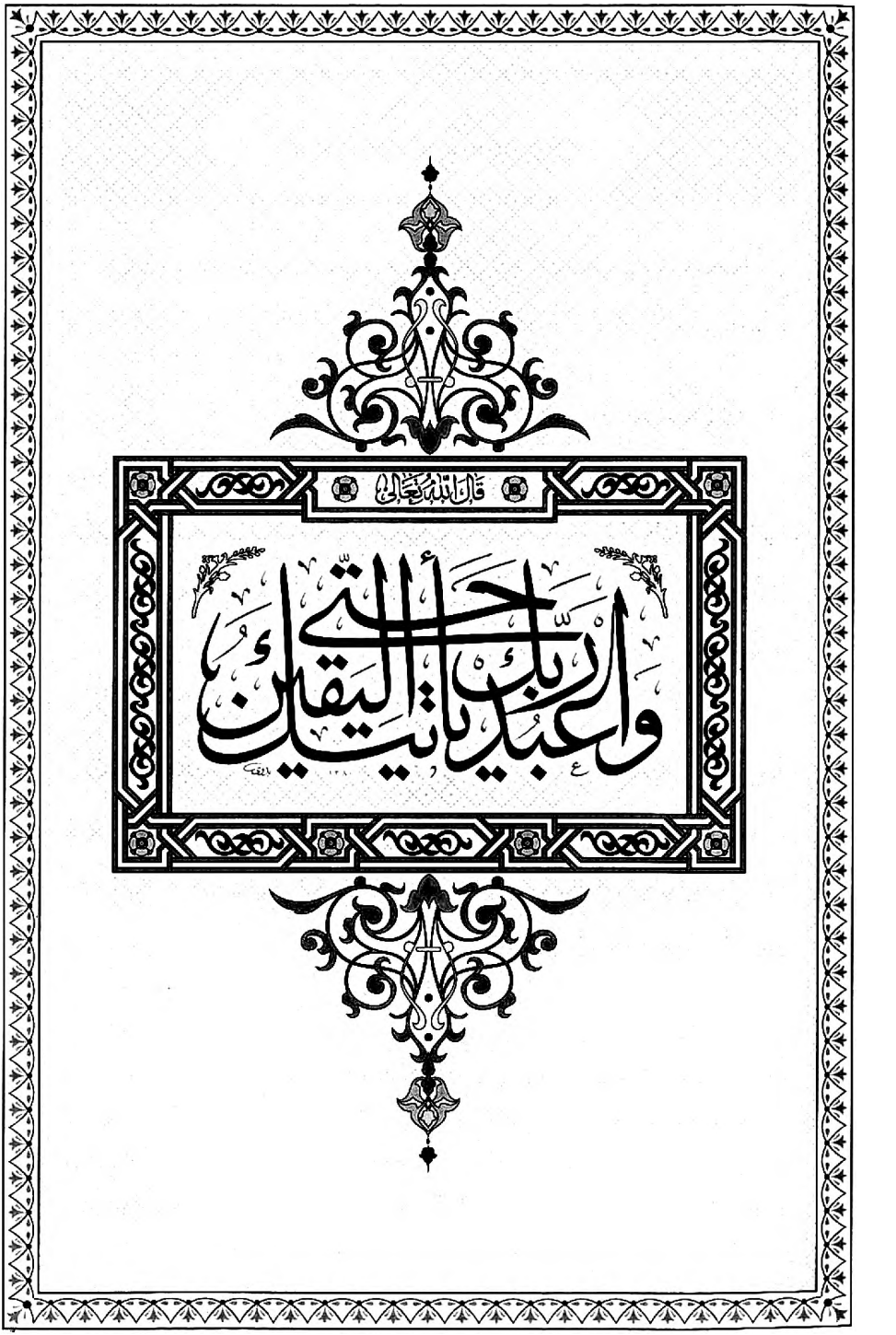
قال الله تعالى
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

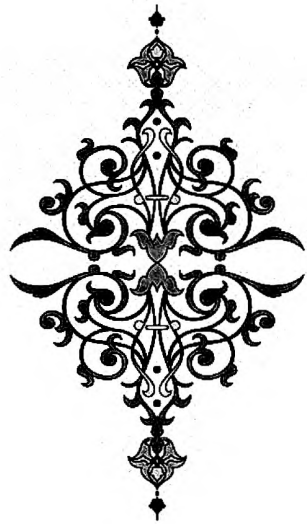

بين يدي الكتاب

الحمدُ للهِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدِنا رسولِ اللهِ ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ والاهُ .

أما بعد :

فإنَّ « بدايةَ الهدايةِ » اسمٌ طابقَ مُسمَّاهُ ، ومَشعَلٌ يُنيرُ الدَّربَ للسَّالكِ الأوَّاهِ ، جَنَاهُ دانٍ للمُقتطِفينَ ، ومَنهلُهُ عَذْبٌ سائغٌ للمُتعطِّشينَ ، تَتفجَّرُ مِنْ نصوصِهِ ينابيعُ الخيرِ ، وتَصُبُّ مُزْنَةُ حِكَمِهِ في أوديةِ الاستقامةِ .

كيف لا ، ومُحبِّرُ طروسِهِ الإمامُ حُجَّةُ الإسلامِ ، ونِبراسُ الأعلامِ : أبو حامدٍ الغزاليُّ ، الذي انعقدَتِ الخناصرُ علىٰ عُلوِّ كعبِهِ ، وأشارَتْ أعينُ الفضلِ إلىٰ تقدُّمِهِ في المعارفِ ، فأحيا اللهُ بهِ علومَ الدِّينِ ، وتهاوتْ أمامَ تحريراتِهِ شُبَهُ الفلاسفةِ ، ورَدَّ اللهُ بهِ الزَّنادقةَ علىٰ أعقابِهِم خاسئينَ ؟![1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) قال الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٩/٣٣٥) : (قال ابنُ النجار : أبو حامد : إمامُ الفقهاء على الإطلاق ، وربَّانيُّ الأمة بالاتفاق ، ومجتهدُ زمانه ، وعينُ أوانه ، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وفهِمَ كلامهم ، وتصدَّىٰ للردِّ عليهم ، وكان شديدَ الذكاء ، قويَّ الإدراك ، ذا فطنة ثاقبة ، وغوص على المعاني) . وانظر « ذيل تاريخ بغداد » (٢١/٢٧) .

وهٰذا الكتابُ علىٰ صِغَرِ حجمِهِ : جَمُّ الفوائدِ ، كثيرُ العوائدِ ، عظيمُ النَّفعِ ، مُباركُ المُحتوىٰ ، ينبعثُ منهُ شذى الإلهامِ الرَّبّانيِّ ، وتُشِعُّ سطورُهُ بنورِ الإخلاصِ .

لذٰلكَ : كانَ هٰذا الكتابُ رفيقَ المُبتدِئينَ ، وسميرَ المُوفَّقينَ ، ومُرشِدَ الطَّالبينَ ؛ لأنَّ فيهِ أُسسَ البداياتِ التي تَشُدُّ القارئَ إلىٰ رياضِهِ حينَ يضيءُ مِصباحُ التَّوفيقِ .

❁ ❁ ❁

فلا غَرْوَ أن رأينا الكتابَ قد شَرَّقَ وغَرَّبَ ، وأَنجدَ وأَتهمَ ، ولا غرابةَ أن رأينا تزاحمَ أقلامِ العلماءِ علىٰ مائدةِ متنِهِ ، وهي مُعنِقةٌ إلىٰ تِبيانِ معانيهِ ، وإبرازِ فوائدِهِ .

فمَلَكَةُ الإبداعِ في التَّصنيفِ لم يَفُزْ بها إلَّا ثُلَّةٌ مِنْ أولٰئكَ الصَّفوةِ .

وكانَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ هوَ المُجَلِّيَ في هٰذا الميدانِ ، وهوَ فارسَ البيانِ ، والسَّابقَ للأقرانِ .

كما قالَ الإمامُ فخرُ الدِّينِ الرازيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (كأنَّ اللهَ جمعَ العلومَ في قُبَّةٍ وأطلعَ الغزاليَّ عليها)[1] .

❁ ❁ ❁

ويَحسُنُ بنا هنا أن نشيرَ إلىٰ أمرٍ حُمِلَ علىٰ غيرِ مَحمِلِهِ ، وفُهِمَ

---

(١) أورده الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١/٢٧٦) .

علىٰ غيرِ معناهُ ؛ وهوَ قولُ حُجَّةِ الإسلامِ الإمامِ الغزاليِّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (إنَّ بضاعتي مُزجاةٌ في عِلْمِ الحديثِ)[1] .

هٰذهِ العبارةُ وُجِّهَتْ مِنْ قِبَلِ بعضِهِم توجيهاً يُقصَدُ منهُ التَّنقيصُ مِنْ قَدْرِ هٰذا الإمامِ العظيمِ .

والحقيقةُ : أنَّ هٰذهِ الكلمةَ قد قالَها الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ بابِ التَّواضعِ .

ومَنْ مِنَ الأئمَّةِ قالَ : إنَّ بضاعتَهُ كاملةٌ في عِلْمِ الحديثِ ؟!

بل مَنْ يَجرُؤُ علىٰ قولِ ذٰلكَ ؟!

إنَّنا إذا قرأنا سيرةَ هٰؤلاءِ الرِّجالِ الأفذاذِ . . نَجِدُ فيها قِمَّةَ الأدبِ معَ اللهِ جلَّ جلالُهُ ، وكمالَ التَّبري مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ ، والتَّمثُّلَ الكاملَ لحقيقةِ الفقرِ إليهِ سبحانَهُ .

كما نَجِدُ فيها الاستشعارَ التامَّ لمعنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ .

فبهٰذا ومثلِهِ وصلوا إلىٰ ما وصلوا إليهِ .

والإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مثالٌ كبيرٌ لِمَا سبقَ .

وكلَّما عرفَ الإنسانُ ربَّه جلَّ جلالُهُ ، وزادَ تعظيمُهُ لهُ . . ازداد احتقاراً لنفسِهِ وانتقاصاً لها .

---

(١) قانون التأويل (ص ٣٠) .

وكلَّما خاضَ في العِلْمِ وتَوسَّعَ فيهِ . . ازدادَ استصغاراً لعِلْمِهِ ، كما قالَ الإمامُ الشّافعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[1] : (من مجزوء الرمل)

كُـلَّـمَـا أَدَّبَـنِـي ٱلـدَّهْـ ـرُ أَرَانِـي نَـقْـصَ عَـقْـلِـي

وَإِذَا مَـا ٱزْدَدْتُ عِـلْـمـاً زَادَنِـي عِـلْـمـاً بِـجَـهْـلِـي

ثمَّ إنَّ حُجَّةَ الإسلامِ الإمامَ الغزاليَّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ عاشَ في عصرٍ مِنْ عصورِ الإسلامِ الذهبيَّةِ ، عصرٍ مليءٍ ومشحونٍ بالرِّجالِ الفطاحلِ والأئمَّةِ المُجتهدينَ ، ومعَ ذٰلكَ فقد سَلَّمُوا لهُ القِيادَ في ذٰلكَ الزَّمانِ الذي فيهِ مَنْ فيهِ .

فما بالُنا في هٰذا الزَّمانِ الذي كَثُرَتْ فيهِ الجَرَاءةُ ، وعظُمَتْ فيهِ الرَّزيَّةُ . . ننتقدُ أمثالَ أُولٰئكَ الكبارِ ؟!

فانتقادُ أمثالِ هٰؤلاءِ يَطعُنُ بمُنتقِديهِم ، لا بهِم ، كما قالَ الأعشىٰ[2] : (من البسيط)

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْماً لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يُضِرْهَا وَأَوْهَىٰ قَرْنَهُ ٱلْوَعِلُ

وهٰذا الانتقادُ مَبعثُهُ الجهلُ المَحضُ دونَ شكٍّ ، كما قيلَ : (مَنْ قلَّ علمُهُ . . كَثُرَ انتقادُهُ) .

ثمَّ إنَّ الأُمَّةَ قد أجمعَتْ علىٰ أنَّ حُجَّةَ الإسلامِ الإمامَ الغزاليَّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ . . كانَ هوَ مُجَدِّدَ المئةِ الخامسةِ .

---

(١) أوردهما ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (١٦٧/٤) .

(٢) ديوان الأعشى الكبير (٢١٨/١) .

ومعلومٌ أنَّ المُجدِّدَ يكونُ في قِمَّةِ الهرمِ المعرفيِّ ، ولا سيَّما فيما يَتعلَّقُ بالعلومِ الشرعيَّةِ والمعارفِ النَّقليَّةِ ، فمِنَ البُعدِ بمكانٍ أن نقولَ : إنَّ الإمامَ الغزاليَّ كانَ قليلَ المعرفةِ بعلومِ الحديثِ[1] .

❀ ❀ ❀

والغزاليُّ وإن كانَ شافعيَّ المذهبِ إلَّا أنَّ الفوارقَ المَذهبيَّةَ تَضْمَحِلُّ إذا تناولَ المُؤلِّفُ أصولَ العباداتِ ، أو تَصدَّىٰ لذكرِ المَنهيِّ عنهُ شرعاً ، أو عَرَضَ علاقةَ العبدِ بخالقِهِ وبني جنسِهِ ، وهٰذهِ هيَ الخطوطُ العريضةُ لتقسيمِ مُحتوىٰ « بدايةِ الهدايةِ » .

فالأُمَّةُ الإسلاميَّةُ بمذاهبِها تَتَّفقُ في هٰذهِ الخطوطِ ، وتَجتمِعُ في مَسلَكٍ مُتَّحِدٍ .

---

(١) وللإمام تاج الدّين السبكي كلام في غاية النَّفاسة والأهميّة ، ينبع عن قاعدة عظيمة في معرفة قدر الرِّجال ومكانتهم العلميّة ، قال رحمه الله تعالىٰ في « طبقات الشَّافعيَّة » (٢٠٢/٦) : (إنَّ الذي يحب أن يطَّلع علىٰ منزلةِ مَنْ هو أعلىٰ منه في العلم . . يحتاج إلى العقل والفهم ؛ فبالعقل يميِّز ، وبالفهم يَقْضِي . ولمَّا كان علمُ الغزالي في الغاية القصوىٰ . . احتاج مَنْ يريد الاطِّلاع علىٰ مقداره فيه أن يكون هو تامَّ العقل .

وأقول : لا بُدَّ مع تمام العقل من مداناة مرتبته في العلم لمرتبة الآخَر ، وحينئذٍ فلا يَعرِف أحدٌ ممَّن جاء بعد الغزالي قدرَ الغزالي ، ولا مقدارَ علم الغزالي . . إلَّا بمقدار علمه ، أمَّا بمقدار علم الغزالي . . فلا ؛ إذ لم يجئ بعده مثله ، ثمَّ المداني له إنما يعرف قدرَه بقدر ما عنده ، لا بقدر الغزالي في نفسه .

سمعت الشَّيخ الإمام ـ يعني والدَه ـ يقول : لا يعرف قدرَ الشَّخص في العلم . . إلَّا مَن ساواه في رتبته ، وخالطه مع ذٰلك . قال : وإنَّما يعرف قدرَه بمقدار ما أوتيه هو) .

لذلك : فهذا الكتابُ مَطلَبُ كلِّ مسلمٍ ، وبُغيةُ كلِّ مُوفَّقٍ بلا استثناءٍ .

ثمَّ إنَّ الإمامَ حُجَّةَ الإسلامِ يَتميَّزُ بكونِهِ **أُستاذَ الآخِرينَ في عِلْمِ الاجتماعِ والنَّفْسِ** ، الخبيرَ بأدوائِها ، العارفَ بتقلُّباتِها ؛ فهوَ يَنطلِقُ مِنْ حكمةِ البصيرِ بتواردِ الأحوالِ على الأنفُسِ ، فيصفُ الدَّواءَ النَّاجعَ لمرضى النُّفوسِ ، ولا زالَتْ نظرياتُهُ في هذا الميدانِ تُدرَّسُ وتُبحَثُ في ديارِ المسلمينَ وغيرِهِم [1] .

وهنا أمرٌ يَحسُنُ أن نشيرَ إليهِ ؛ وهوَ أنَّ المُؤلِّفَ وضعَ برنامجاً مُيسَّراً مِنْ مُنطلَقِ معارفِهِ يُوافِقُ المَشارِبَ كلَّها ، علىٰ تنوُّعِها واختلافِها ؛ بحيثُ يَستغرِقُ هذا البرنامجُ ساعاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ ،

---

(١) قال العلامة السيد أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالىٰ في « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » (١/٢٢٣ ـ ٢٨٧) : (**لقد رُزق العالَم الإسلامي في منتصف القرن الخامس الهجري هذه الشخصية الفَذَّة ، شخصيةَ الغزالي** ، وهي شخصية فريدة ، مستقلة التفكير ، قوية التأثير ، تمتازُ بسلامة الفكر ، واتزان العقل ، وحصافة الرأي ، وعمق النظر ، والثقة بالنفس . . . وقد استحقَّ الغزالي ببحوثه العميقة في الأخلاق أن يُوضع في الصف الأوَّل من علماء الأخلاق ، وأن يكون موضع دراسة وعناية من الباحثين في علم الأخلاق ، وعلم النفس ، والمؤرخين لهذا الموضوع . . .

لا شكَّ أنَّ الغزالي من نوابغ الإسلام ، وعقوله الكبيرة ، ومن كبار قادة الفكر الإسلامي . . . ومهما قيل فيه ، وقيل عنه . . فإنَّ إخلاصه أسمىٰ من أن يُشكَّ فيه ، وإنَّ عُلُوَّ همته في جميع العلوم والنبوغَ فيها ، ثم عُلُوَّ همته في طلب الحقيقة واليقين ، ثم علوَّ همته في طلب الآخرة وتحقيق غاية الوجود . . لا يزال موضع استغراب وتقدير وإكبارٍ من الجميع ، وإنَّ ما خلَّفه من آثار وتراث علمي ثروة علمية إسلامية لا يُستهان بقيمتها ، ولا ينكر فضلها في عصرٍ من العصور) .

وكافَّةَ علاقاتِهِ معَ نفسِهِ وغيرِهِ ، وهوَ سهلُ التَّطبيقِ علىٰ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تعالىٰ .

❁ ❁ ❁

وبتوفيقٍ مِنَ المَولىٰ تَقدَّسَتْ أسماؤُهُ ، فقد عثرنا علىٰ أصلٍ أصيلٍ لهٰذا الكتابِ ، ومُستنَدٍ عزيزٍ لهُ ؛ ممَّا جعلَ إخراجَ هٰذا الكتابِ ـ الذي تكاثرَتْ طبعاتُهُ وأغلاطُهُ ـ على النَّحوِ الذي وضعَهُ مُؤلِّفُهُ .

فقد وُفِّقنا في العثورِ علىٰ مخطوطةٍ كُتِبَتْ سنةَ (٥٩٦ هـ) **بخطِّ عبدِ العزيزِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ عساكرَ** ، وهيَ قريبةٌ مِنْ عهدِ المُؤلِّفِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، وعليها بعضُ تعليقاتٍ لأعلامٍ ، ممَّا يُؤذِنُ بأنَّ هٰذهِ النُّسخةَ تداولَها العلماءُ واحتفَوا بها .

وإيغالاً في التوثيقِ : استعنَّا بنُسَخٍ مُتعدِّدةٍ مِنْ مخطوطاتِ هٰذا الكتابِ ، حتىٰ خرجَ النَّصُّ سليماً مِنْ عوادي التَّصحيفِ ، نقيّاً مِنْ شوائبِ الترقيعِ ، فلهُ سبحانَهُ الحمدُ والمِنَّةُ .

وها هي دارُ المنهاجِ تَزُفُّ إلى القُرَّاءِ الأكارمِ هٰذهِ الطبعةَ المُنقَّحةَ المُوثَّقةَ تتهادىٰ في ثوبٍ مِنَ التحقيقِ الأنيقِ ، والإخراجِ القَشيبِ .

وباللهِ التوفيقُ

جدة في (١٢) ربيع الأول (١٤٢٤هـ)

الناشر

ترجمة

الإمام المجدد، حجة الإسلام

محمد بن محمد بن محمد الغزالي

رضي الله عنه

(٤٥٠ـ٥٠٥هـ)

اسمُهُ

هوَ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ الغزاليُّ الطُّوسيُّ ، يُكنىٰ بأبي حامدٍ ، ويُلقَّبُ بحُجَّةِ الإسلامِ .

ميلادُهُ ونشأتُهُ

وُلِدَ الإمامُ الغزاليُّ سنةَ (٤٥٠ هـ) في مدينةِ طُوسَ مِنْ بلادِ خُراسانَ ، وكانَتْ في ذٰلكَ العصرِ تَزخَرُ بالعِلْمِ والعلماءِ والصُّلحاءِ .

فنشأَ في ذٰلكَ المحيطِ العلميِّ الصالحِ نشأةً صالحةً ، وكانَتْ أسرتُهُ أسرةً مُحافِظةً مُتمسِّكةً بتعاليمِ الدِّينِ الحنيفِ ؛ فقد كانَ أبوهُ رجلاً صالحاً مُحِبّاً للعِلْمِ والعلماءِ ، وكانَ لا يأكلُ إلَّا مِنْ عملِ يدِهِ ؛ فكانَ يعملُ في صناعةِ غَزْلِ الصُّوفِ ، ويَمونُ نفسَهُ وأسرتَهُ مِنْ عائدِ ذٰلكَ العملِ ، ويَحضُرُ مجالسَ العلماءِ ودروسَ الفقهِ والوعظِ ، فكانَ إذا حضرَ دروسَ الفقهِ . . سألَ اللهَ تعالىٰ أن

يَرزُقَهُ ابناً فقيهاً ، وإذا حضرَ دروسَ الوعظِ . . سألَ اللهَ تعالىٰ أن يَرزُقَهُ ابناً واعظاً ؛ فاستجابَ اللهُ دعاءَهُ ؛ فكانَ ابنُهُ محمدٌ أفقهَ أهلِ زمانِهِ ، وفارسَ ميدانِهِ ، وكانَ ابنُهُ الآخَرُ أحمدُ واعظاً بليغاً مُؤثِّراً ، اهتدىٰ بوعظِهِ الجَمُّ الغفيرُ .

وقد قضىٰ والدُهُما نحبَهُ وهما صغيرانِ ، ولمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . أوصىٰ بهِما صديقاً لهُ مِنْ أهلِ الخيرِ والصلاحِ ، وقالَ لهُ : (أريدُ استدراكَ ما فاتَني مِنَ التعلُّمِ في ولديَّ هٰذَينِ ، فعَلِّمْهُما ولا عليكَ أن تُنفِقَ في سبيلِ ذٰلكَ جميعَ ما أُخلِّفُهُ لهُما)[1] .

وقد وَفَىٰ ذٰلكَ الوصيُّ الصالحُ بالوصيةِ ؛ فقامَ بتعليمِهِما إلىٰ أن فَنِيَ المالُ الذي تركَهُ لهُما والدُهُما ، فقالَ لهُما : (اعلما أنِّي قد أنفقتُ عليكما ما كانَ لكما مِنْ والدِكما ، وأنا رجلٌ فقيرٌ مُتجرِّدٌ لا مالَ لي فأُواسيَكما بهِ ، وأَصلَحُ ما أَرىٰ لكما أن تلتحقا بمدرسةٍ ، فإنَّكما مِنْ طلبةِ العِلْمِ فتَحصُلا علىٰ مؤنتِكما منها)[2] ، فأدخلَهُما المدرسةَ ، واندرجا في سلكِ طلبةِ العِلْمِ بتلكَ المدرسةِ ، فكانَ ذٰلكَ هوَ السببَ في سعادتِهِما وعُلُوِّ درجتِهِما .

وكانَ الإمامُ الغزاليُّ يحكي ذٰلكَ ويقولُ : (طلبنا العِلْمَ لغيرِ اللهِ . . فأبى العِلْمُ إلَّا أن يكونَ للهِ)[3] .

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٩٣) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٩٣) .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٩٤) .

وكانَ نظامُ المدارسِ آنَذاكَ يقضي بأن يَكفُلَ للطالبِ حاجتَهُ مِنَ المَأكلِ والمَلبسِ والمَسكنِ ؛ تشجيعاً للعِلْمِ وأهلِهِ .

طلبُهُ للعِلْمِ

كانَتْ بدايةُ تَعلُّمِهِ على يدِ صديقِ والدِهِ الذي أوصاهُ بهِ وبأخيهِ أن يُعلِّمَهُما ، ثمَّ التحقَ بالمدرسةِ معَ أخيهِ أحمدَ ، فأخذَ فيها بنصيبٍ طَيِّبٍ مِنَ التعليمِ الأَوَّليِّ في بلدِهِ طُوسَ على الشيخِ أحمدَ بنِ محمدٍ الرَّاذَكانيِّ ، ثمَّ ارتحلَ إلىٰ مدينةِ جُرجانَ إلى الإمامِ أبي نصرٍ الإسماعيليِّ ؛ لمواصلةِ الطلبِ والاستزادةِ مِنَ العِلْمِ والمعرفةِ .

وكانَ يُدوِّنُ ما يَتلقَّاهُ مِنْ فوائدَ ونفائسَ في كراريسَ تُسمَّى (التعليقةَ) ، شأنُهُ في ذٰلكَ شأنُ الطالبِ الحريصِ الذي يُدوِّنُ العِلْمَ ويُقيِّدُهُ .

وقد حكىٰ صاحبُ الترجمةِ أنَّهُ أثناءَ عودتِهِ مِنْ جُرجانَ إلىٰ طُوسَ أخذَ اللُّصوصُ جميعَ ما معَهُ ، وانتزعوا منهُ المِخْلَاةَ التي فيها (التعليقةُ) والمُذكِّراتُ ، قالَ : (فتبعتُهُم وقلتُ : أسألُكم أن تَرُدُّوا عليَّ تعليقتي فقطْ !! فما هيَ شيءٌ تَنتفِعونَ بهِ ، فقالوا : وما هيَ تعليقتُكَ ؟ فقلتُ : كتبٌ وأوراقٌ في تلكَ المِخْلَاةِ ، هاجرتُ لسماعِها وكتابتِها ومعرفةِ عِلْمِها .

فقالوا : كيفَ تَدَّعي معرفتَها وقد غابَ عنكَ عِلْمُها لمَّا أخذناها

منكَ ؟! ثمَّ سلَّمُوها لي ، قالَ : فعددتُ ذٰلكَ موعظةً لي ، فلمَّا وصلتُ إلىٰ بلدي طُوسَ . . أقبلتُ علىٰ حفظِ جميعِ ما دَوَّنتُهُ وعَلَّقتُهُ ، وصرتُ بحيثُ لو أخذَ القُطَّاعُ تعليقتي . . لم أَتجرَّدْ مِنْ عِلْمي)[1] .

فهٰكذا كانَتْ هِمَّةُ الإمامِ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ منذُ نشأتِهِ ، وأثناءَ طلبِهِ للعِلْمِ ، وفي جميعِ مراحلِ حياتِهِ .

سفرُهُ إلىٰ نيسابورَ وأخذُهُ عن إمامِ الحرمَينِ

ثـمَّ ارتحلَ مرةً أخرىٰ في صحبةِ جماعةٍ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ ، قاصدينَ مدينةَ نيسابورَ كبرىٰ مُدُنِ خُراسانَ وأعظمَها غزارةً وعِمارةً بالعِلْمِ والعلماءِ والثقافاتِ الواسعةِ .

وهناكَ بنيسابورَ لازمَ إمامَ الحرمَينِ ، وأخذَ عنهُ ، وحفظَ القرآنَ ، وجَدَّ واجتهدَ في طلبِ العِلْمِ والمعارفِ ؛ حتىٰ بَرَعَ في الفقهِ وغيرِهِ ، وتَوسَّعَ في ذٰلكَ حتىٰ بَرَعَ في المذهبِ والخلافِ والجدلِ والأصلَينِ والمنطقِ والحكمةِ والفلسفةِ ، وأحكمَ كلَّ ذٰلكَ .

وكانَ عمرُهُ آنَذاكَ نَاهَزَ الثامنةَ والعشرينَ ، وقد أحاطَ بكلامِ أربابِ تلكَ العلومِ ، وتَصدَّىٰ للرَّدِّ علىٰ مُبطليهِم ، وإبطالِ دعاويهِم .

تفوُّقُهُ وبراعتُهُ

ولمَّا رأىٰ شيخُهُ إمامُ الحرمَينِ ما أبداهُ الغزاليُّ مِنَ التفوُّقِ الذي

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٩٥/٦) .

بَذَّ بهِ أقرانَهُ . . اختارَهُ ليكونَ مُساعِداً لهُ ؛ يلقي الدروسَ علىٰ زملائِهِ ، ويُعلِّمُهُم في غَيبةِ أستاذِهِ وفي حضورِهِ أيضاً ، وقد وصفَهُ إمامُ الحرمَينِ فقالَ : (الغزاليُّ بحرٌ مُغدِقٌ)[1] ، ولٰكنَّهُ لم يصلْ إلىٰ تلكَ الدرجةِ العاليةِ بالهُوَيْنَىٰ ، بل بعظيمِ الجِدِّ والاجتهادِ ، وتهذيبِ النفْسِ ورياضتِها .

وها هوَ يقولُ عن نفسِهِ في كتابِهِ « المنقذِ مِنَ الضَّلالِ » : (وقد كانَ التعطُّشُ إلىٰ دَرَكِ حقائقِ الأمورِ دأبي ودَيْدَني مِنْ أولِ أمري ورَيْعانِ عمري ، غريزةً وفطرةً مِنَ اللهِ وُضِعَتْ في جِبلَّتي ، لا باختياري وحيلتي)[2] .

وبعدَ وفاةِ أُستاذِهِ وشيخِهِ الأكبرِ إمامِ الحرمَينِ . . ذهبَ قاصداً الوزيرَ نظامَ المُلْكِ السلجوقيَّ ؛ فقد كانَ مجلسُهُ بالمعسكرِ بنيسابورَ مَجمَعَ أهلِ العلمِ ومَقصِدَهُم ، وملاذَهُم ومَحَطَّ رحالِهِم ؛ فناظرَ الغزاليُّ كبارَ العلماءِ في مجلسِ نظامِ المُلْكِ ، وغلبَ الخصومَ ، وظهرَ كلامُهُ عليهِم ، واعترفوا بفضلِهِ ، وتلقَّاهُ نظامُ المُلْكِ بالقَبولِ والإجلالِ والتعظيمِ كما هوَ معروفٌ عنهُ مِنْ تعظيمِ العِلْمِ والعلماءِ ، وولَّاهُ التدريسَ والإدارةَ بمدرستِهِ النظاميةِ التي أنشأَها في بغدادَ عاصمةِ الخلافةِ ، وطلبَ منهُ التوجُّهَ إلىٰ بغدادَ ليُباشِرَ مَهامَّ منصبِهِ هناكَ .

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٩٦) .

(٢) المنقذ من الضلال (ص ٤٨) .

قيامُهُ بالتدريسِ والتعليمِ في المدرسةِ النظاميةِ في بغدادَ

تلبيةً لطلبِ الوزيرِ نظامِ المُلْكِ قَدِمَ الإمامُ الغزاليُّ إلىٰ مدينةِ بغدادَ في شهرِ جمادى الأُولىٰ سنةَ (٤٨٤ هـ) ، وباشرَ مَهامَّ عملِهِ ، وقامَ بالتدريسِ في تلكَ المدرسةِ العظيمةِ ، وأَعجَبَ الناسَ غَزارةُ عِلْمِهِ وجميلُ أُسلوبِهِ ، وكمالُ فضلِهِ ، وفصاحةُ لسانِهِ ، وبلاغةُ مَنطِقِهِ ، **وأقبلوا على الأخذِ عنهُ والتعلُّمِ منهُ** ، وانتفعوا بعلومِهِ وحسنِ أدائِهِ وبديعِ أسلوبِهِ ، وصارَ بعدَ إمامةِ خُراسانَ إمامَ العراقِ .

وكانَ لهُ في قلوبِ الناسِ المكانةُ العاليةُ والمنزلةُ الرفيعةُ ، فأحبُّوهُ وأجلُّوهُ ، **وكانَ مسموعَ الكلمةِ** ، ذائعَ الصِّيتِ ، تُضرَبُ بهِ الأمثالُ ؛ فقد نشرَ العلومَ وقامَ بالفُتيا والتصنيفِ مُدَّةً طويلةً ، **وانتشرَتْ تصانيفُهُ المفيدةُ** ، وعمَّ بها النفعُ ، واشتَهَرَ بمناظراتِهِ القويَّةِ وما يقومُ بهِ مِنْ دحضٍ لِآراءِ الفلاسفةِ والمعتزلةِ والرافضةِ والباطنيةِ وغيرِهِم مِنَ الفِرَقِ الضَّالَّةِ ، **فأصبحَ بحقٍّ المُشارَ إليهِ بالبَنَانِ** ، والشخصيةَ العالميةَ الفَذَّةَ لا في عاصمةِ الخلافةِ بغدادَ والمناطقِ التابعةِ لها فحسْبُ ، بل تَجاوَزَها صِيتُهُ إلىٰ أبعدَ مِنْ ذٰلكَ ؛ فقد كانَ يستفتيهِ يوسفُ بنُ تاشفينَ صاحبُ مَرَّاكُشَ بالمغربِ ، ويطلبُ حضورَهُ إلىٰ مَرَّاكُشَ لحضورِ المراسيمِ فيَحضُرُ .

وقد بلغَ الإمامُ الغزاليُّ إلى القِمَّةِ في المكانةِ والشُّهرةِ العالميةِ والجاهِ العريضِ ؛ يَنشُرُ العلومَ ، ويقومُ بالتدريسِ في المدرسةِ

النظاميةِ ، كما يقومُ بالفُتيا لكلِّ الاستفتاءاتِ التي تَرِدُ إليهِ مِنْ شتَّى البلادِ والأصقاعِ .

ويُؤلِّفُ المُؤلَّفاتِ القيمةَ العظيمةَ ، ويُناظِرُ الفِرَقَ الضَّالَّةَ ، ويَدحَضُ حُجَجَهُم ، ويُفنِّدُ مزاعمَهُم ، ويهزمُهُم ، ويدافعُ عنِ الإسلامِ ، ويقارعُ بالحُجَجِ الدامغةِ أعداءَهُ حتىٰ عامِ (٤٨٨ هـ) .

التحوُّلُ المُفاجِئُ مِنَ الشُّهرةِ إلى العُزلةِ

بينَما كانَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في أوجِ الشُّهرةِ والمظهرِ العظيمِ وذيوعِ الصِّيتِ . . إذا بالحالِ يَتحوَّلُ فجأةً ؛ ففي منتصفِ عامِ (٤٨٨ هـ) حصلَ ذٰلكَ التحوُّلُ المُفاجِئُ في حياةِ الإمامِ الغزاليِّ ، وانقلبَ الأمرُ إلىٰ حالٍ آخَرَ ؛ **فقدِ اختارَ الإمامُ الغزاليُّ العُزلةَ** ، وتركَ التدريسَ في المدرسةِ النظاميةِ ، وسلكَ طريقَ الزهدِ والانقطاعِ عن مخالطةِ الناسِ ، فكانَ يبدو عليهِ أنَّهُ مريضٌ عليلٌ بعِلَّةٍ مجهولةٍ قدِ اعتُقِلَ مَنطِقُهُ ، وضَعُفَتْ شهيتُهُ ؛ فلا يستطيعُ الأكلَ ، ويئسَ أطباؤُهُ مِنْ شفائِهِ .

وفي أواخرِ سنةِ (٤٨٨ هـ) خرجَ مِنْ بغدادَ مُظهِراً العزمَ على السفرِ إلىٰ مكةَ المُكرَّمةِ للحجِّ وهوَ يُسِرُّ في نفسِهِ السفرَ إلى الشامِ .

وها هوَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يَتحدَّثُ عن نفسِهِ ويقولُ : (فلم أزلْ أتردَّدُ بينَ تَجاذُبِ شهواتِ الدنيا ودواعي الآخرةِ

قريباً مِنْ ستةِ أشهرٍ ؛ أولُها رجبٌ ، سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ ، **وفي هٰذا الشهرِ جاوزَ الأمرُ حدَّ الاختيارِ إلى الاضطرارِ** ؛ إذ أقفلَ اللهُ علىٰ لساني حتى اعتُقِلَ عنِ التدريسِ ، فكنتُ أُجاهِدُ نفسي أن أُدرِّسَ يوماً واحداً تطييباً لقلوبِ الناسِ الذينَ يَتردَّدونَ إليَّ ، فلا يَنطِقُ لساني بكلمةٍ واحدةٍ ، ولا أستطيعُها ألبتَّةَ ؛ حتىٰ أورثَتْ عُقْلةُ اللِّسانِ هٰذهِ حزناً في القلبِ ، وقطعَ الأطبَّاءُ طمعَهُم في علاجي .

ثمَّ لمَّا أحسستُ بعجزي ، وسقطَ بالكليَّةِ اختياري . . **التجأتُ إلى اللهِ تعالى التجاءَ المُضطَرِّ الذي لا حيلةَ لهُ** ، فأجابَني الذي يجيبُ المُضطَرَّ إذا دعاهُ ، وسَهَّلَ علىٰ قلبي الإعراضَ عنِ الجاهِ والمالِ والأولادِ والأصحابِ ، وأظهرتُ العزمَ على الخروجِ إلىٰ مكةَ وأنا أُدبِّرُ في نفسي السفرَ إلى الشامِ ؛ حذراً مِنْ أن يَطَّلِعَ الخليفةُ وجملةُ الأصحابِ علىٰ عزمي على المُقامِ بالشامِ ؛ فتلطَّفتُ في الخروجِ مِنْ بغدادَ علىٰ عزمِ ألَّا أعودَ إليها ، **ففارقتُ بغدادَ** ، وفَرَّقتُ ما كانَ معي مِنَ المالِ ، ولم أَدَّخِرْ إلَّا قَدْرَ الكَفَافِ وقُوتَ الأطفالِ)[1] .

وقدِ استنابَ أخاهُ أحمدَ في التدريسِ بنظاميةِ بغدادَ .

ودخلَ دمشقَ في بدايةِ سنةِ (٤٨٩ هـ) ، فلبثَ فيها مُدَّةً في مسجدِ دمشقَ مُعتكِفاً في منارتِهِ الغربيَّةِ ، مُغلِقاً بابَها علىٰ نفسِهِ ،

---

(١) المنقذ من الضلال (ص ١٠٢ ـ ١٠٣) .

وفي نفسِ السنةِ المذكورةِ (٤٨٩ هـ) ذهبَ للحجِّ والعمرةِ وزيارةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ثمَّ عادَ إلىٰ دمشقَ ، واعتكفَ بالمنارةِ الغربيَّةِ مِنَ الجامعِ الأُمويِّ ، واتخذَها مَحَلاً لإقامتِهِ وعبادتِهِ وتأليفِهِ ، واختارَ أن يعيشَ عَيْشَ التقشُّفِ ، ويحيا حياةَ الزُّهدِ والورعِ ؛ يَلبَسُ الثيابَ الخَشِنةَ ، ويُقَلِّلُ مَطعمَهُ ومَشربَهُ ، ويَرُوضُ نفسَهُ ويَحمِلُها على المجاهداتِ في العباداتِ والأعمالِ الصالحاتِ إلىٰ أن لانَ لهُ صعبُها ، وفي تلكَ الأيامِ بدأَ في تأليفِ كتابِهِ العظيمِ « إحياءِ علومِ الدِّينِ » الذي قالَ فيهِ الإمامُ الحَدَّادُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[1] : (من الكامل)

وَبِوَضْعِهِ « ٱلْإِحْيَاءَ » فَاقَ فَيَا لَهُ مِنْ فَائِقٍ وَكَمِثْلِهِ لَمْ يُوضَعِ

وكانَ يكثرُ الجلوسَ في زاويةِ الشيخِ نصرٍ المَقدِسيِّ بالجامعِ الأُمويِّ ، وأخذَ يُصنِّفُ المُصنَّفاتِ القيِّمةَ النافعةَ التي أعظمُها « الإحياءُ » ، ومنها « المنقذُ مِنَ الضَّلالِ » وغيرُ ذٰلكَ مِنَ الكتبِ المختصرةِ ؛ مثلُ « الأربعينَ » وغيرِها مِنَ الرسائلِ .

وبقيَ علىٰ هٰذهِ الحالةِ مِقدارَ عشرِ سنينَ ، كما ذكرَ ذٰلكَ في كتابِهِ « المنقذِ مِنَ الضَّلالِ »[2] ، وقد قضىٰ تلكَ المُدَّةَ في دمشقَ ، وكانَتْ عُزلةُ الإمامِ الغزاليِّ مفاجأةً كبرىٰ لعلماءِ عصرِهِ الذينَ شاهدوا وعرفوا منزلتَهُ العظيمةَ ؛ حيثُ بلغَ القِمَّةَ في المكانةِ

(١) ديوان الإمام الحداد (ص ١٨٥) .

(٢) المنقذ من الضلال (ص ١٠٥) .

والشُّهرةِ والجاهِ والزَّعامةِ ، فصاروا يُؤوّلُونَ السببَ ويقولونَ : (إنَّهُ شيءٌ سماويٌّ ، وليسَ لهُ سببٌ إلَّا عينٌ أصابَتِ المسلمينَ فيهِ)[1] .

ويُبيّنُ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ذٰلكَ في كتابِهِ « المنقذِ مِنَ الضَّلالِ » فيقولُ : (تفكرتُ في نيتي في التدريسِ ؛ فإذا هيَ غيرُ خالصةٍ لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، بل باعثُها ومُحرّكُها : طلبُ الجاهِ وانتشارُ الصّيتِ ، فتيقنتُ أنّي علىٰ شفا جرفٍ هارٍ .

فلم أزلْ أتفكَّرُ أُصمِّمُ العزمَ على الخروجِ مِنْ بغدادَ ، ومفارقةِ تلكَ الأحوالِ يوماً ، وأُؤجِّلُ العزمَ يوماً ، أُقدِّمُ رِجلاً وأُؤخّرُ أخرىٰ ، لا تَصدُقُ لي رغبةٌ في طلبِ الآخرةِ بُكرةً . . إلَّا ويَحمِلُ عليها جُنْدُ الشهوةِ حملةً فيُفرّقُها عشيَّةً .

فصارَتْ شهواتُ الدنيا تجاذبُني بسلاسِلِها إلى المُقامِ ، ومنادي الإيمانِ ينادي : الرَّحيلَ الرَّحيلَ ، فلم يبقَ مِنَ العمرِ إلَّا القليلُ ، وبينَ يديكَ السفرُ الطويلُ ، فلم أزلْ أتردَّدُ بينَ تجاذبِ شهواتِ الدنيا ودواعي الآخرةِ قريباً مِنْ ستةِ أشهرٍ ؛ أولُها رجبٌ ، سنة ثمانٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ)[2] .

وهٰكذا جَرَّبَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قبلَ عُزلتِهِ الدنيا بما فيها ؛ مِنْ زينةِ الحياةِ وبَهْرَجِها والمالِ والجاهِ والمناصبِ العُليا والتباهي والتفاخرِ ، فأدركَ حقيقتَها وآلامَها ومشاكلَها وشهواتِها ،

---

(١) المنقذ من الضلال (ص ١٠٣) .

(٢) المنقذ من الضلال (ص ١٠٠ ـ ١٠٢) .

حُلْوَها ومُرَّها ، وتَبيَّنَ لهُ أنَّ كلَّ ذٰلكَ لا يُسعِدُ الإنسانَ ، ولا يُوفِّرُ لهُ الاطمئنانَ والاستقرارَ إلى اللهِ تعالىٰ ، وأنَّ معرفتَهُ على الوجهِ الصحيحِ . . هوَ قطعُ كلِّ علائقِ الدنيا عنِ القلبِ ؛ ليستطيعَ تقبُّلَ الأنوارِ الإلٰهيَّةِ .

فقَرَّرَ الانعزالَ والانزواءَ ، وتَرْكَ الدنيا بما فيها وراءَ ظهرِهِ ، والإقبالَ بكنْهِ الهِمَّةِ على اللهِ تعالىٰ ؛ إيثاراً للباقي على الفاني ، واختارَ ما هوَ الأفضلُ ؛ وهوَ العيشُ في رحابِ اللهِ تعالىٰ ، لا يَشغَلُهُ عنهُ شيءٌ : لا مالٌ ولا جاهٌ .

عودةُ الإمامِ الغزاليِّ إلىٰ بلدِهِ طُوسَ مارّاً ببغدادَ

بقيَ الإمامُ الغزاليُّ علىٰ تلكَ الحالةِ : مِنَ العُزلةِ ، ومجاهدةِ النفْسِ ، وتكليفِها المَشاقَّ في سبيلِ العبادةِ والأعمالِ الصالحةِ ، وتأليفِ الكتبِ النافعةِ مُتخِذاً مِنْ دمشقَ مَقرّاً لهُ حتىٰ أواخرِ سنةِ (٤٩٩ هـ) .

وفي أواخرِ هٰذهِ السنةِ . . تَوجَّهَ عائداً إلىٰ مَوطنِهِ خُراسانَ ، فمرَّ أولاً بمدينةِ بغدادَ ، ولم يُقِمْ بها كثيراً ، وإنَّما مكثَ فترةً وجيزةً ، وعقدَ بها مَجلِساً للوعظِ ، وحَدَّثَ بكتابِهِ « الإحياءِ » .

ثمَّ غادرَ بغدادَ عائداً إلىٰ وطنِهِ ومَسقِطِ رأسِهِ مدينةِ طُوسَ ، وبها حطَّ الرِّحالَ وألقىٰ عصا التَّسيارِ ملازماً منزلَهُ ، مُشتغِلاً كعادتِهِ بالعبادةِ والتأليفِ ، محافظاً على الوقتِ إلىٰ أن كَلَّفَهُ فَخْرُ المُلْكِ

بالتدريسِ في نظاميةِ نيسابورَ ؛ وذٰلكَ في شهرِ ذي القَعدِة سنةَ (٤٩٩ هـ) ، فتكونُ المُدَّةُ منذُ مغادرتِهِ نظاميةَ بغدادَ إلىٰ معاودتِهِ التدريسَ بنظاميةِ نيسابورَ إحدىٰ عشرةَ سنةً .

معاودتُهُ للتدريسِ في نظاميةِ نيسابورَ

بعدَ التجارِبِ التي مَرَّ بها الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ؛ مِنْ جاهِ الدنيا وزينتِها إلى العُزلةِ والتقشُّفِ ، ورياضةِ النفْسِ ومجاهدتِها ، حتىٰ بلغَ المرتبةَ التي اطمأنَّ إليها مِنَ الصَّفاءِ والسعادةِ ومعرفةِ مكايدِ الشيطانِ وعيوبِ النفْسِ ؛ حيثُ حَقَّقَتِ العُزلةُ أهدافَها . . **قَرَّرَ العودةَ إلى الوطنِ** ، والقيامَ بتعليمِ الناسِ ، وإفادةَ العِلْمِ ، ولا سيَّما وقد شعرَ بحاجةِ الناسِ الماسَّةِ إلىٰ ذٰلكَ ؛ **فقد جاءَهُ الوزيرُ فَخْرُ المُلْكِ ابنُ نظامِ المُلْكِ وألحَّ عليهِ غايةَ الإلحاحِ أن يقبلَ تعيينَهُ لهُ للقيامِ بالتدريسِ في نظاميةِ نيسابورَ إلىٰ أنِ استجابَ** ؛ فانتقلَ إلىٰ نيسابورَ في شهرِ ذي القَعدةِ سنةَ (٤٩٩ هـ) ، وهناك قامَ بالتدريسِ في المدرسةِ النظاميةِ بها .

وها هوَ يروي قصةَ عودتِهِ إلى التدريسِ في كتابِهِ « المنقذِ مِنَ الضَّلالِ » فيقولُ : (اتفقَ في شهورِ سنةِ تسعٍ وتسعينَ وأربعِ مئةٍ : أن كُلِّفتُ بعدَ أنِ انعزلتُ ولازمتُ الزاويةَ اثنتيْ عشرةَ سنةً . . **بالذهابِ إلىٰ نيسابورَ للتعليمِ ونشرِ الشريعةِ** ؛ لِمَا حصلَ مِنَ الرُّكودِ والفتورِ في مجالِ العِلْمِ ونشرِهِ ، وقامَ بتأييدِ ذٰلكَ الأعزاءُ المُخلِصونَ ،

وألحُّوا عليَّ في ذٰلكَ ، **وحصلَتْ ليَ الإشارةُ الربانيَّةُ في اليقظةِ** والمنامِ ؛ بأنَّ ذٰلكَ بدايةُ خيرٍ وسببٌ لإحياءِ العِلْمِ والشريعةِ)[1] .

وأدركَ الغزاليُّ بُعدَ كثيرٍ مِنَ الناسِ عنِ الدِّينِ ، وأنَّ الحاجةَ ماسَّةٌ إلىٰ عودتِهِ للقيامِ بالتعليمِ ، فقرَّرَ العودةَ .

ويقولُ أيضاً : (**فلمَّا رأيتُ أصنافاً مِنَ الخَلْقِ** بلغَ بهِمُ الضَّعْفُ في الإيمانِ إلىٰ هٰذا الحدِّ . . **انقدحَ في نفسي** أنَّ ذٰلكَ مُتعيِّنٌ عليَّ في هٰذا الوقتِ ومُتحتِّمٌ ، **وقلتُ في نفسي** : ماذا تغنيكَ الخلوةُ والعُزلةُ ، وقد عَمَّ الداءُ ، ومَرِضَ الأطبَّاءُ ، وأشرفَ الخَلْقُ على الهلاكِ ؟!)[2] .

العودةُ إلىٰ طُوسَ

وقدِ استمرَّ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ على التدريسِ في نظاميةِ نيسابورَ قرابةَ سنةٍ ؛ وهيَ سنةُ (٥٠٠ هـ) ، ثمَّ **تركَ التدريسَ بنيسابورَ وعادَ إلىٰ بلدِهِ طُوسَ ، وألقىٰ بها عصا التَّسيارِ** ، واتخذَ بجوارِ منزلِهِ مدرسةً لطَلَبَةِ العِلْمِ ، وأقبلَ الناسُ على الأخذِ عنهُ كما كانوا مِنْ قبلُ ، ووَزَّعَ أوقاتَهُ على الحاضرينَ عندَهُ مِنْ تدريسٍ في شتَّى الفنونِ العلميةِ وتلاوةٍ للقرآنِ ، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأعمالِ الجليلةِ ، بحيثُ لا تخلو لحظةٌ مِنْ لحظاتِهِ ـ هوَ ومَنْ حولَهُ ـ عنِ التحصيلِ والفائدةِ والازديادِ مِنَ العِلْمِ والمعرفةِ .

---

(١) المنقذ من الضلال (ص ١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٢) المنقذ من الضلال (ص ١٢٣ ـ ١٢٤) .

ومعَ ما كانَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ يقومُ بهِ مِنْ نشرِ العِلْمِ . . كانَ أيضاً يقومُ بأعباءِ الدعوةِ ، ويُواجِهُ وُلاةَ الأمرِ والحُكَّامَ بالموعظةِ والنصيحةِ ، ويُنكِرُ عليهِم ، ويكتبُ إليهِم بذٰلكَ ، ويَردَعُهُم عنِ الظُّلمِ ومخالفةِ الشرعِ الشريفِ .

وقد عاشَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ أثناءَ حكمِ السلاجقةِ الأتراكِ الذينَ حكموا أكثرَ مناطقِ العالَمِ الإسلاميِّ في القرنِ الخامسِ الهجريِّ ، وكانوا سُنِّيِّينَ ، ويُعظِّمونَ العِلْمَ والعلماءَ ، ويَتقبَّلونَ نصيحتَهُم وتوجيهَهُم ، ومِنْ عنايتِهِم بالعِلْمِ وإجلالِهِم للإمامِ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : أنَّهُم حاولوا بعدَ عودتِهِ إلىٰ طُوسَ أن يقنعوهُ بالعودةِ إلى التدريسِ في نظاميةِ بغدادَ فاعتذرَ .

والمدرسةُ النظاميةُ ببغدادَ تُعَدُّ بمثابةِ جامعةٍ بناها الوزيرُ نظامُ المُلْكِ السلجوقيُّ ؛ لتكونَ في دارِ الخلافةِ مصدرَ إشعاعٍ للعِلْمِ والمعارفِ ، ومنبعاً للفضلِ ، ومأوىً للأئمَّةِ والعلماءِ ، ومَقصِداً لطُلَّابِ العِلْمِ .

تعرُّضُ الإمامِ الغزاليِّ لأذى الحُسَّادِ والأعداءِ

لقد عانى الإمامُ الغزاليُّ الكثيرَ مِنْ أذى الحُسَّادِ والأعداءِ وكيدِهِم ؛ فقد وَشَوْا بهِ عندَ السلطانِ سَنْجَرَ حتىٰ أجبرَهُ على الحضورِ مِنْ طُوسَ إلى المعسكرِ بنيسابورَ ، ولمَّا فَشِلَ كيدُهُم ، وخابَتْ حيلتُهُم . . عَمَدوا إلىٰ كتبِهِ فدسُّوا فيها زياداتٍ تخالفُ مُعتقَدَ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ .

وها هوَ حُجَّةُ الإسلامِ يُحدِّثُ عن ذٰلكَ ويقولُ : (ولمَّا استُجِيبَتِ الدعوةُ ، واستمرَّ عملُ التدريسِ ناشطاً ، وأخذَ طُلَّابُ العِلْمِ يَفِدونَ مِنْ نواحي العالَمِ . . هاجَ حسدُ الحُسَّادِ ، ولم يجدوا أيَّ طعنٍ مقبولٍ غيرَ أنَّهُم لَبَّسوا الحقَّ بالباطلِ ، وغيَّروا كلَّ ما في كتابي « المنقذِ مِنَ الضَّلالِ » وكتابي « مِشكاةِ الأنوارِ » وأدخلوا فيهِما كلماتِ كفرٍ ، وأرسلوا الكتابَينِ إليَّ لأكتبَ عليهِما الإجازةَ ؛ فألهمَني اللهُ فتصفَّحتُهُما ، فاطَّلعتُ علىٰ تلبيسِهِم ، واطَّلعَ علىٰ ذٰلك أيضاً حاكمُ خُراسانَ ؛ فأمر بحبسِ المُزوِّرِ ، ثمَّ نفاهُ مِنْ نيسابورَ ـ قالَ ـ : كما دسُّوا أيضاً في كتابي « المنخولِ » كلماتٍ تَطعُنُ في الإمامِ أبي حنيفةَ) ، وحاشَ للغزاليِّ أن يَطعُنَ في الإمامِ أبي حنيفةَ .

شيوخُ الإمامِ الغزاليِّ

قرأَ الإمامُ الغزاليُّ بمدينةِ طُوسَ أولاً : علىٰ أُستاذِهِ الشيخِ أحمدَ الرَّاذَكانيِّ ، ثمَّ علىٰ أُستاذِهِ في جُرجانَ إسماعيلَ ابنِ مسعدةَ ، ثمَّ علىٰ أُستاذِهِ الأكبرِ بنيسابورَ إمامِ الحرمَينِ أبي المعالي عبدِ الملكِ الجُوَينيِّ ، الذي لازمَهُ وجَدَّ عندَهُ واجتهدَ فأُعجِبَ الأُستاذُ بتلميذِهِ ، وأحبَّهُ واحترمَهُ ، واستمرَّ معَهُ يأخذُ عنهُ كلَّ العلومِ ولا سيَّما الفقهِ وأصولِهِ إلىٰ أن تُوفِّيَ إمامُ الحرمَينِ سنةَ (٤٧٨ هـ) وهوَ أعظمُ شيوخِ الغزاليِّ ، ولهُ الدورُ الأكبرُ في تعليمِ الغزاليِّ وتدريبِهِ في مختلفِ العلومِ والمناظرةِ فيها ؛ فقد أذنَ لهُ

في حياتِهِ أن يجلسَ علىٰ كرسيِّهِ ليُدرِّسَ الطَّلَبَةَ أو يُعِيدَ درسَ الإمامِ عليهِم .

وأخذَ الحديثَ عن محمدٍ الحفصيِّ المَرْوَزيِّ ، وعنِ الحاكمِ نصرِ الحاكميِّ ، وعن أبي عبدِ اللهِ الخواريِّ ، وعن محمدِ بنِ يحيى الزَّوزنيِّ ، وعنِ الشيخِ نصرِ بنِ إبراهيمَ المقدسيِّ .

تلاميذُ الإمامِ الغزاليِّ

ليسَ مِنَ السهلِ حصرُ وتعريفُ تلاميذِ الإمامِ الغزاليِّ والآخذينَ عنهُ ؛ لكثرتِهِم ، والغزاليُّ نفسُهُ يقولُ : (وقد مرَّ عليَّ أكثرُ مِنْ ألفِ طالبٍ) .

ويقولُ تلميذُهُ القاضي أبو بكرِ ابنُ العربيِّ : (رأيتُهُ ـ أي : الغزاليَّ ـ ببغدادَ يَحضُرُ درسَهُ نحوُ أربعِ مئةِ عِمامةٍ مِنْ أكابرِ الناسِ وفضلائِهِم يأخذونَ عنهُ العِلْمَ)[1] .

فمِنْ تلاميذِهِ : إبراهيمُ بنُ مظهرٍ الجُرجانيُّ السباكُ ، والقاضي أبو نصرٍ البَهُونيُّ ، وأبو الفتحِ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ بَرْهانٍ ، والحسينُ بنُ نصرٍ الجهنيُّ ، وخلفُ بنُ أحمدَ ، ودغشٌ النعيميُّ ، وأبو الوفاءِ رستمُ بنُ سعدٍ الخُواريُّ ، والرضيُّ بن مهديٍّ الزَّيديُّ ، وسعدُ الخيرِ البَلَنْسيُّ ، وسعيدُ بنُ محمدٍ الرزازُ ، وشافعُ بنُ عبدِ الرشيدِ الجيليُّ ، وعامرُ بنُ دغشٍ الأنصاريُّ ، وعبدُ الكريمِ بنُ

---

(١) انظر « شذرات الذهب » (٢٢/٦) .

عليٍّ الرازيُّ ، وعليُّ بنُ محمدِ بنِ حَمُّويَه الجُوَيْنيُّ ، وعليُّ بنُ مسلمٍ السلميُّ ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللهِ المعروفُ بالقاضي أبي بكرِ ابنِ العربيِّ المالكيِّ ، وأبو حامدٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ الجَوْسَقَانيُّ الإسفراينيُّ .

مُؤلَّفاتُهُ

يُعَدُّ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ العلماءِ المُكثرينَ في مجالِ التأليفِ ؛ فقد باركَ اللهُ في عمرِهِ ووقتِهِ وعلمِهِ ، فألَّفَ كتباً كثيرةً في مختلفِ العلومِ والفنونِ باللُّغةِ العربيةِ وباللُّغةِ الفارسيَّةِ ، **وذكروا أنَّهُم أحصَوُا الكتبَ التي ألَّفَها ووُزِّعَتْ علىٰ عمرِهِ فخصَّ كلَّ يومٍ أربعُ كراريسَ ؛** وذٰلكَ مِنْ بركةِ العمرِ التي يَمنَحُها اللهُ لمَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ[1] ، وقد تُرجِمَ كثيرٌ مِنْ كتبِهِ إلى اللُّغاتِ الأجنبيةِ ، **ونكتفي هنا بذكرِ بعضِ مُؤلَّفاتِهِ :**

فمنها : « البسيطُ » ، و« الوسيطُ » ، و« الوجيزُ » ، و« الخلاصةُ » ، وهٰذه كلها في الفقه ، و« المنخولُ » ، و« شفاءُ الغليلِ » ، و« تهذيبُ الأصولِ » ، و« المستصفىٰ مِنْ علمِ الأصولِ » ، و« إحياءُ علومِ الدِّينِ » ، و« مِنهاجُ العابدينَ » ، و« المنقذُ مِنَ الضَّلالِ » ، و« تهافتُ

---

(١) الكراريس ـ جمع كُرَّاسة ـ : وهي عبارة عن مجموع من الأوراق المزدوجة المتداخلة فيما بينها بحدود عشر ورقات ، فكان ما يكتبه رضي الله عنه يقارب أربعين ورقة يومياً ، وهٰذا راجع للبركة في الوقت ، وذٰلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الفلاسفةِ » ، و« بدايةُ الهدايةِ » ، و« المقصدُ الأسنىٰ » ، و« الردُّ على الباطنيةِ » ، وغيرُها الكثيرُ[1] .

تواضعُهُ

ومعَ ما بلغَهُ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ سَعَةِ العِلْمِ وكثرةِ المُصنَّفاتِ ، ومعَ ما حصلَ بهِ وبكتبِهِ مِنْ عظيمِ النفعِ . . **فقد كانَ عظيمَ التواضعِ** ، شأنُهُ في ذٰلكَ شأنُ العلماءِ الذينَ هم كالأشْجارِ المُثمِرةِ ؛ كلَّما زادَتْ ثمارُها . . زادَ انحناؤُها .

فقد قالَ ابنُ السَّمعانيِّ : (قرأتُ في كتابٍ كتبَهُ الغزاليُّ إلىٰ أبي حامدٍ أحمدَ بنِ سلامةَ بالمَوصِلِ ، فقالَ في خلالِ فصولِهِ : « أمَّا الوعظُ . . فلا أرىٰ نفسي أهلاً لهُ ؛ **لأنَّ الوعظَ زكاةٌ نصابُهُ الاتِّعاظُ** ؛ فمَنْ لا نصابَ لهُ . . كيفَ يُخرِجُ الزكاةَ ، وفاقدُ الثوبِ . . كيفَ يسترُ غيرَهُ ، ومتىٰ يستقيمُ الظِّلُّ والعُودُ أعوجُ ؟! »)[2] .

---

(١) وقد أكرم الله سبحانه وتعالىٰ دار المنهاج بخدمة بعض كتب هٰذا الإمام الجليل ؛ وأهمها : « إحياء علوم الدين » ، و« الاقتصاد في الاعتقاد » ، و« المقصد الأسنىٰ » ، و« المنقذ من الضلال » ، و« الخلاصة » ، و« معيار العلم » ، و« محكُّ النظر » ، و« القسطاس المستقيم » ، و« إلجام العوام » ، و« فيصل التفرقة » ، و« الأربعين في أصول الدين » ، و« ميزان العمل » ، ونسأل الله أن يتمم نعمته علينا بخدمة جميع كتب هٰذا الإمام العبقري رضي الله عنه .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/٢١٦) .

خاتمة

ولقدِ اتفقَ جمهورُ المُترجِمينَ للإمامِ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ إمامتِهِ ، وانطلقَتِ الألسُنُ بالثناءِ عليهِ ، وشهدَ لهُ المُخالِفُ والمُوافِقُ بالتقدُّمِ والكمالِ ، كما شهدَ العلماءُ مِنْ معاصريهِ بفضلِهِ وتمكُّنِهِ .

لم ترَ العيونُ مثلَهُ بياناً ومَنطِقاً وذكاءً وطبعاً ؛ فهو أنظرُ أهلِ زمانِهِ ، وأوحدُ أقرانِهِ ، لقد ذاعَ صيتُهُ في الآفاقِ ، وأُعجِبَ الجميعُ بتدريسِهِ ومناظراتِهِ ، وصارَ بعدَ إمامةِ خراسانَ إمامَ العراقِ .

وهوَ مُجدِّدُ القرنِ الخامسِ الهجريّ ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللَّهَ عزَّ وجلَّ يَبْعَثُ لِهَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا »[1] .

فكانَ في المئةِ الأُولىٰ : عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وفي المئةِ الثانيةِ : الإمامُ الشافعيُّ ، وفي الثالثةِ : الأشعريُّ أو ابنُ سُريجٍ ، وفي الرابعةِ : الإسفراينيُّ ، **وفي الخامسةِ : حُجَّةُ الإسلامِ الغزاليُّ** .

قالَ السيوطيُّ : (وليسَ في كونِهِ مُجدِّداً تَردُّدٌ) .

وما زالَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ طيلةَ عمرِهِ المُبارَكِ عَلَماً يُهتدىٰ بهِ ؛ يَنشُرُ العلومَ ، ويفتي ، ويُؤلِّفُ ، ويُرشِدُ ، ويُقارِعُ

---

(١) رواه أبو داوود (٤٢٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

المُبتدِعةَ مِنَ الفِرَقِ الضَّالَّةِ ، إلىٰ أن تَوفَّاهُ اللهُ تعالىٰ بمَسقِطِ رأسِهِ مدينةِ طُوسَ ، يومَ الاثنَينِ رابعَ عشرَ شهرِ جُمادى الآخرةِ سنةَ (٥٠٥ هـ) .

رَحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، ورضيَ عنهُ ، وأرضاهُ

وصلّى اللهُ علىٰ سيّدنا محمّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلّم

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

جمعه وكتبه راجي عفو ربّه

حسين بن محمّد بن هادي السّقّاف

(٢٠) جمادى الآخرة (١٤١٤هـ)

وصف النسخ الخطية

اعتمدنا بتوفيق الله تعالىٰ علىٰ أربع نسخ خطية كاملة ، وإحدىٰ هٰذه النسخ كتبت بعد وفاة المؤلف بـ (٩١) عاماً ، وإليك وصفَ هٰذه النسخ :

النسخة الأولىٰ : وهي نسخة حضرمية من مقتنيات مكتبة خاصة ، وتقع ضمن مجموع قيِّم يحوي كتباً هامة ؛ وهي : « أسباب النزول » للإمام الواحدي ، و« الأربعون حديثاً » للإمام الحافظ أبي بكر الآجرِّي ، و« الأربعون حديثاً » للإمام الحافظ أبي العباس النسوي ، و« بداية الهداية » للإمام الحُجة أبي حامد الغزالي ، وهو كتابنا هٰذا .

ويقع « بداية الهداية » في : (٣١) ورقة ، عدد سطور الورقة الواحدة : (١٩) سطراً ، وعدد كلمات السطر الواحد : يتراوح ما بين (١٣) و(١٥) كلمة تقريباً .

وخط هٰذه النسخة : نسخي معتاد واضح مقروء ، تخلَّله ضبط متفاوت لم يجرِ علىٰ وتيرة واحدة ، وإنما هو ضبط متناثر لبعض الكلمات من الكتاب ، وقد كتبت عناوينه بالخط العريض .

وهي نسخة مقابلة ، يظهر ذٰلك من خلال التعليقات والتقييدات

الكثيرة الموجودة بين ثناياها وعلىٰ هامشها ، وكما نُصَّ علىٰ ذٰلك في خاتمتها .

ووافق الفراغ من كتابة هٰذه النسخة : يوم الجمعة في (١٦) من شهر ربيع الآخر سنة (٥٩٦ هـ) أي : بعد وفاة المؤلف بـ (٩١) عاماً .

والناسخ : من أسرة علمية عريقة ؛ وهو : عبد العزيز بن هبة الله ابن عساكر القيسراني رحمه الله تعالىٰ .

ونظراً لما امتازت به هٰذه النسخة . . **تم اعتمادها أصلاً في تحقيق هٰذا الكتاب النفيس** .

ورمزنا لها بـ (أ) .

❀ ❀ ❀

النسخة الثانية : من مقتنيات **مكتبة جامعة برنستون** التابعة لولاية نيوجرسي الأمريكية ، وتقع **ضمن مجموع ضم معها** : كتاب « منهاج العابدين » للإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ .

ورقم هٰذه النسخة : (٢٦٦٥) ، **ورمز حفظها** : (٥٩٣١) ، **وتقع في** : (٢٠) ورقة ، **عدد سطور الورقة الواحدة** : (٢١) سطراً ، **ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد** : (١٧) كلمة تقريباً .

وخطها : نستعليق مائل إلىٰ خط الشكستة .

وضمن سطور هٰذه النسخة وعلىٰ هامشها **نزر من التعليقات والتوضيحات** ، وعلىٰ هامشها أيضاً بعض العناوين لفقرات الكتاب ، مما يدل علىٰ أنها **مقروءة ومضبوطة ومعتنىً بها** .

ووقع الفراغ من نسخ هٰذا المجموع : يوم الأحد في شهر جمادىٰ الأولىٰ من سنة (١٠٨٧ هـ) .

ورمزنا لها بـ (ب) .

❁ ❁ ❁

النسخة الثالثة : من مقتنيات **المتحف البريطاني** ، **وتحمل الرقم** : (١/٩٥١٧ ـ ٢) ، **وتقع في** : (٤٢) ورقة ، **عدد سطور الورقة الواحدة** : (١٥) سطراً ، **ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد** : (١٢) كلمة تقريباً .

ووقعت هٰذه النسخة **ضمن مجموع حوىٰ كتابنا** : « بداية الهداية » ، و« منهاج العابدين » ، **وقد كتبت هٰذه النسخة** سنة (٨٠٠ هـ) .

وخطها : نسخي معتاد ، **وقد ضبط ضبطاً تاماً** ، وكتبت بعض عناوينه **بالخط العريض** ، كما وضع فوق بعض الجمل والعناوين **خط أفقي تنبيهاً** علىٰ مقاطع الكتاب وفقراته ، **وتنويهاً** بموضع الدليل المأتي به للاستدلال علىٰ فكرة ما .

ورمزنا لها بـ (ج) .

❁ ❁ ❁

النسخة الرابعة : من مقتنيات **مكتبة خاصة بشبام حضرموت** ، عليها تملك باسم محفوظ بن أحمد بن عمر لَعْجم ، **وتقع هٰذه النسخة في** : (٢٧) ورقة ، **متوسط عدد سطورها** : (٢٠) سطراً ، **وعدد كلمات السطر الواحد** : (١٥) كلمة تقريباً .

ووجدت هٰذه النسخة **ضمن مجموع نفيس ضمَّ كتابنا هٰذا** :

« بداية الهداية » ، و« الأربعين النووية » و« منهاج العابدين » .

وخطها : نسخي جميل معتاد **ضبط ضبطاً تاماً تقريباً** ، ووضع علىٰ هامش هٰذه النسخة بعض التوضيحات والتصحيحات لمتن الكتاب **مما يشير إلىٰ أنها مقروءة ومعتنىً بها** ، وقد نُصَّ في خاتمتها علىٰ أنها مقابلة **مما يدل علىٰ ضبطها وجودتها** .

وكاتب هٰذه النسخة : هو عبد الله بن أبي بكر المكنَّىٰ بـ (دوعني) ، **وكان الفراغ من نسخها** : يوم الأحد في (١٤) من شهر رمضان المبارك سنة : (٩٠٣ هـ) .

وعلىٰ طرة هٰذه النسخة : تملك باسم عبد الودود بن سدة ، ونص هٰذا التملك : (برسم العبد الفقير إلىٰ كرم الله اللطيف الخبير ، عبد المعبود **عبد الودود بن سدة بن محمد النعيري** ، رزقه الله حفظ ما فيه ، وفهَّمه معانيه ، وغفر له ولوالديه ولأولاده وإخوانه وأقاربه ومحبيه ، ولمن دعا للجميع بالمغفرة ، بمنه وكرمه وجوده ؛ إنه هو الغفور الرحيم) .

وابن سدة : هو صاحب ميفعة المتوفىٰ سنة (٩١٨ هـ) ، وقد ذكره المؤرِّخ أحمد بن عبد الله شنبل في « تاريخه » ، ووسمه بالملك العادل[1] .

ورمزنا لها بـ (د) .

---

(١) تاريخ حضرموت (ص ٢٥٣) ، وانظر « الشامل في تاريخ حضرموت » (ص ٦٩) .

منهج العمل في الكتاب

ـ تمَّ معارضة الكتاب علىٰ أصوله الخطِّية الأربعة ، **واعتماد النسخة (أ) أصلاً في ذٰلك** .

ـ **أثبتنا الآيات القرآنية** بالرسم العثماني ، **من رواية حفص عن عاصم** رحمهما الله تعالىٰ ، **وخرَّجناها** بذكر رقم السورة مع رقم الآية هٰكذا : (رقم السورة ﴿٣﴾ رقم الآية) .

ـ ضبط النصِّ بالشكل الكامل ، وربطه بعلامات التفهيم المناسبة ؛ تسهيلاً للقارئ علىٰ فهم الكتاب ما أمكن .

ـ تدوين معظمِ الحواشي الواردة في (أ) لأهميّتها ، مع إحالتها إلىٰ مصادرها المطبوعة والمخطوطة .

ـ تخريج الأحاديث والآثار والنقول من مظانها المتوافرة لدينا .

ـ شرح مُبسَّط لبعض المفردات والعبارات .

وقد يجد القارئ الكريم أن بعض كلام الإمام الغزالي يشير إلىٰ حديث أو أثر ، وهٰذه عادة بعض السلف رحمهم الله في التصنيف ؛ حيث إنهم يضمنون عباراتهم نصَّ الحديث أو معناه ؛ كما فعله الإمام البخاري رضي الله تعالىٰ عنه كثيراً في تبويبه للجامع الصحيح ؛ لذٰلك لم نشر إلىٰ هٰذا هنا .

وختاماً : نسأل الله تعالىٰ أن يكون عملنا في هٰذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب لنا فيه القبول والنفع ، آمين .

والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلّم

اللّجنة العلميّة

بمركز دار المنهاج للدّراسات والتّحقيق العلميّ

بإشراف

عمر سالم باجنيف

الخميس (١٠) شعبان المكرّم (١٤٣٩هـ)

(٢٦) إبريل/نيسان (٢٠١٨م)

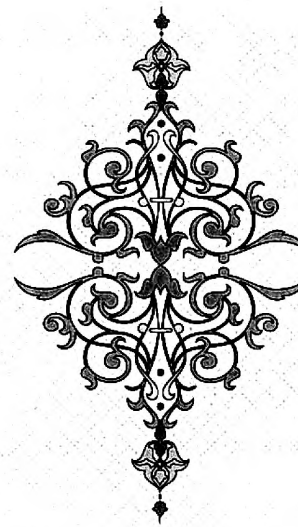

صور من المخطوطات المعتمدة

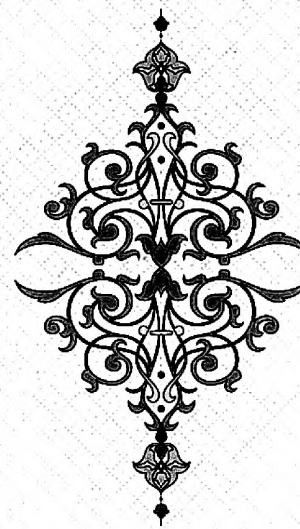

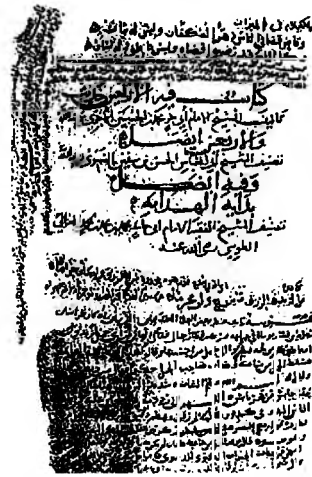

رموز ورقة العنوان للنسخة (أ)

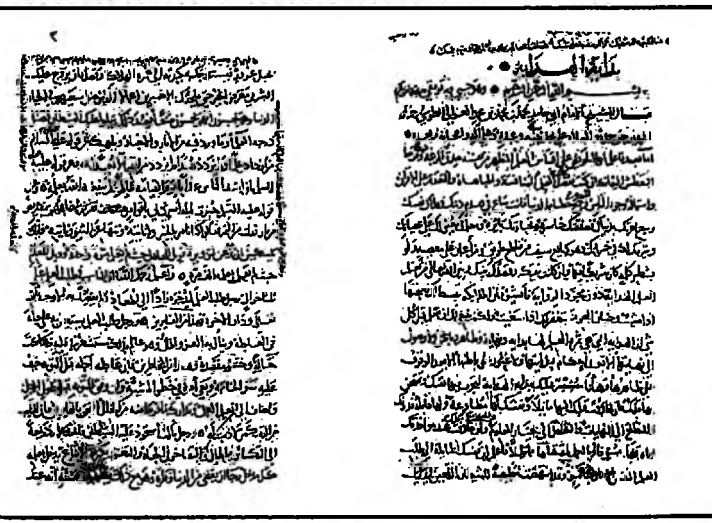

رموز الورقة الأولى للنسخة (أ)

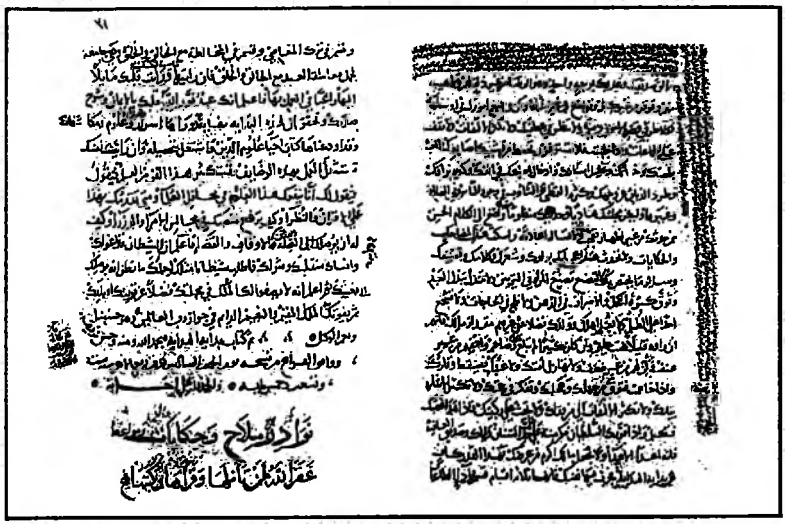

رموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)

رموز ورقة العنوان للنسخة (ب)

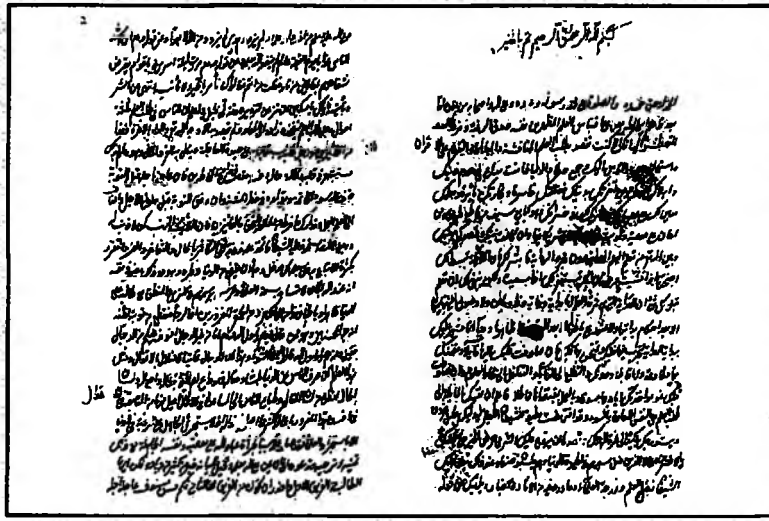

رموز الورقة الأولى للنسخة (ب)

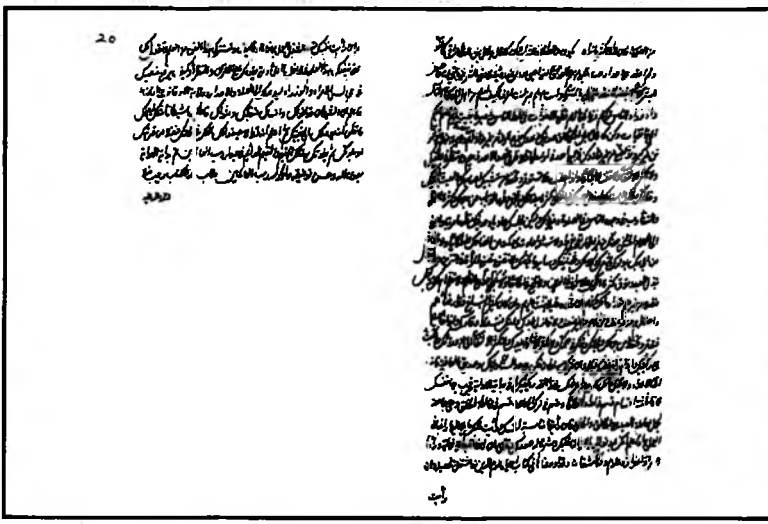

رموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)

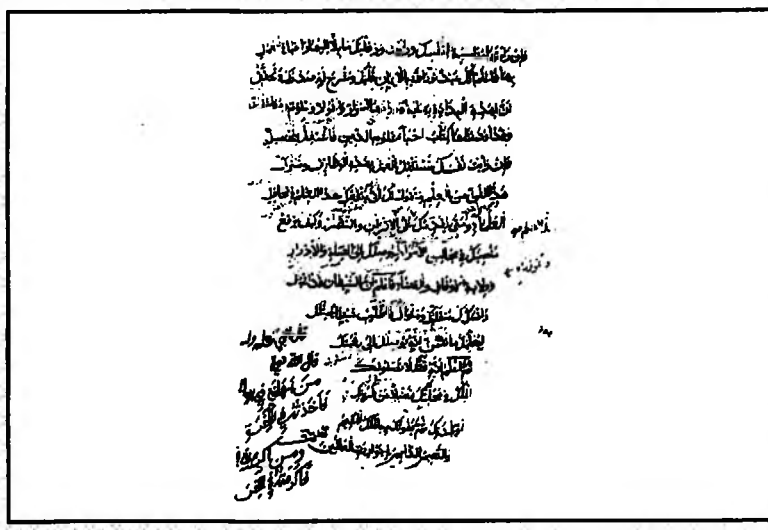

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)

رموز ورقة العنوان للنسخة (د)

رموز الورقة الأولى للنسخة (د)

رامز الورقة الأخيرة للنسخة (د)

* * *

بداية الهداية

تأليف

الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين

زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

الطوسي الطابراني الشافعي

رضي الله عنه

(٤٥٠-٥٠٥هـ)

خطبة الكتاب

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهو حسبي، وبه توفيقي

رب يسر وأعن يا كريم

قال الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله (١)

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ حَقَّ حَمْدِهِ ، وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ وَعَبْدِهِ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ .

أما بعد :

فَٱعْلَمْ ـ أَيُّهَا ٱلْحَرِيصُ عَلَى ٱقْتِبَاسِ ٱلْعِلْمِ ، ٱلْمُظْهِرُ مِنْ نَفْسِهِ صِدْقَ ٱلرَّغْبَةِ فِيهِ ، وَفَرْطَ ٱلتَّعَطُّشِ إِلَيْهِ ـ : أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ بِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ : ٱلْمُنَافَسَةَ ، وَٱلْمُبَاهَاةَ ، وَٱلتَّقَدُّمَ عَلَى ٱلْأَقْرَانِ ، وَٱسْتِمَالَةَ وُجُوهِ ٱلنَّاسِ إِلَيْكَ ، وَجَمْعَ حُطَامِ ٱلدُّنْيَا . . فَأَنْتَ سَاعٍ فِي هَدْمِ دِينِكَ ، وَإِهْلَاكِ نَفْسِكَ ، وَبَيْعِ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ .

---

(١) الديباجة من النسخة (أ) .

فَصَفْقَتُكَ خَاسِرَةٌ ، وَتِجَارَتُكَ بَائِرَةٌ ، وَمُعَلِّمُكَ مُعِينٌ لَكَ عَلَىٰ عِصْيَانِكَ ، وَشَرِيكٌ لَكَ فِي خُسْرَانِكَ ، وَهُوَ كَبَائِعِ سَيْفٍ مِنْ قَاطِعِ طَرِيقٍ ، ومَنْ أَعَانَ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ . . كَانَ شَرِيكاً فِيهَا .

وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُكَ وَقَصْدُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ تَعَلُّمِ ٱلْعِلْمِ : ٱلْهِدَايَةَ دُونَ مُجَرَّدِ ٱلرِّوَايَةِ . . فَأَبْشِرْ ؛ فَإِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ تَبْسُطُ لَكَ أَجْنِحَتَهَا إِذَا مَشَيْتَ ، وَحِيتَانَ ٱلْبَحْرِ تَسْتَغْفِرُ لَكَ إِذَا سَعَيْتَ .

❁ ❁ ❁

وَلَٰكِنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ : أَنَّ ٱلْهِدَايَةَ ـ ٱلَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ ٱلْعِلْمِ ـ لَهَا بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ ، وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ .

وَلَا وُصُولَ إِلَىٰ نِهَايَتِهَا إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامِ بِدَايَتِهَا ، وَلَا عُثُورَ عَلَىٰ بَاطِنِهَا إِلَّا بَعْدَ ٱلْوُقُوفِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا .

وَهَأَنَا مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِبِدَايَةِ ٱلْهِدَايَةِ ؛ لِتُجَرِّبَ فِيهَا نَفْسَكَ ، وَتَمْتَحِنَ بِهَا قَلْبَكَ .

فَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ إِلَيْهَا مَائِلاً ، وَنَفْسَكَ بِهَا مُطَاوِعَةً ، وَلَهَا قَابِلَةً . . فَذُونَكَ وَٱلتَّطَلُّعَ إِلَى ٱلنِّهَايَاتِ ، وَٱلتَّغَلْغُلَ إِلَىٰ بِحَارِ ٱلْعُلُومِ وَٱلْمُكَاشَفَاتِ .

وَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ عِنْدَ مُؤَاخَذَتِكَ إِيَّاهُ بِهَا مُسَوِّفاً ، وَبِٱلْعَمَلِ

بِمُقْتَضَاهَا مُمَاطِلاً . . فَٱعْلَمْ أَنَّ نَفْسَكَ ٱلْمَائِلَةَ إِلَىٰ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ هِيَ ٱلنَّفْسُ ٱلْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، وَقَدِ ٱنْتَهَضَتْ مُطِيعَةً لِلشَّيْطَانِ ٱللَّعِينِ ؛ لِيُدَلِّيَكَ بِحَبْلِ غُرُورِهِ[1] ، فَيَسْتَدْرِجَكَ بِمَكِيدَتِهِ إِلَىٰ غَمْرَةِ ٱلْهَلَاكِ ، وَقَصْدُهُ أَنْ يُرَوِّجَ عَلَيْكَ ٱلشَّرَّ فِي مَعْرِضِ ٱلْخَيْرِ حَتَّىٰ يُلْحِقَكَ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ؛ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً .

وَعِنْدَ ذَٰلِكَ يَتْلُو عَلَيْكَ ٱلشَّيْطَانُ فَضْلَ ٱلْعِلْمِ وَدَرَجَةَ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ ٱلْأَخْبَارِ وَٱلْآثَارِ ، وَيُلْهِيكَ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنِ ٱزْدَادَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدىً . . لَمْ يَزْدَدْ مِنَ ٱللهِ إِلَّا بُعْداً »[2] .

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِعِلْمِهِ »[3] .

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِأَقْوَامٍ

---

(١) أي : ليوصلك بحبل غروره .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٨٨٧) وعزاه إلىٰ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٣٥١/١) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (١٨٢/١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٤٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وجاء في هامش (أ) : (وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من علمٍ لا ينفع ، وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ طلب العلم ؛ ليماريَ به العلماء ، أو يجاريَ به السفهاء ، أو ليصرفَ به وجوهَ الناس إليه . . فليتبوأْ مقعدَه من النار ») أخرجه الترمذي (٢٦٥٤) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه بنحوه .

تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : كُنَّا نَأْمُرُ بِٱلْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ ، وَنَنْهَىٰ عَنِ ٱلشَّرِّ وَنَأْتِيهِ »[1] .

فَإِيَّاكَ يَا مِسْكِينُ : أَنْ تُذْعِنَ لِتَزْوِيرِهِ ، وَتَتَدَلَّىٰ بِحَبْلِ غُرُورِهِ .

فَوَيْلٌ لِلْجَاهِلِ حَيْثُ لَمْ يَتَعَلَّمْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ[2] .

❀ ❀ ❀

وَٱعْلَمْ رَحِمَكَ ٱللهُ : أَنَّ ٱلنَّاسَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :

ـ رَجُلٌ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ لِيَدَّخِرَهُ زَاداً إِلَى ٱلْمَعَادِ ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ؛ فَهَـٰذَا مِنَ ٱلْفَائِزِينَ .

❀ ❀ ❀

ـ وَرَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ ٱلْعَاجِلَةِ ، وَيَنَالَ بِهِ ٱلْعِزَّ وَٱلْجَاهَ وَٱلْمَالَ ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَٰلِكَ ، مُسْتَشْعِرٌ فِي قَلْبِهِ رَكَاكَةَ حَالِهِ ، وَخِسَّةَ مَقْصَدِهِ ؛ فَهَـٰذَا مِنَ ٱلْمُخَاطِرِينَ .

فَإِنْ عَاجَلَهُ أَجَلُهُ قَبْلَ ٱلتَّوْبَةِ . . خِيفَ عَلَيْهِ سُوءُ ٱلْخَاتِمَةِ ، وَبَقِيَ أَمْرُهُ فِي خَطَرِ ٱلْمَشِيئَةِ .

---

(١) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٥٣) ، وأحمد (١٢٠/٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) وقد قيل : إذا تجرد العلم عن العمل . . كان عقيماً ، وإذا خلا العمل عن العلم . . كان سقيماً . « آداب المريدين » [(ص ٣٢)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

وَإِنْ وُفِّقَ لِلتَّوْبَةِ قَبْلَ حُلُولِ ٱلْأَجَلِ ، وَأَضَافَ إِلَى ٱلْعِلْمِ ٱلْعَمَلَ ، وَتَدَارَكَ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنَ ٱلْخَلَلِ . . ٱلْتَحَقَ بِٱلْفَائِزِينَ ؛ فَإِنَّ ٱلتَّائِبَ مِنَ ٱلذَّنْبِ . . كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

❀ ❀ ❀

ـ وَرَجُلٌ ثَالِثٌ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ ، فَٱتَّخَذَ عِلْمَهُ ذَرِيعَةً إِلَى ٱلتَّكَاثُرِ بِٱلْمَالِ ، وَٱلتَّفَاخُرِ بِٱلْجَاهِ ، وَٱلتَّعَزُّزِ بِكَثْرَةِ ٱلْأَتْبَاعِ ، يَدْخُلُ بِعِلْمِهِ كُلَّ مَدْخَلٍ ؛ رَجَاءَ أَنْ يَقْضِيَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَطَرَهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ يُضْمِرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَ ٱللهِ بِمَكَانٍ ؛ لِٱتِّسَامِهِ بِسِمَةِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَتَرَسُّمِهِ بِرُسُومِهِمْ فِي ٱلزِّيِّ وَٱلْمَنْطِقِ ، مَعَ تَكَالُبِهِ عَلَى ٱلدُّنْيَا ظَاهِراً وَبَاطِناً ؛ فَهَـٰذَا مِنَ ٱلْهَالِكِينَ ، وَمِنَ ٱلْحَمْقَى ٱلْمَغْرُورِينَ ؛ إِذِ ٱلرَّجَاءُ مُنْقَطِعٌ عَنْ تَوْبَتِهِ ؛ لِظَنِّهِ أَنَّهُ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ قَوْلِ ٱللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ .

وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا مِنْ غَيْرِ ٱلدَّجَّالِ . . أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلدَّجَّالِ » فَقِيلَ : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؟ قَالَ : « عُلَمَاءُ ٱلسُّوءِ »[1] .

وَهَـٰذَا لِأَنَّ ٱلدَّجَّالَ غَايَتُهُ ٱلْإِضْلَالُ ، وَمِثْلُ هَـٰذَا ٱلْعَالِمِ إِنْ صَرَفَ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِلِسَانِهِ وَمَقَالِهِ . . فَهُوَ دَاعٍ لَهُمْ إِلَيْهَا بِأَعْمَالِهِ

(١) أخرجه أحمد (٥/١٤٥) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه بنحوه .

وَأَحْوَالِهِ ، وَلِسَانُ ٱلْحَالِ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ ٱلْمَقَالِ ، وَطِبَاعُ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلْمُسَاعَدَةِ فِي ٱلْأَعْمَالِ . . أَمْيَلُ مِنْهَا إِلَى ٱلْمُتَابَعَةِ فِي ٱلْأَقْوَالِ .

فَمَا أَفْسَدَهُ هَـٰذَا ٱلْمَغْرُورُ بِأَعْمَالِهِ أَكْثَرُ مِمَّا أَصْلَحَهُ بِأَقْوَالِهِ ؛ إِذْ لَا يَسْتَجْرِئُ ٱلْجَاهِلُ عَلَى ٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَّا بِٱسْتِجْرَاءِ ٱلْعُلَمَاءِ ، فَقَدْ صَارَ عِلْمُهُ سَبَباً لِجَرَاءَةِ عِبَادِ ٱللهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ ، وَنَفْسُهُ ٱلْجَاهِلَةُ مُدِلَّةٌ مَعَ ذَٰلِكَ تُمَنِّيهِ وَتُرَجِّيهِ ، وَتَدْعُوهُ إِلَىٰ أَنْ يَمُنَّ عَلَى ٱللهِ بِعِلْمِهِ ، وَتُخَيِّلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ٱلْأَمَّارَةُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ .

فَكُنْ أَيُّهَا ٱلطَّالِبُ مِنَ ٱلْفَرِيقِ ٱلْأَوَّلِ ، وَٱحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْفَرِيقِ ٱلثَّانِي ؛ فَكَمْ مِنْ مُسَوِّفٍ عَاجَلَهُ ٱلْأَجَلُ قَبْلَ ٱلتَّوْبَةِ فَخَسِرَ !! وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْفَرِيقِ ٱلثَّالِثِ ، فَتَهْلِكَ هَلَاكاً لَا يُرْجَىٰ مَعَهُ فَلَاحُكَ ، وَلَا يُنْتَظَرُ صَلَاحُكَ .

❁ ❁ ❁

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا بِدَايَةُ ٱلْهِدَايَةِ لِأُجَرِّبَ نَفْسِي فِيهَا ؟

فَٱعْلَمْ : أَنَّ بِدَايَتَهَا ظَاهِرُ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَنِهَايَتَهَا بَاطِنُ ٱلتَّقْوَىٰ ، فَلَا عَاقِبَةَ إِلَّا لِلتَّقْوَىٰ ، وَلَا هُدىً إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ .

وَٱلتَّقْوَىٰ : عِبَارَةٌ عَنِ ٱمْتِثَالِ أَوَامِرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

فَهُمَا قِسْمَانِ ، وَأَنَا أُشِيرُ عَلَيْكَ بِجُمَلٍ مُخْتَصَرَةٍ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ ٱلتَّقْوَىٰ فِي ٱلْقِسْمَيْنِ جَمِيعاً .

❋ ❋ ❋

القِسمُ الأَوّلُ

فِي الطّاعَاتِ

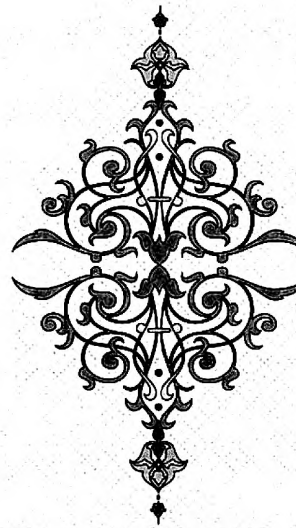

القسم الأوّل
في الطّاعات

ٱعْلَمْ : أَنَّ أَوَامِرَ ٱللهِ تَعَالَىٰ : فَرَائِضُ ، وَنَوَافِلُ .

فَٱلْفَرْضُ : رَأْسُ ٱلْمَالِ ، وَبِهِ تَحْصُلُ ٱلنَّجَاةُ .

وَٱلنَّفْلُ : هُوَ ٱلرِّبْحُ ، وَبِهِ ٱلْفَوْزُ بِٱلدَّرَجَاتِ .

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ٱلْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا ٱفْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَزَالُ ٱلْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ . . كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ ٱلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ ٱلَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَيَدَهُ ٱلَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ ٱلَّتِي يَمْشِي بِهَا »[1] .

وَلَنْ تَصِلَ أَيُّهَا ٱلطَّالِبُ إِلَى ٱلْقِيَامِ بِأَوَامِرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . إِلَّا بِمُرَاقَبَةِ قَلْبِكَ وَجَوَارِحِكَ فِي لَحَظَاتِكَ وَأَنْفَاسِكَ ، مِنْ حِينِ تُمْسِي إِلَىٰ حِينِ تُصْبِحُ .

❁ ❁ ❁

فَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ ضَمِيرِكَ ، وَمُشْرِفٌ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ ، وَمُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَطَرَاتِكَ وَلَحَظَاتِكَ وَخَطَوَاتِكَ ، وَسَائِرِ سَكَنَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ ، وَأَنَّكَ فِي مُخَالَطَتِكَ وَفِي خَلَوَاتِكَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَلَا يَسْكُنُ فِي ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ سَاكِنٌ وَلَا يَتَحَرَّكُ مُتَحَرِّكٌ . . إِلَّا وَجَبَّارُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ (١) .

فَتَأَدَّبْ أَيُّهَا ٱلْمِسْكِينُ ظَاهِراً وَبَاطِناً بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . تَأَدُّبَ ٱلْعَبْدِ ٱلذَّلِيلِ ٱلْمُذْنِبِ فِي حَضْرَةِ ٱلْجَبَّارِ ٱلْقَهَّارِ ، **وَٱجْتَهِدْ أَلَّا يَرَاكَ مَوْلَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، وَلَا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ** .

وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا بِأَنْ تُوَزِّعَ أَوْقَاتَكَ ، وَتُرَتِّبَ أَوْرَادَكَ مِنْ صَبَاحِكَ إِلَىٰ مَسَائِكَ (٢) .

فَأَصْغِ إِلَىٰ مَا يُلْقَىٰ إِلَيْكَ ، مِنْ أَوَامِرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ ، مِنْ حِينِ تَسْتَيْقِظُ مِنْ مَنَامِكَ ، إِلَىٰ وَقْتِ رُجُوعِكَ إِلَىٰ مَضْجَعِكَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) يؤكد ذٰلك قولُه تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ ، وقولُه تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ .

(٢) قال عليه الصلاة والسلام : **ينبغي للمؤمن أن يكون له أربعُ ساعات من النهار** : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يأتي فيها العلماء الذين يبصّرونه بأمر الله وينصحونه ، وساعة يُخَلّي بين نفسه ولذاتها فيما يحلُّ ويجمُل . « آداب المريدين » [(ص ٥٦)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** . وأخرجه هناد في « الزهد » (١٢٢٦) من قول وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ .

فصل
في آداب الاستيقاظ من النوم

فَإِذَا ٱسْتَيْقَظْتَ مِنَ ٱلنَّوْمِ . . فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ ، وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا يَجْرِي عَلَىٰ قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ ذِكْرُ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

فَقُلْ عِنْدَ ذَٰلِكَ :

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ .

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ ٱلْمُلْكُ لِلهِ ، وَٱلْعَظَمَةُ وَٱلسُّلْطَانُ لِلهِ ، وَٱلْعِزَّةُ وَٱلْقُدْرَةُ لِلهِ .

أَصْبَحْنَا عَلَىٰ فِطْرَةِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَعَلَىٰ كَلِمَةِ ٱلْإِخْلَاصِ ، وَعَلَىٰ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَىٰ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ بِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ ٱلنُّشُورُ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَٰذَا ٱلْيَوْمِ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءاً أَوْ نَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ أَوْ يَجُرَّهُ أَحَدٌ إِلَيْنَا .

نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ ، وَخَيْرَ مَا فِيهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا فِيهِ ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ[1] .

❁ ❁ ❁

فَإِذَا لَبِسْتَ ثِيَابَكَ . . فَٱنْوِ بِهِ ٱمْتِثَالَ أَمْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي سَتْرِ عَوْرَتِكَ ، وَٱحْذَرْ أَنْ يَكُونَ قَصْدُكَ مِنْ لِبَاسِكَ مُرَاءَاةَ ٱلْخَلْقِ .

❋ ❋ ❋

(١) الحمد لله الذي رَدَّ عليَّ روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره . لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير . الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة ، والحمد لله الذي بعثني سالماً سويّاً ، أشهد أن الله يحيي الموتىٰ ، وهو علىٰ كل شيء قدير . لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك . اللهمَّ ؛ زدني علماً ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب . « أذكار » [(ص ٥٧ ـ ٥٨)] . انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ .

باب آداب دخول الخلاء

فَإِذَا قَصَدْتَ بَيْتَ ٱلْمَاءِ لِقَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ . . فَقَدِّمْ فِي ٱلدُّخُولِ : رِجْلَكَ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَفِي ٱلْخُرُوجِ : رِجْلَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ، وَلَا تَسْتَصْحِبْ شَيْئاً عَلَيْهِ ٱسْمُ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱسْمُ رَسُولِهِ ، وَلَا تَدْخُلْ حَاسِرَ ٱلرَّأْسِ [1] .

وَقُلْ عِنْدَ ٱلدُّخُولِ :

بِٱسْمِ ٱللهِ ، أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلرِّجْسِ ٱلنَّجِسِ ، ٱلْخَبِيثِ ٱلْمُخْبِثِ ، ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ .

وَعِنْدَ ٱلْخُرُوجِ :

غُفْرَانَكَ ، ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِينِي ، وَأَبْقَىٰ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي .

وَيَنْبَغِي : أَنْ تُعِدَّ ٱلنُّبَلَ قَبْلَ قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ ، وَأَلَّا تَسْتَنْجِيَ بِٱلْمَاءِ فِي مَوْضِعِ قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ ، وَأَنْ تَسْتَبْرِئَ مِنَ ٱلْبَوْلِ بِٱلتَّنَحْنُحِ وَٱلنَّتْرِ ثَلَاثاً ، وَبِإِمْرَارِ ٱلْيَدِ عَلَىٰ أَسْفَلِ ٱلْقَضِيبِ .

وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلصَّحْرَاءِ . . فَٱبْعُدْ عَنْ أَعْيُنِ ٱلنَّاظِرِينَ ، وَٱسْتَتِرْ بِشَيْءٍ إِنْ وَجَدْتَهُ ، وَلَا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ قَبْلَ ٱلِٱنْتِهَاءِ إِلَىٰ مَوْضِعِ

---

(١) لأن كشفه ينشأ عنه الفَرَقُ من الجن والنسيانُ وعلوقُ الرائحة بالشعر ، فستر الرأس عند دخول الخلاء ـ الحمَّام ـ من السُّنة ، وكذلك لبس النعلين .

ٱلْجُلُوسِ ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ ٱلشَّمْسَ وَلَا ٱلْقَمَرَ وَلَا تَسْتَدْبِرْهُمَا ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ ٱلْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرْهَا ، وَلَا تَجْلِسْ فِي مُتَحَدَّثِ ٱلنَّاسِ ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ ، وَلَا تَبُلْ فِي ٱلْمَاءِ ٱلرَّاكِدِ ، وَلَا تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْمُثْمِرَةِ ، وَلَا فِي ٱلْجُحْرِ .

وَٱحْذَرِ ٱلْأَرْضَ ٱلصُّلْبَةَ ، وَمَهَابَّ ٱلرِّيَاحِ ؛ ٱحْتِرَازاً مِنَ ٱلرَّشَاشِ .

وَٱتَّكِئْ فِي جُلُوسِكَ عَلَى ٱلرِّجْلِ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَلَا تَبُلْ قَائِماً إِلَّا عَنْ ضَرُورَةٍ ، وَٱجْمَعْ فِي ٱلِٱسْتِنْجَاءِ بَيْنَ ٱسْتِعْمَالِ ٱلْحَجَرِ وَٱلْمَاءِ (١) .

وَإِنْ أَرَدْتَ ٱلِٱقْتِصَارَ عَلَى ٱلْحَجَرِ . . فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ طَاهِرَةٍ مُنَشِّفَةٍ لِلْعَيْنِ تَمْسَحُ بِهَا مَحَلَّ ٱلنَّجْوِ ؛ بِحَيْثُ لَا تَنْتَقِلُ ٱلنَّجَاسَةُ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَكَذَٰلِكَ تَمْسَحُ ٱلْقَضِيبَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ حَجَرٍ .

فَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ ٱلْإِنْقَاءُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ . . فَتَمِّمْ خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً ، إِلَىٰ أَنْ تُنْقِيَ بِٱلْأَوْتَارِ .

فَٱلْإِيتَارُ مُسْتَحَبٌّ ، وَٱلْإِنْقَاءُ وَاجِبٌ .

وَلَا تَسْتَنْجِ إِلَّا بِٱلْيَدِ ٱلْيُسْرَىٰ (٢) .

---

(١) وإن أردت الاقتصار علىٰ أحدهما . . فالماء أفضل .

(٢) وابدأ في الاستنجاء بالماء بالقُبل ، وعند إرادتك الاستنجاء بالحجر . . فابدأ بالدبر ، وخذ الحجر بيمينك ، وانظر إليه قبل رميه ؛ لتعلم أنه أنقىٰ أم لا .

ثم اعلم : أنه يسن الجمع بين الحجر والماء في الاستنجاء ، فإن أراد الاقتصار علىٰ أحدهما . . فالماء أفضل .

وَقُلْ عِنْدَ ٱلْفَرَاغِ مِنَ ٱلِٱسْتِنْجَاءِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ ٱلنِّفَاقِ ، وَحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ ٱلْفَوَاحِشِ .

وَٱدْلُكْ يَدَكَ بَعْدَ تَمَامِ ٱلِٱسْتِنْجَاءِ بِٱلْأَرْضِ أَوْ بِحَائِطٍ ، ثُمَّ ٱغْسِلْهَا .

باب آداب الوضوء

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلِٱسْتِنْجَاءِ . . فَلَا تَتْرُكِ ٱلسِّوَاكَ ؛ فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ، وَمَسْخَطَةٌ لِلشَّيْطَانِ .

وَصَلَاةٌ بِسِوَاكٍ . . أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ [1] .

❁ ❁ ❁

ـ ثُمَّ ٱجْلِسْ لِلْوُضُوءِ مُسْتَقْبِلَ ٱلْقِبْلَةِ عَلَىٰ مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ كَيْ لَا يُصِيبَكَ ٱلرَّشَاشُ ، وَقُلْ :

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ .

ـ ثُمَّ ٱغْسِلْ يَدَيْكَ ثَلَاثاً قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمَا ٱلْإِنَاءَ ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْيُمْنَ وَٱلْبَرَكَةَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلشُّؤْمِ وَٱلْهَلَكَةِ .

ـ ثُمَّ ٱنْوِ رَفْعَ ٱلْحَدَثِ ، أَوِ ٱسْتِبَاحَةَ ٱلصَّلَاةِ .

---

(١) أخرج البخاري (٨٨٧) ، ومسلم (٢٥٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق علىٰ أمتي . . لأمرتهم بالسواك في كل صلاة » . وأخرج أحمد عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت بالسواك حتىٰ خشيت أن يكتب علي » .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْزُبَ نِيَّتُكَ قَبْلَ غَسْلِ ٱلْوَجْهِ ؛ فَلَا يَصِحُّ وُضُوءُكَ .

ـ ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لِفِيكَ وَتَمَضْمَضْ بِهَا ثَلَاثاً ، وَبَالِغْ فِي رَدِّ ٱلْمَاءِ إِلَى ٱلْغَلْصَمَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِماً[1] ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ أَعِنِّي عَلَىٰ تِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَكَثْرَةِ ٱلذِّكْرِ لَكَ ، وَثَبِّتْنِي بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ .

ـ ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لِأَنْفِكَ ، وَٱسْتَنْشِقْ بِهَا ثَلَاثاً ، وَٱسْتَنْثِرْ بِهَا مَا فِي ٱلْأَنْفِ مِنْ رُطُوبَةٍ ، وَقُلْ فِي ٱلِٱسْتِنْشَاقِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ أَرِحْنِي رَائِحَةَ ٱلْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ .

وَفِي ٱلِٱسْتِنْثَارِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَائِحِ ٱلنَّارِ ، وَمِنْ سُوءِ ٱلدَّارِ .

ـ ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لِوَجْهِكَ ، فَٱغْسِلْ بِهَا مِنْ مُبْتَدَأِ تَسْطِيحِ ٱلْجَبْهَةِ إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ مَا يُقْبِلُ مِنَ ٱلذَّقَنِ فِي ٱلطُّولِ ، وَمِنَ ٱلْأُذُنِ إِلَى ٱلْأُذُنِ فِي ٱلْعَرْضِ ، وَأَوْصِلِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ مَوْضِعِ ٱلتَّحْذِيفِ ؛ وَهُوَ مَا يَعْتَادُ ٱلنِّسَاءُ تَنْحِيَةَ ٱلشَّعَرِ عَنْهُ ، مَا بَيْنَ رَأْسِ ٱلْأُذُنِ إِلَىٰ زَاوِيَةِ ٱلْجَبِينِ ؛ أَعْنِي : مَا يَقَعُ مِنْهُ فِي جِهَةِ ٱلْوَجْهِ ، وَأَوْصِلِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ مَنَابِتِ

---

(١) ولو كان الصيام نفلاً ، فلا تبالغ ، بل ترفق ؛ فإن سَبَقَ ماء المبالغة إلىٰ جوفك . . أفطرت ؛ لأنه متولد عن منهي عنه بخلاف ما يحصل بدون المبالغة .

ٱلشُّعُورِ ٱلْأَرْبَعَةِ : ٱلْحَاجِبَانِ ، وَٱلشَّارِبَانِ ، وَٱلْأَهْدَابُ ، وَٱلْعِذَارَانِ ؛ وَهُمَا مَا يُوَازِي ٱلْأُذُنَيْنِ مِنْ مُبْتَدَأِ ٱللِّحْيَةِ [1] .

وَيَجِبُ إِيصَالُ ٱلْمَاءِ إِلَىٰ مَنَابِتِ ٱللِّحْيَةِ ٱلْخَفِيفَةِ ، دُونَ ٱلْكَثِيفَةِ .

وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ ٱلْوَجْهِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ بَيِّضْ وَجْهِي بِنُورِكَ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَوْلِيَائِكَ ، وَلَا تُسَوِّدْ وَجْهِي بِظُلُمَاتِكَ يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ أَعْدَائِكَ .

وَلَا تَتْرُكْ تَخْلِيلَ ٱللِّحْيَةِ ٱلْكَثَّةِ .

ـ ثُمَّ ٱغْسِلْ يَدَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ثُمَّ ٱلْيُسْرَىٰ **ثَلَاثاً** مَعَ ٱلْمِرْفَقَيْنِ إِلَىٰ أَنْصَافِ ٱلْعَضُدَيْنِ [2] ؛ فَإِنَّ ٱلْحِلْيَةَ فِي ٱلْجَنَّةِ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ ٱلْوُضُوءِ .

وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ ٱلْيُمْنَىٰ :

ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي ، وَحَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً .

وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ ٱلشِّمَالِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُعْطِيَنِي كِتَابِي بِشِمَالِي ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي .

---

(١) أي : ما بين الصدغ والعارض .

(٢) ويُسَنُّ تحريكُ الخاتم إذا كان الماء يصل تحته من دون التحريك ، وإلَّا . . فيجب .

ـ ثُمَّ ٱسْتَوْعِبْ رَأْسَكَ بِٱلْمَسْحِ ؛ بِأَنْ تَبُلَّ يَدَيْكَ ، وَتُلْصِقَ رُؤُوسَ أَصَابِعِكَ ٱلْيُمْنَىٰ بِٱلْيُسْرَىٰ ، وَتَضَعَهُمَا عَلَىٰ مُقَدِّمَةِ ٱلرَّأْسِ ، وَتُمِرَّهُمَا إِلَى ٱلْقَفَا ، ثُمَّ تَرُدَّهُمَا إِلَى ٱلْمُقَدِّمَةِ ، فَهَـٰذِهِ مَرَّةٌ ، تَفْعَلُ ذَٰلِكَ ثَلَاثاً ، وَكَذَٰلِكَ فِي سَائِرِ ٱلْأَعْضَاءِ ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ حَرِّمْ شَعَرِي وَبَشَرِي عَلَى ٱلنَّارِ .

ـ ثُمَّ ٱمْسَحْ أُذُنَيْكَ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا بِمَاءٍ جَدِيدٍ ، وَأَدْخِلْ مُسَبِّحَتَيْكَ فِي صِمَاخَيْ أُذُنَيْكَ ، وَٱمْسَحْ ظَاهِرَ أُذُنَيْكَ بِبَاطِنِ إِبْهَامَيْكَ ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .

ٱللَّهُمَّ ؛ أَسْمِعْنِي مُنَادِيَ ٱلْجَنَّةِ مَعَ ٱلْأَبْرَارِ .

ـ ثُمَّ ٱمْسَحْ رَقَبَتَكَ [1] ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ فُكَّ رَقَبَتِي مِنَ ٱلنَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلسَّلَاسِلِ وَٱلْأَغْلَالِ .

---

(١) ذهب الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في « البسيط » ، و« الوسيط » (١/٢٨٨) ، و« الوجيز » (ص ٢٨) ، و« الخلاصة » (ص ٦٦) ، و« إحياء علوم الدين » (١/٤٩٤) إلىٰ سنيَّة مسح الرقبة ، ووافقه الإمام الرافعي في « العزيز » (١/١٣٠) .

ـ ثُمَّ ٱغْسِلْ رِجْلَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ثُمَّ ٱلْيُسْرَىٰ مَعَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَخَلِّلْ بِخِنْصِرِ ٱلْيَدِ ٱلْيُسْرَىٰ أَصَابِعَ رِجْلِكَ ٱلْيُمْنَىٰ مُبْتَدِئاً مِنْ خِنْصِرِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ بِخِنْصِرِ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَتُدْخِلُ ٱلْإِصْبَعَ مِنْ أَسْفَلَ ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ ثَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى ٱلصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ ٱلْأَقْدَامُ فِي ٱلنَّارِ .

وَكَذَٰلِكَ تَغْسِلُ ٱلْيُسْرَىٰ وَتَقُولُ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي عَلَى ٱلصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ أَقْدَامُ ٱلْمُنَافِقِينَ .

وَٱرْفَعِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ أَنْصَافِ ٱلسَّاقَيْنِ ، وَرَاعِ ٱلتَّكْرَارَ **ثَلَاثاً** فِي جَمِيعِ أَفْعَالِكَ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلْوُضُوءِ . . فَقُلْ :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، فَٱغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَابُ ٱلرَّحِيمُ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلتَّوَّابِينَ ، وَٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ، وَٱجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ، وَٱجْعَلْنِي صَبُوراً شَكُوراً ، وَٱجْعَلْنِي أَذْكُرُكَ ذِكْراً كَثِيراً ، وَأُسَبِّحُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً[1] .

---

(١) يندب أن تقول ذلك وأنت رافعٌ بصرَك إلى السماء .

فَمَنْ قَرَأَ هَـٰذِهِ ٱلدَّعَوَاتِ فِي وُضُوئِهِ . . خَرَجَتْ جَمِيعُ خَطَايَاهُ مِنْ أَعْضَائِهِ ، وَخُتِمَ عَلَىٰ وُضُوئِهِ بِخَاتَمٍ ، وَرُفِعَ لَهُ تَحْتَ ٱلْعَرْشِ ، فَلَا يَزَالُ يُسَبِّحُ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَيُقَدِّسُهُ وَيُكْتَبُ لَهُ ثَوَابُ ذَٰلِكَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ[1] .

وَٱجْتَنِبْ فِي وُضُوئِكَ سَبْعاً :

ـ لَا تَنْفُضْ يَدَيْكَ فَتَرُشَّ ٱلْمَاءَ .

ـ وَلَا تَلْطِمْ وَجْهَكَ وَرَأْسَكَ بِٱلْمَاءِ لَطْماً .

ـ وَلَا تَتَكَلَّمْ فِي أَثْنَاءِ ٱلْوُضُوءِ .

ـ وَلَا تَزِدْ فِي ٱلْغَسْلِ عَلَىٰ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ .

ـ وَلَا تُكْثِرْ صَبَّ ٱلْمَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ[2] بِمُجَرَّدِ ٱلْوَسْوَسَةِ[3] ؛ فَلِلْمُوَسْوِسِينَ شَيْطَانٌ يَضْحَكُ بِهِمْ يُقَالُ لَهُ : ٱلْوَلْهَانُ[4] .

---

(١) ومنها ـ [أي : سنن الوضوء] ـ **دعاءُ الأعضاء** ، وهو وإن كان لا أصل له في الصحة . . فقد جاء من طرق ضعيفة يُعمل بها في الفضائل . « عباب » [ص ٩١] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) قال صلى الله عليه وسلم : « سيكون قوم من هـٰذه الأمَّة يعتدون في [الدعاء و] الطُّهور » ويقال : (مِنْ وَهَنِ علم الرجل . . وُلوعُهُ بالماء في الطُّهور) « إحياء » [(١/٤٩٦)] . انتهىٰ من هامش (أ) ، والحديث أخرجه أبو داوود (٩٧) عن سيدنا عبد الله بن مغفل رضي الله عنه .

(٣) وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : (أول ما يَبدأُ الوسواسُ . . من قبل الطُّهور) « إحياء » [(١/٤٩٦)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٤) **الموسوس** : الذي تعتريه الوساوس ، بكسر الواو الثانية . انظر « تاج العروس » مادة (و س س) .

ـ وَلَا تَتَوَضَّأْ بِٱلْمَاءِ ٱلْمُشَمَّسِ .

ـ وَلَا مِنَ ٱلْأَوَانِي ٱلصُّفْرِيَّةِ[1] .

فَهَـٰذِهِ ٱلسَّبْعَةُ مَكْرُوهَةٌ فِي ٱلْوُضُوءِ[2] .

وَفِي ٱلْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ ذَكَرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ وُضُوئِهِ . . طَهَّرَ ٱللهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ ٱللهَ . . لَمْ يَطْهُرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَ ٱلْمَاءُ »[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) وذٰلك من جهة الطبِّ . « إحياء » [(١/٤٩٧)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

(٢) وكَرِهَ قومٌ التنشيفَ ، وقالوا : (الوضوء يوزن) قاله سعيد بن المسيب والزهري . « إحياء » [(١/٤٩٦)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

(٣) أخرجه الدارقطني في « سننه » (١/٧٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

ومهما فرغ من وضوئه ، وأقبل على الصلاة . . فينبغي أن يُخطِر بباله أنَّه طهَّر ظاهره ؛ وهو مطرح نظر الخلق ، فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله تعالىٰ من غير تطهير قلبه ؛ وهو موقع نظر الرب .

وليتحقق : أنَّ طهارة القلب بالتوبة من الأخلاق الذميمة ، وأنَّ مَنِ اقتصر علىٰ طهارة الظاهر . . كمَنْ أراد أن يدعوَ مَلِكاً إلىٰ بيته ، فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرَّاني من الدار . وما أجدرَ مثلَ هـٰذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار !! « إحياء » [(١/٤٩٧ ـ ٤٩٨)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

آداب الغسل من الجنابة

فَإِذَا أَصَابَتْكَ جَنَابَةٌ مِنِ ٱحْتِلَامٍ أَوْ وِقَاعٍ . . فَخُذِ ٱلْإِنَاءَ إِلَى ٱلْمُغْتَسَلِ ، وَٱغْسِلْ يَدَيْكَ أَوَّلاً **ثَلَاثاً** ، وَأَزِلْ مَا عَلَىٰ بَدَنِكَ مِنْ قَذَرٍ ، وَتَوَضَّأْ كَمَا سَبَقَ فِي وُضُوئِكَ لِلصَّلَاةِ مَعَ جَمِيعِ ٱلدَّعَوَاتِ وَٱلْأَذْكَارِ ، وَأَخِّرْ غَسْلَ قَدَمَيْكَ ؛ كَيْ لَا يَضِيعَ ٱلْمَاءُ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلْوُضُوءِ . . فَصُبَّ ٱلْمَاءَ عَلَىٰ شِقِّكَ ٱلْأَيْمَنِ **ثَلَاثاً** ، وَأَنْتَ نَاوٍ رَفْعَ ٱلْجَنَابَةِ ، ثُمَّ عَلَىٰ شِقِّكَ ٱلْأَيْسَرِ **ثَلَاثاً** ، ثُمَّ عَلَىٰ رَأْسِكَ **ثَلَاثاً** ، وَٱدْلُكْ مَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِكَ وَمَا أَدْبَرَ ، وَخَلِّلْ شَعَرَ رَأْسِكَ وَأَوْصِلِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ مَعَاطِفِ ٱلْبَدَنِ وَمَنَابِتِ ٱلشَّعَرِ مَا خَفَّ مِنْهُ وَمَا كَثُفَ .

وَٱحْذَرْ أَنْ تَمَسَّ ذَكَرَكَ بَعْدَ ٱلْوُضُوءِ ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ ٱلْيَدُ . . فَأَعِدِ ٱلْوُضُوءَ .

وَٱلْفَرِيضَةُ مِنْ جُمْلَةِ ذَٰلِكَ :

ٱلنِّيَّةُ ، وَٱسْتِيعَابُ ٱلْبَدَنِ بِٱلْغَسْلِ .

وَمِنَ ٱلْوُضُوءِ : غَسْلُ ٱلْوَجْهِ وَٱلْيَدَيْنِ مَعَ ٱلْمِرْفَقَيْنِ ، وَمَسْحُ بَعْضِ ٱلرَّأْسِ ، وَغَسْلُ ٱلرِّجْلَيْنِ مَعَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، **مَرَّةً مَرَّةً** ، مَعَ ٱلنِّيَّةِ ، وَٱلتَّرْتِيبِ .

وَمَا عَدَاهُ سُنَنٌ مُؤَكَّدَةٌ ، فَضْلُهَا كَثِيرٌ وَثَوَابُهَا جَزِيلٌ ، وَٱلْمُتَهَاوِنُ بِهَا خَاسِرٌ ، بَلْ هُوَ بِأَصْلِ فَرَائِضِهِ مُخَاطِرٌ ؛ فَإِنَّ ٱلنَّوَافِلَ جَوَابِرُ ٱلْفَرَائِضِ .

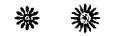

آداب التيمم

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ ٱلْمَاءِ لِفَقْدِهِ بَعْدَ ٱلطَّلَبِ ، أَوْ لِمَانِعٍ مِنَ ٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنْ سَبُعٍ أَوْ مِنْ حَابِسٍ ، أَوْ كَانَ ٱلْمَاءُ ٱلْحَاضِرُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِعَطَشِكَ أَوْ عَطَشِ رَفِيقِكَ ، أَوْ كَانَ مِلْكاً لِغَيْرِكَ وَلَمْ يَبِعْ إِلَّا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِ ٱلْمِثْلِ ، أَوْ كَانَ بِكَ جِرَاحَةٌ أَوْ مَرَضٌ تَخَافُ مِنْه عَلَىٰ نَفْسِكَ . . فَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَدْخُلَ وَقْتُ ٱلْفَرِيضَةِ .

ثُمَّ ٱقْصِدْ صَعِيداً طَيِّباً عَلَيْهِ تُرَابٌ خَالِصٌ طَاهِرٌ لَيِّنٌ ، فَٱضْرِبْ عَلَيْهِ كَفَّيْكَ ، ضَامّاً بَيْنَ أَصَابِعِكَ ، وَٱنْوِ ٱسْتِبَاحَةَ ٱلصَّلَاةِ ، وَٱمْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ كُلَّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَلَا تَتَكَلَّفْ إِيصَالَ ٱلْغُبَارِ إِلَىٰ مَنَابِتِ ٱلشُّعُورِ خَفَّتْ أَوْ كَثُفَتْ .

ثُمَّ ٱنْزِعْ خَاتَمَكَ ، وَٱضْرِبْ ضَرْبَةً ثَانِيَةً مُفَرِّجاً بَيْنَ أَصَابِعِكَ ، وَٱمْسَحْ بِهِمَا يَدَيْكَ مَعَ مِرْفَقَيْكَ .

فَإِنْ لَمْ تَسْتَوْعِبْهُمَا . . فَٱضْرِبْ ضَرْبَةً أُخْرَىٰ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَوْعِبَهُمَا .

ثُمَّ ٱمْسَحْ إِحْدَىٰ كَفَّيْكَ بِٱلْأُخْرَىٰ ، وَٱمْسَحْ مَا بَيْنَ أَصَابِعِكَ بِٱلتَّخْلِيلِ ، وَصَلِّ بِهِ فَرْضاً وَاحِداً ، وَمَا شِئْتَ مِنَ ٱلنَّوَافِلِ بَعْدَ ٱلْفَرْضِ .

فَإِذَا أَرَدْتَ فَرْضاً ثَانِياً . . فَٱسْتَأْنِفْ لَهُ تَيَمُّماً آخَرَ .

* * *

آداب الخروج إلى المسجد

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَتِكَ . . فَصَلِّ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ إِنْ كَانَ ٱلْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ ، كَذَٰلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ تَوَجَّهْ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ .

وَلَا تَدَعِ ٱلصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ، لَا سِيَّمَا صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ ؛ فَصَلَاةُ ٱلْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ ٱلْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً .

فَإِنْ كُنْتَ تَتَسَاهَلُ فِي مِثْلِ هَٰذَا ٱلرِّبْحِ . . فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ؟!

وَإِنَّمَا ثَمَرَةُ ٱلْعِلْمِ . . ٱلْعَمَلُ بِهِ .

فَإِذَا سَعَيْتَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ . . فَٱمْشِ عَلَىٰ هِينَةٍ وَتُؤَدَةٍ ، وَلَا تَعْجَلْ .

وَقُلْ فِي طَرِيقِكَ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ ٱلسَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ ٱلرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَٰذَا إِلَيْكَ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلَا بَطَراً وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، بَلْ خَرَجْتُ ٱتِّقَاءَ سَخَطِكَ ، وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ . . فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ ٱلنَّارِ ، وَأَنْ تُدْخِلَنِي ٱلْجَنَّةَ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

❋ ❋ ❋

آداب دخول المسجد إلى طلوع الشمس

فَإِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ ٱلْمَسْجِدِ . . فَقَدِّمْ رِجْلَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ .

وَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي ٱلْمَسْجِدِ مَنْ يَبِيعُ . . فَقُلْ : لَا أَرْبَحَ ٱللهُ تِجَارَتَكَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً . . فَقُلْ : لَا رَدَّ ٱللهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ ، كَذَٰلِكَ أَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَإِذَا دَخَلْتَ ٱلْمَسْجِدَ . . فَلَا تَجْلِسْ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ رَكْعَتَيِ ٱلتَّحِيَّةِ .

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَلَّيْتَ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ . . فَيُجْزِئُكَ أَدَاؤُهُمَا عَنِ ٱلتَّحِيَّةِ .

❁ ❁ ❁

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلرَّكْعَتَيْنِ . . فَٱنْوِ ٱلِٱعْتِكَافَ ، وَٱدْعُ بِمَا دَعَا بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ ، وَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي ، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي ، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي ، وَتُصْلِحُ

بِهَا دِينِي ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي ، وَتُلَقِّينِي بِهَا رُشْدِي ، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَاناً دَائِماً يُبَاشِرُ قَلْبِي ، وَأَسْأَلُكَ يَقِيناً صَادِقاً حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ ، وَرَضِّنِي بِمَا قَسَمْتَهُ لِي .

ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِنِي إِيمَاناً صَادِقاً ، وَيَقِيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلصَّبْرَ عِنْدَ ٱلْقَضَاءِ ، وَٱلْفَوْزَ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ ، وَمَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَعَيْشَ ٱلسُّعَدَاءِ ، وَٱلنَّصْرَ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي ، وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي ، وَقَصُرَ عَمَلِي ، وَٱفْتَقَرْتُ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ ٱلْأُمُورِ ، وَيَا شَافِيَ ٱلصُّدُورِ ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ ٱلْبُحُورِ . . أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ، وَمِنْ دَعْوَةِ ٱلثُّبُورِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلْقُبُورِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ وَمَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي أَوْ أُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ . . فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَهُ يَا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ ، حَرْباً لِأَعْدَائِكَ ، وَسِلْماً لِأَوْلِيَائِكَ ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ ٱلنَّاسَ ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ هَـٰذَا ٱلدُّعَاءُ ، وَعَلَيْكَ ٱلْإِجَابَةُ ، وَهَـٰذَا ٱلْجُهْدُ وَعَلَيْكَ ٱلتُّكْلَانُ ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ يَا ذَا ٱلْحَبْلِ ٱلشَّدِيدِ ، وَٱلْأَمْرِ ٱلرَّشِيدِ . . أَسْأَلُكَ ٱلْأَمْنَ يَوْمَ ٱلْوَعِيدِ ، وَٱلْجَنَّةَ يَوْمَ ٱلْخُلُودِ ، مَعَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٱلشُّهُودِ ، وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ، ٱلْمُوفِينَ بِٱلْعُهُودِ ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ .

سُبْحَانَ ٱلَّذِي تَعَطَّفَ بِٱلْعِزِّ وَقَالَ بِهِ .

سُبْحَانَ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ .

سُبْحَانَ ٱلَّذِي لَا يَنْبَغِي ٱلتَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ .

سُبْحَانَ ذِي ٱلْفَضْلِ وَٱلنِّعَمِ .

سُبْحَانَ ذِي ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْكَرَمِ .

سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ لِي نُوراً فِي قَلْبِي ، وَنُوراً فِي قَبْرِي ، وَنُوراً فِي سَمْعِي ، وَنُوراً فِي بَصَرِي ، وَنُوراً فِي شَعَرِي ، وَنُوراً فِي بَشَرِي ، وَنُوراً فِي لَحْمِي ، وَنُوراً فِي دَمِي ، وَنُوراً فِي عِظَامِي ، وَنُوراً مِنْ

بَيْنِ يَدَيَّ ، وَنُوراً مِنْ خَلْفِي ، وَنُوراً عَنْ يَمِينِي ، وَنُوراً عَنْ شِمَالِي ، وَنُوراً مِنْ فَوْقِي ، وَنُوراً مِنْ تَحْتِي .

ٱللَّهُمَّ ؛ زِدْنِي نُوراً ، وَأَعْطِنِي نُوراً ، وَٱجْعَلْ لِي نُوراً .

❀ ❀ ❀

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلدُّعَاءِ . . فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَىٰ أَدَاءِ ٱلْفَرِيضَةِ إِلَّا بِذِكْرِ ٱللهِ ، وَٱلتَّسْبِيحِ ، وَقِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْأَذَانَ فِي أَثْنَاءِ ذَٰلِكَ . . فَٱقْطَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ ، وَٱشْتَغِلْ بِجَوَابِ ٱلْمُؤَذِّنِ .

فَإِذَا قَالَ ٱلْمُؤَذِّنُ : (ٱللهُ أَكْبَرُ ، ٱللهُ أَكْبَرُ) . . فَقُلْ مِثْلَ ذَٰلِكَ ، وَكَذَٰلِكَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ .

فَإِذَا قَالَ : (حَيَّ عَلَى ٱلصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى ٱلْفَلَاحِ) . . فَقُلْ فِيهِمَا : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

فَإِذَا قَالَ : (ٱلصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ ٱلنَّوْمِ) . . فَقُلْ : صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْإِقَامَةَ . . فَقُلْ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، إِلَّا فِي قَوْلِهِ : (قَدْ قَامَتِ ٱلصَّلَاةُ) . . فَقُلْ : أَقَامَهَا ٱللهُ وَأَدَامَهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ جَوَابِ ٱلْمُؤَذِّنِ . . **فَقُلِ** :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ حُضُورِ صَلَاتِكَ ، وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ ،

وَإِدْبَارِ لَيْلِكَ ، وَإِقْبَالِ نَهَارِكَ . . أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْوَسِيلَةَ وَٱلْفَضِيلَةَ وَٱلدَّرَجَةَ ٱلرَّفِيعَةَ ، وَٱبْعَثْهُ ٱلْمَقَامَ ٱلْمَحْمُودَ ٱلَّذِي وَعَدْتَهُ ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْأَذَانَ وَأَنْتَ فِي ٱلصَّلَاةِ . . فَتَمِّمِ ٱلصَّلَاةَ ، ثُمَّ تَدَارَكِ ٱلْجَوَابَ بَعْدَ ٱلسَّلَامِ عَلَىٰ وَجْهِهِ .

❁ ❁ ❁

فَإِذَا أَحْرَمَ ٱلْإِمَامُ بِٱلْفَرْضِ . . فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِٱلِٱقْتِدَاءِ بِهِ ، وَصَلِّ رَكْعَتَيِ ٱلْفَرْضِ [1] كَمَا سَيُتْلَىٰ عَلَيْكَ فِي كَيْفِيَّةِ ٱلصَّلَاةِ وَآدَابِهَا .

فَإِذَا فَرَغْتَ . . فَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ .

ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ ٱلسَّلَامُ ، وَمِنْكَ ٱلسَّلَامُ ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ ٱلسَّلَامُ ، فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِٱلسَّلَامِ ، وَأَدْخِلْنَا دَارَ ٱلسَّلَامِ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ .

سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَلِيِّ ٱلْأَعْلَى ٱلْوَهَّابِ .

لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، يُحْيِي

---

(١) أي : صلاة الصبح .

وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ أَهْلُ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلْمِنَّةِ وَٱلْفَضْلِ وَٱلثَّنَاءِ ٱلْحَسَنِ .

لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ .

ثُمَّ ٱدْعُ بَعْدَ ذَٰلِكَ بِٱلْجَوَامِعِ ٱلْكَوَامِلِ ؛ وَهِيَ مِمَّا عَلَّمَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ رِضْوَانُ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ، فَقُلِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ ٱلْخَيْرِ كُلِّهِ ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلشَّرِّ كُلِّهِ ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ .

وَأَسْأَلُكَ ٱلْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ أَوِ ٱعْتِقَادٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ أَوِ ٱعْتِقَادٍ .

وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا ٱسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ وَمَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ . . فَٱجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رَشَداً[1] .

ثُمَّ ٱدْعُ بِمَا أَوْصَىٰ بِهِ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، وَقُلْ :

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ؛ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، لَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٠) ، والحاكم (٥٢١/١) .

وَلَا إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ[1] .

ثُمَّ قُلْ مَا قَالَهُ عِيسَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو ، وَأَصْبَحَ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ غَيْرِي ، وَأَصْبَحْتُ مَرْتَهَناً بِعَمَلِي ؛ فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي .

ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تُشْمِتْ بِي عَدُوِّي ، وَلَا تَسُؤْ بِي صَدِيقِي ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي ، وَلَا تَجْعَلِ ٱلدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي .

ثُمَّ ٱدْعُ بِمَا بَدَا لَكَ مِنَ ٱلدَّعَوَاتِ ٱلْمَأْثُورَاتِ وَٱحْفَظْهَا ، مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ (ٱلدَّعَوَاتِ) مِنْ كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ »[2] .

❀ ❀ ❀

وَلْتَكُنْ أَوْقَاتُكَ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ إِلَىٰ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مُوَزَّعَةً عَلَىٰ أَرْبَعِ وَظَائِفَ :

- **وَظِيفَةٍ فِي ٱلدَّعَوَاتِ .**

- **وَوَظِيفَةٍ فِي ٱلْأَذْكَارِ وَٱلتَّسْبِيحَاتِ ، تُكَرِّرُهَا فِي سُبْحَةٍ .**

---

(١) أخرجه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٣٣٠) ، والحاكم (٥٤٥/١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) إحياء علوم الدين (٣٤١/٢) .

- وَوَظِيفَةٍ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ .

- وَوَظِيفَةٍ فِي ٱلتَّفَكُّرِ .

وَتَفَكَّرْ فِي ذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ ، وَتَقْصِيرِكَ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاكَ ، وَتَعَرُّضِكَ لِعِقَابِهِ ٱلْأَلِيمِ ، وَسَخَطِهِ ٱلْعَظِيمِ .

وَتُرَتِّبُ بِتَدْبِيرِكَ أَوْرَادَكَ فِي جَمِيعِ يَوْمِكَ ؛ لِتَتَدَارَكَ بِهِ مَا فَرَطَ مِنْ تَقْصِيرِكَ ، وَتَتَحَرَّزَ بِهِ مِنَ ٱلتَّعَرُّضِ لِسَخَطِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي يَوْمِكَ .

وَتَنْوِي ٱلْخَيْرَ لِجَمِيعِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَتَعْزِمُ عَلَىٰ أَلَّا تَشْتَغِلَ فِي جَمِيعِ نَهَارِكَ إِلَّا بِطَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتُفَصِّلُ فِي قَلْبِكَ ٱلطَّاعَاتِ ٱلَّتِي تَقْدِرُ عَلَيْهَا ، وَتَخْتَارُ أَفْضَلَهَا ، وَتَتَأَمَّلُ فِي تَهْيِئَةِ أَسْبَابِهَا لِتَشْتَغِلَ بِهَا .

وَلَا تَدَعْ عَنْكَ ٱلتَّفَكُّرَ فِي قُرْبِ ٱلْأَجَلِ ، وَحُلُولِ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَاطِعِ لِلْأَمَلِ ، وَخُرُوجِ ٱلْأَمْرِ عَنِ ٱلِاخْتِيَارِ ، وَحُصُولِ ٱلْحَسْرَةِ وَٱلنَّدَامَةِ بِطُولِ ٱلِاغْتِرَارِ .

وَلْيَكُنْ مِنْ تَسْبِيحَاتِكَ وَأَذْكَارِكَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ :

إِحْدَاهَا : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ٱلثَّانِيَةُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ .

ٱلثَّالِثَةُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ، رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ .

ٱلرَّابِعَةُ : سُبْحَانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

ٱلْخَامِسَةُ : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ ٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلرُّوحِ .

ٱلسَّادِسَةُ : سُبْحَانَ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ .

ٱلسَّابِعَةُ : أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ، وَأَسْأَلُهُ ٱلتَّوْبَةَ وَٱلْمَغْفِرَةَ .

ٱلثَّامِنَةُ : ٱللَّهُمَّ ؛ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا ٱلْجَدِّ مِنْكَ ٱلْجَدُّ .

ٱلتَّاسِعَةُ : ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ .

ٱلْعَاشِرَةُ : بِٱسْمِ ٱللهِ ٱلَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ ٱسْمِهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ، وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ .

فَكَرِّرْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ فِي سُبْحَةٍ ؛ إِمَّا مِئَةَ مَرَّةٍ ، أَوْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، أَوْ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَهُوَ أَقَلُّهَا ؛ لِيَكُونَ ٱلْمَجْمُوعُ مِئَةَ مَرَّةٍ .

❁ ❁ ❁

وَلَازِمْ هَـٰذِهِ ٱلْأَوْرَادَ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ؛ فَفِي ٱلْخَبَرِ

أَنَّ ذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنْ إِعْتَاقِ ثَمَانِي رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ؛ أَعْنِي : ٱلِاشْتِغَالَ بِٱلذِّكْرِ إِلَىٰ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَخَلَّلَهُ كَلَامٌ[1] .

فَٱعْلَمْ ذَٰلِكَ . . تُوَفَّقْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أبو داوود الطيالسي في « مسنده » (٢١٠٤) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٣٨/٨) برقم (١٦٠٥٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه بنحوه .

آداب ما بعد طلوع الشّمس إلى الزّوال

فَإِذَا طَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ ، وَٱرْتَفَعَتْ قِيدَ رُمْحٍ [1] . . فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ؛ وَذَٰلِكَ عِنْدَ زَوَالِ وَقْتِ ٱلْكَرَاهَةِ لِلصَّلَاةِ ، فَإِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةِ ٱلصُّبْحِ إِلَى ٱرْتِفَاعِ ٱلشَّمْسِ .

❁ ❁ ❁

فَإِذَا أَضْحَى ٱلنَّهَارُ ، وَمَضَىٰ مِنْهُ قَرِيبٌ مِنْ رُبُعِهِ . . فَصَلِّ صَلَاةَ ٱلضُّحَىٰ أَرْبَعاً ، أَوْ سِتّاً ، أَو ثَمَانِيَ ؛ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ ؛ فَقَد نُقِلَتْ هَـٰذِهِ ٱلْأَعْدَادُ كُلُّهَا عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱلصَّلَاةُ خَيْرٌ كُلُّهَا ؛ فَمَنْ شَاءَ . . فَلْيَسْتَكْثِرْ ، وَمَنْ شَاءَ . . فَلْيَسْتَقْلِلْ .

❁ ❁ ❁

وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلطُّلُوعِ وَٱلزَّوَالِ رَاتِبَةٌ مِنَ ٱلصَّلَوَاتِ إِلَّا هَـٰذِهِ ، فَمَا فَضَلَ عَنْهُ مِنْ أَوْقَاتِكَ . . فَلَكَ فِيهِ أَرْبَعُ حَالَاتٍ :

ٱلْأُولَىٰ ـ وَهِيَ ٱلْأَفْضَلُ ـ : أَنْ تَصْرِفَهُ إِلَىٰ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ فِي ٱلدِّينِ ، دُونَ ٱلْفُضُولِ ٱلَّذِي أَكَبَّ ٱلنَّاسُ عَلَيْهِ وَسَمَّوْهُ عِلْماً .

---

(١) أي : قَدْرَ رمحٍ ، وترتفع قدره في أربع درج ، ما يساوي بعد الإشراق بست عشرة دقيقة ، مجموع ضرب أربع درج في أربع دقائق .

وَٱلْعِلْمُ ٱلنَّافِعُ مَا يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ [1] ، وَيَزِيدُ فِي بَصِيرَتِكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ ، وَيَزِيدُ فِي مَعْرِفَتِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُقَلِّلُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَيَزِيدُ فِي رَغْبَتِكَ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَيَفْتَحُ بَصِيرَتَكَ بِآفَاتِ أَعْمَالِكَ حَتَّىٰ تَتَحَرَّزَ مِنْهَا ، وَيُطْلِعُكَ عَلَىٰ مَكَايِدِ ٱلشَّيْطَانِ وَغُرُورِهِ وَكَيْفِيَّةِ تَلْبِيسِهِ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ ٱلسُّوءِ حَتَّىٰ عَرَّضَهُمْ لِمَقْتِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَخَطِهِ ؛ حَيْثُ أَكَلُوا ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ ، وَٱتَّخَذُوا ٱلْعِلْمَ وَسِيلَةً إِلَىٰ أَخْذِ ٱلْأَمْوَالِ مِنَ ٱلسَّلَاطِينِ ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ ٱلْأَوْقَافِ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ ، وَصَرَفَ هِمَّتَهُمْ طُولَ نَهَارِهِمْ إِلَىٰ طَلَبِ ٱلْجَاهِ وَٱلْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ ٱلْخَلْقِ ، وَٱضْطَرَّهُمْ ذَٰلِكَ إِلَى ٱلْمُرَاءَاةِ وَٱلْمُمَارَاةِ ، وَٱلْمُنَافَسَةِ وَٱلْمُبَاهَاةِ .

---

(١) **وأمَّا الخوف من عذاب الله** . . فمندوب إليه في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ . . . ﴾ [الآيات] . فمَنْ خاف مولاه في دنياه . . كان ناجياً في عقباه ، وكانت الجنة مأواه . وقال : مَنْ كان بالله أعرفَ . . كان من الله أخوفَ . وأصل هٰذا الكلام من كتاب الله تعالىٰ ، حيث قال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ۝ ﴾ . وقيل لأبي طارق الصيرفي : ما الخوف ؟ فقال : إنَّما خوف الخائف من يوم ينادىٰ فيه : ألا إنَّ فلان بن فلان شَقِيَ شقاوةً لا يَسعَد بعدها أبداً ، ألا إنَّ فلان بن فلان قد سَعِدَ سعادةً لا يشقىٰ بعدها أبداً . « رياض الأنس » [(ق/٥٨)] .

وممَّا ناجى الله به موسىٰ عليه السلام : قال تعالىٰ : يا موسىٰ ؛ خف الذي يعلم سرَّك وجهرك ، وارج مَنْ يملك الدنيا والآخرة ، وثق بمولىً لا يخلف وعده ، واحذر مَنْ يأخذك متىٰ شاء وحيث شاء . منه [(ق/٦٣)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** بتصرفٍ يسيرٍ .

وَهَـٰذَا ٱلْفَنُّ مِنَ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ قَدْ جَمَعْنَاهُ فِي كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ »[1] .

فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ . . فَحَصِّلْهُ وَٱعْمَلْ بِهِ ، ثُمَّ عَلِّمْهُ وَٱدْعُ إِلَيْهِ ؛ فَمَنْ عَلِمَ ذَٰلِكَ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا ٱلنَّاسَ إِلَيْهِ . . فَذَٰلِكَ يُدْعَىٰ عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ بِشَهَادَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ ذَٰلِكَ كُلِّهِ وَفَرَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ نَفْسِكَ ظَاهِراً وَبَاطِناً ، وَفَضَلَ شَيْءٌ مِنْ أَوْقَاتِكَ . . فَلَا بَأْسَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِعِلْمِ ٱلْمَذْهَبِ مِنَ ٱلْفِقْهِ ؛ لِتَعْرِفَ بِهِ ٱلْفُرُوعَ ٱلنَّادِرَةَ فِي ٱلْعِبَادَاتِ ، وَطَرِيقَ ٱلتَّوَسُّطِ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلْخُصُومَاتِ عِنْدَ إِكْبَابِهِمْ عَلَى ٱلشَّهَوَاتِ ؛ فَذَٰلِكَ أَيْضاً بَعْدَ ٱلْفَرَاغِ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْمُهِمَّاتِ . . مِنْ جُمْلَةِ فُرُوضِ ٱلْكِفَايَاتِ .

فَإِنْ دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَىٰ تَرْكِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ ٱلْأَوْرَادِ وَٱلْأَذْكَارِ ٱشْتِغَالاً بِذَٰلِكَ . . فَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ ٱللَّعِينَ قَدْ دَسَّ إِلَىٰ قَلْبِكَ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَ ؛ وَهُوَ حُبُّ ٱلْمَالِ وَٱلْجَاهِ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِهِ فَتَكُونَ ضُحْكَةً لَهُ فَيُهْلِكَكَ ، ثُمَّ يَسْخَرَ مِنْكَ .

وَإِنْ جَرَّبْتَ نَفْسَكَ مُدَّةً فِي ٱلْأَوْرَادِ وَٱلْعِبَادَاتِ ، وَكَانَتْ لَا تَسْتَثْقِلُهَا كَسَلاً عَنْهَا ، وَلَـٰكِنْ ظَهَرَتْ رَغْبَتُكَ فِي تَحْصِيلِ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ ، وَلَمْ تُرِدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ . . فَذَٰلِكَ

---

(١) إحياء علوم الدين (١/١٤٤) .

أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ ٱلْعِبَادَاتِ مَهْمَا صَحَّتْ لَكَ ٱلنِّيَّةُ ، وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّأْنَ فِي صِحَّةِ ٱلنِّيَّةِ .

فَإِذَا لَمْ تَصِحَّ . . فَهِيَ مَعْدِنُ غُرُورِ ٱلْجُهَّالِ ، وَمَزِلَّةُ أَقْدَامِ ٱلرِّجَالِ .

❁ ❁ ❁

ٱلْحَالَةُ ٱلثَّانِيَةُ : أَلَّا تَقْدِرَ عَلَىٰ تَحْصِيلِ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ ، وَلَـٰكِنْ تَشْتَغِلُ بِوَظَائِفِ ٱلْعِبَادَاتِ ؛ مِنَ ٱلذِّكْرِ وَٱلْقِرَاءَةِ وَٱلتَّسْبِيحَاتِ وَٱلصَّلَوَاتِ ؛ فَذَٰلِكَ مِنْ دَرَجَاتِ ٱلْعَابِدِينَ وَسِيَرِ ٱلصَّالِحِينَ ، وَتَكُونُ بِذَٰلِكَ أَيْضاً مِنَ ٱلْفَائِزِينَ .

❁ ❁ ❁

ٱلْحَالَةُ ٱلثَّالِثَةُ : أَنْ تَشْتَغِلَ بِمَا تُوصِلُ بِهِ خَيْراً إِلَى ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَتُدْخِلُ مِنْهُ سُرُوراً عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ تُيَسِّرُ بِهِ ٱلْأَعْمَالَ ٱلصَّالِحَةَ لِلصَّالِحِينَ ؛ كَخِدْمَةِ ٱلْفُقَهَاءِ وَٱلصُّوفِيَّةِ ٱلْمُحَقِّقِينَ وَأَهْلِ ٱلدِّينِ ، وَٱلتَّرَدُّدِ فِي أَشْغَالِهِمْ ، وَٱلسَّعْيِ فِي إِطْعَامِ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ [1] ، وَٱلتَّرَدُّدِ عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ بِٱلْعِيَادَةِ ، وَعَلَى ٱلْجَنَائِزِ

---

(١) وينبغي أن يغتنم خدمة الإخوان ويقدمها على النوافل ؛ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما رُئي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فارغاً في أهله قط ؛ إمَّا أن يَخصِف نعلاً لمسكين ، أو يَخيط ثوباً لأرملة) « آداب المريدين » [(ص ٥٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) ، وانظر « أمالي ابن سمعون » (١٣٧) ، و« تاريخ دمشق » (١٠١/٤) .

بِٱلتَّشْبِيعِ ؛ فَكُلُّ ذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلنَّوَافِلِ ، فَإِنَّ هَٰذِهِ عِبَادَاتٌ ، وَفِيهَا رِفْقٌ بِٱلْمُسْلِمِينَ .

❀ ❀ ❀

ٱلْحَالَةُ ٱلرَّابِعَةُ : أَلَّا تَقْوَىٰ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ، وَٱشْتَغَلْتَ بِحَاجَتِكَ ؛ ٱكْتِسَاباً عَلَىٰ نَفْسِكَ وَعَلَىٰ عِيَالِكَ [1] ، وَقَدْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْكَ ، وَأَمِنُوا مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ ، وَسَلِمَ لَكَ دِينُكَ ؛ إِذْ لَمْ تَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً ،

---

(١) أخرج الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٩٢٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١١٨١) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ اللهَ يحبُّ المؤمنَ المُحترِفَ » .

وأخرج الديلمي في « الفردوس » (٤١٠٥) عن سيدنا عطية بن بسر المازني رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « علَّم اللهُ آدمَ عليه السلام ألف حِرفة من الحِرَف ، وقال له : قل لذريتك ولولدك : إن لم يصبروا . . فليطلبوا الدنيا بهٰذه الحِرَف ولا يطلبوها بالدِّين ؛ فإنّ الدِّين لي وحدي خالصاً ، ويل لمن طلب الدنيا بالدِّين ، ويل له » .

وأخرج الشهاب في « مسنده » (٧١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَصلحوا دنياكم ، واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غداً » .

وقد كان لكل واحد من الأنبياء عليهم السلام حِرفة يعيش بها ؛ فكان آدم حرَّاثاً وحائكاً ، وكانت حواء غزَّالة ، وكان إدريس خيَّاطاً وخطَّاطاً ، وكان نوح نجَّاراً ، وزكريا نجَّاراً أيضاً ، وهود وصالح تاجرين ، وإبراهيم زرَّاعاً ونجَّاراً ، وأيوب زرَّاعاً ، وداوود زرَّاداً ، وسليمان خوَّاصاً ، وموسىٰ وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلى الله عليهم وسلم . . رعاةً . « بركة » [ص ٤٣] .

قال في « التحفة » [(٣٨٩/٩)] : (وأفضل المكاسب : الزراعةُ ؛ لأنَّها أعمُّ نفعاً ، وأقرب إلى التوكُّل ، وأسلم من الغش ، ثم : الصناعةُ ؛ لأنَّ فيها إتعاب النفس لطلب الحلال ، ثم : التجارةُ) انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ .

فَتَنَالُ بِذَٰلِكَ دَرَجَاتِ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ ٱلتَّرَقِّي إِلَىٰ مَقَامَاتِ ٱلسَّابِقِينَ ، **وَهَـٰذِهِ أَقَلُّ ٱلدَّرَجَاتِ فِي مَقَامَاتِ ٱلدِّينِ** ، وَمَا بَعْدَهَا . . فَهِيَ مِنْ مَرَاتِعِ ٱلشَّيَاطِينِ ؛ وَذَٰلِكَ بِأَنْ تَشْتَغِلَ ـ وَٱلْعِيَاذُ بِٱللهِ ـ بِمَا يَهْدِمُ دِينَكَ ، أَوْ تُؤْذِي عَبْداً مِنْ عِبَادِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ **فَهَـٰذِهِ رُتْبَةُ ٱلْهَالِكِينَ** ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فِي هَـٰذِهِ ٱلطَّبَقَةِ .

❁ ❁ ❁

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلْعَبْدَ فِي حَقِّ دِينِهِ عَلَىٰ ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ :

ـ **إِمَّا سَالِمٌ** ؛ وَهُوَ ٱلْمُقْتَصِرُ عَلَىٰ أَدَاءِ ٱلْفَرَائِضِ وَتَرْكِ ٱلْمَعَاصِي .

ـ **أَوْ رَابِحٌ** ؛ وَهُوَ ٱلْمُتَطَوِّعُ بِٱلْقُرُبَاتِ وَٱلنَّوَافِلِ .

ـ **أَوْ خَاسِرٌ** ؛ وَهُوَ ٱلْمُقَصِّرُ عَنِ ٱللَّوَازِمِ .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَكُونَ رَابِحاً . . فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ سَالِماً ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ خَاسِراً .

❁ ❁ ❁

وَٱلْعَبْدُ فِي حَقِّ سَائِرِ ٱلْعِبَادِ لَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ :

ٱلْأُولَىٰ : أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةَ ٱلْكِرَامِ ٱلْبَرَرَةِ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ ؛ وَهُوَ أَنْ يَسْعَىٰ فِي أَغْرَاضِهِمْ ؛ رِفْقاً بِهِمْ ، وَإِدْخَالاً لِلسُّرُورِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ .

ٱلثَّانِيَةُ : أَنْ يَنْزِلَ مَنْزِلَةَ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْجَمَادَاتِ فِي حَقِّهِمْ ؛ فَلَا يَنَالُهُمْ خَيْرُهُ ، وَلَٰكِنْ يَكُفُّ عَنْهُمْ شَرَّهُ .

ٱلثَّالِثَةُ : أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةَ ٱلْعَقَارِبِ وَٱلْحَيَّاتِ وَٱلسِّبَاعِ ٱلضَّارِيَاتِ ؛ لَا يُرْجَىٰ خَيْرُهُ ، وَيُتَّقَىٰ شَرُّهُ .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ تَلْتَحِقَ بِأُفُقِ ٱلْمَلَائِكَةِ . . فَٱحْذَرْ أَنْ تَنْزِلَ عَنْ دَرَجَةِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْجَمَادَاتِ إِلَىٰ مَرَاتِبِ ٱلْعَقَارِبِ وَٱلْحَيَّاتِ .

فَإِنْ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ ٱلنُّزُولَ مِنْ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ . . فَلَا تَرْضَ لَهَا بِٱلْهَوِيِّ إِلَىٰ أَسْفَلِ سَافِلِينَ ؛ فَلَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُوَ كَفَافاً ، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ .

❁ ❁ ❁

فَعَلَيْكَ فِي بَيَاضِ نَهَارِكَ : أَلَّا تَشْتَغِلَ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُكَ فِي مَعَادِكَ وَمَعَاشِكَ ، ٱلَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنِ ٱلِٱسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَىٰ مَعَادِكَ .

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ ٱلْقِيَامِ بِحَقِّ دِينِكَ مَعَ مُخَالَطَةِ ٱلنَّاسِ وَكُنْتَ لَا تَسْلَمُ . . **فَٱلْعُزْلَةُ أَوْلَىٰ بِكَ** ، فَعَلَيْكَ بِهَا ، فَفِيهَا ٱلسَّلَامَةُ[1] .

---

(١) فإنَّ خلطتهم في هٰذا الزمان سمٌّ قاتل ، وشغل عن الله شاغل . وقال الثوري : (هٰذا زمان السكوت ، ولزوم البيوت) وأنشد : [من الوافر]

زمانُكَ ذا زمانُ لزومِ بيتٍ وحفظٍ لِلّسانِ وخفضِ صوتِ

وقال أبو ذر : (نِعْمَ صومعةُ الرجل بيتُهُ ؛ يكفُّ فيها بصره وسمعه وقلبه وفرجه) . أفضل المجالس : حيثُ لا تُرىٰ ولا تَرىٰ ، والله ؛ لقد وجبت العزلة . [فإذا كان هٰذا وهُم على الحق أعوان ، وفي ذات الله إخوان ، فكيف في هٰذا الزمان ؟! الله المستعان] « بركة » [(ص ٦٦ ـ ٦٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

فَإِنْ كَانَتِ ٱلْوَسَاوِسُ فِي ٱلْعُزْلَةِ تُجَاذِبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يُرْضِي ٱللهَ تَعَالَىٰ ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ قَمْعِهَا بِوَظَائِفِ ٱلْعِبَادَاتِ . . فَعَلَيْكَ بِٱلنَّوْمِ[1] .

فَهَـٰذَا أَحْسَنُ أَحْوَالِكَ وَأَحْوَالِنَا ؛ إِذَا عَجَزْنَا عَنِ ٱلْغَنِيمَةِ . . فَرَضِينَا بِٱلسَّلَامَةِ فِي ٱلْهَزِيمَةِ .

وَأَخْسِسْ بِحَالِ مَنْ سَلَامَةُ دِينِهِ فِي تَعْطِيلِ حَيَاتِهِ ؛ إِذِ ٱلنَّوْمُ أَخُو ٱلْمَوْتِ ، وَهُوَ تَعْطِيلٌ لِلْحَيَاةِ ، وَٱلْتِحَاقٌ بِٱلْجَمَادَاتِ !!

فَٱعْلَمْ ذَٰلِكَ . . تُوَفَّقْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

---

(١) أخرج ابن ماجه (١٤١١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قالت أمُّ سليمان بن داوود لسليمان : يا بنيَّ ؛ لا تكثرِ النومَ باللَّيل ؛ فإنَّ كثرة النوم تَدَعُ الرجلَ فقيراً يوم القيامة » . وقالت ابنةُ الربيع بن خيثم لأبيها : يا أبتاه ؛ ما لي أرى الناس رُقوداً ولا تنام ؟ فقال : يا بنتاه ؛ إنَّ أباك يخاف البيات . ثم إن لم تقدر علىٰ مقاساةِ السهر . . فاعمل بطاعة الله رب البشر ؛ كما بلغنا عن أبي الدرداء أنه اشتكىٰ إلىٰ سلمان رضي الله عنه كثرة النوم ، فقال له : نم ما شئت ، فإذا استيقظت . . فاتق الله . « رياض الأنس » [(ق/ ٦١ ـ ٦٢)] . انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ .

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَعِدَّ قَبْلَ ٱلزَّوَالِ لِصَلَاةِ ٱلظُّهْرِ : فَتُقَدِّمَ ٱلْقَيْلُولَةَ إِنْ كَانَ لَكَ قِيَامٌ بِٱللَّيْلِ ، أَوْ سَهَرٌ فِي ٱلْخَيْرِ ؛ فَإِنَّ فِيهَا مَعُونَةً عَلَىٰ قِيَامِ ٱللَّيْلِ ، كَمَا أَنَّ فِي ٱلسُّحُورِ مَعُونَةً عَلَىٰ صِيَامِ ٱلنَّهَارِ ، وَٱلْقَيْلُولَةُ مِنْ غَيْرِ قِيَامٍ بِٱللَّيْلِ . . كَٱلسُّحُورِ مِنْ غَيْرِ صَوْمٍ بِٱلنَّهَارِ .

فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ ٱلزَّوَالِ[1] ، وَتَتَوَضَّأَ ، وَتَحْضُرَ ٱلْمَسْجِدَ ، وَتُصَلِّيَ ٱلتَّحِيَّةَ ، وَتَنْتَظِرَ ٱلْمُؤَذِّنَ وَتُجِيبَهُ ، ثُمَّ تَقُومَ فَتُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَقِيبَ ٱلزَّوَالِ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُهُنَّ وَيَقُولُ : « هَٰذَا وَقْتٌ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ »[2] .

وَهَٰذِهِ ٱلْأَرْبَعُ قَبْلَ ٱلظُّهْرِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ ؛ فَفِي ٱلْخَبَرِ : أَنَّ « مَنْ صَلَّاهُنَّ وَأَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ . . صَلَّىٰ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى ٱللَّيْلِ »[3] .

---

(١) أي : من نوم القيلولة إذا قِلْتَ .

(٢) أخرجه الترمذي (٤٧٨) عن سيدنا عبد الله بن السائب رضي الله عنه ، وأحمد (٤١٨/٥) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) أورده أبو طالب المكي رحمه الله تعالىٰ في « قوت القلوب » (٢٧/١) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٣٣٦/٣) .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْفَرْضَ مَعَ ٱلْإِمَامِ .

ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ ٱلْفَرْضِ رَكْعَتَيْنِ ؛ فَهُمَا مِنَ ٱلرَّوَاتِبِ ٱلثَّابِتَةِ .

وَلَا تَشْتَغِلْ إِلَى ٱلْعَصْرِ إِلَّا بِتَعَلُّمِ عِلْمٍ أَوْ إِعَانَةِ مُسْلِمٍ ، أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ ، أَوْ سَعْيٍ فِي مَعَاشٍ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ دِينِكَ .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ صَلِّ أَرْبَعاً قَبْلَ ٱلْعَصْرِ ، فَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ ؛ فَقَدْ قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ ٱللهُ عَبْداً صَلَّىٰ أَرْبَعاً قَبْلَ ٱلْعَصْرِ »[1] .

فَٱجْتَهِدْ أَنْ يَنَالَكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَا تَشْتَغِلْ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَقَ قَبْلَهُ .

❁ ❁ ❁

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتُكَ مُهْمَلَةً ، فَتَشْتَغِلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا ٱتَّفَقَ كَيْفَ ٱتَّفَقَ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ ، وَتُرَتِّبَ وَظَائِفَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَتُعَيِّنَ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلاً لَا يَتَعَدَّاهُ وَلَا تُؤْثِرُ فِيهِ سِوَاهُ ؛ فَبِهِ تَظْهَرُ بَرَكَةُ ٱلْأَوْقَاتِ .

فَأَمَّا مَنْ تَرَكَ نَفْسَهُ مُهْمَلاً سُدىً إِهْمَالَ ٱلْبَهَائِمِ ، لَا يَدْرِي بِمَا يَسْتَقْبِلُ كُلَّ وَقْتٍ . . فَتَنْقَضِي أَكْثَرُ أَوْقَاتِهِ ضَائِعَةً .

وَأَوْقَاتُكَ عُمْرُكَ ، وَعُمْرُكَ رَأْسُ مَالِكَ ، وَعَلَيْهِ تِجَارَتُكَ ، وَبِهِ

---

(١) أخرجه أبو داوود (١٢٦٥) ، والترمذي (٤٣٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وُصُولُكَ إِلَىٰ نَعِيمِ ٱلْأَبَدِ فِي جِوَارِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ فَكُلُّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِكَ جَوْهَرٌ لَا قِيمَةَ لَهُ ؛ إِذْ لَا بَدَلَ لَهُ ، فَإِذَا فَاتَ . . فَلَا عَوْدَةَ لَهُ .

فَلَا تَكُنْ كَٱلْحَمْقَى ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَ نُقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ .

فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ وَعُمْرٍ يَنْقُصُ ؟!

فَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِزِيَادَةِ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ ؛ فَإِنَّهُمَا رَفِيقَاكَ يَصْحَبَانِكَ فِي ٱلْقَبْرِ ؛ حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ وَمَالُكَ وَوَلَدُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ إِذَا ٱصْفَرَّتِ ٱلشَّمْسُ . . فَٱجْتَهِدْ أَنْ تَعُودَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ قَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ، وَتَشْتَغِلَ بِٱلتَّسْبِيحِ وَٱلِٱسْتِغْفَارِ ؛ فَإِنَّ فَضْلَ هَٰذَا ٱلْوَقْتِ . . كَفَضْلِ مَا قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ، قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

وَٱقْرَأْ قَبْلَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ : (وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا) ، وَ(وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) ، وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) .

وَلْتَغْرُبْ عَلَيْكَ ٱلشَّمْسُ وَأَنْتَ فِي ٱلِٱسْتِغْفَارِ .

فَإِذَا سَمِعْتَ ٱلْأَذَانَ . . فَأَجِبْ ، وَقُلْ بَعْدَهُ :

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ ، وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ ، وَحُضُورِ

صَلَاتِكَ ، وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ . . أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّداً ٱلْوَسِيلَةَ . . . ، وَٱلدُّعَاءُ كَمَا سَبَقَ[1] .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْفَرْضَ بَعْدَ جَوَابِ ٱلْإِقَامَةِ .

وَصَلِّ بَعْدَ ذَٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ ؛ فَإِنَّهُمَا رَاتِبَةُ ٱلْمَغْرِبِ .

وَإِنْ صَلَّيْتَ بَعْدَهُمَا أَرْبَعاً تُطِيلُهَا . . فَهِيَ أَيْضاً سُنَّةٌ .

وَإِنْ أَمْكَنَكَ أَنْ تَنْوِيَ ٱلِاعْتِكَافَ إِلَى ٱلْعِشَاءِ ، وَتُحْيِيَ مَا بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ بِٱلصَّلَاةِ . . فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ ذَٰلِكَ مَا لَا يُحْصَىٰ ؛ وَهِيَ نَاشِئَةُ ٱللَّيْلِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَشْئِهِ ؛ وَهِيَ صَلَاةُ ٱلْأَوَّابِينَ[2] .

وَسُئِلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴿١٦﴾ ﴾ . . فَقَالَ : « هِيَ ٱلصَّلَاةُ بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ ؛ إِنَّهَا لَتَذْهَبُ بِمَلَاغَاتِ ٱلنَّهَارِ ، وَتُهَذِّبُ آخِرَهُ »[3] .

وَٱلْمَلَاغَاتُ : جَمْعُ مَلْغَاةٍ ؛ وَهُوَ مِنَ ٱللَّغْوِ .

❁ ❁ ❁

فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ ٱلْعِشَاءِ . . فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ ٱلْفَرْضِ ؛

---

(١) انظر (ص ٨٤ ـ ٨٥) .

(٢) أي : الصلاة في هٰذا الوقت تسمىٰ صلاة الأوابين .

(٣) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٠٢٩) عن سيدنا سلمان رضي الله عنه .

إِحْيَاءً لِمَا بَيْنَ ٱلْأَذَانَيْنِ ، فَفَضْلُ ذَٰلِكَ كَثِيرٌ ، وَفِي ٱلْخَبَرِ : « إِنَّ ٱلدُّعَاءَ بَيْنَ ٱلْأَذَانِ وَٱلْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ »[1] .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْفَرْضَ ، وَصَلِّ ٱلرَّاتِبَةَ رَكْعَتَيْنِ ، وَٱقْرَأْ فِيهِمَا بِسُورَةِ (الٓمٓ ٱلسَّجْدَةِ) ، وَ(تَبَارَكَ ٱلْمُلْكِ) ، أَوْ سُورَةِ (يسٓ) وَ(ٱلدُّخَانِ) ، فَذَٰلِكَ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَصَلِّ بَعْدَهُمَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، فَفِي ٱلْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ فَضْلِهِ .

ثُمَّ صَلِّ ٱلْوِتْرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ **ثَلَاثاً** بِتَسْلِيمَتَيْنِ أَوْ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِـ (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ) ، وَ(قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) ، وَسُورَةِ (ٱلْإِخْلَاصِ) وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) .

وَإِنْ كُنْتَ عَازِماً عَلَىٰ قِيَامِ ٱللَّيْلِ . . فَأَخِّرِ ٱلْوِتْرَ ؛ لِيَكُونَ آخِرَ صَلَاتِكَ بِٱللَّيْلِ .

ثُمَّ ٱشْتَغِلْ بَعْدَ ذَٰلِكَ بِمُذَاكَرَةِ عِلْمٍ أَوْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ ، وَلَا تَشْتَغِلْ بِٱللَّهْوِ وَٱللَّعِبِ فَيَكُونَ ذَٰلِكَ خَاتِمَةَ أَعْمَالِكَ قَبْلَ نَوْمِكَ ؛ **فَإِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا** .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أبو داوود (٥٢٢) ، والترمذي (٢١٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

آداب النّوم

فَإِذَا أَرَدْتَ ٱلنَّوْمَ . . فَٱبْسُطْ فِرَاشَكَ مُسْتَقْبِلَ ٱلْقِبْلَةِ ، وَنَمْ عَلَىٰ يَمِينِكَ كَمَا يُضْجَعُ ٱلْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلنَّوْمَ مِثْلُ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْيَقَظَةَ مِثْلُ ٱلْبَعْثِ ، وَلَعَلَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقْبِضُ رُوحَكَ فِي لَيْلَتِكَ ، فَكُنْ مُسْتَعِدّاً لِلِقَائِهِ ؛ بِأَنْ تَنَامَ عَلَىٰ طَهَارَةٍ ، وَتَكُونَ وَصِيَّتُكَ مَكْتُوبَةً تَحْتَ وِسَادَتِكَ ، وَتَنَامَ تَائِباً عَنِ ٱلذُّنُوبِ مُسْتَغْفِراً ، عَازِماً عَلَىٰ أَلَّا تَعُودَ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ أَبَداً ، وَٱعْزِمْ عَلَى ٱلْخَيْرِ لِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْ بَعَثَكَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ سَتُضْجَعُ فِي ٱلْقَبْرِ كَذَٰلِكَ وَحِيداً فَرِيداً ، لَيْسَ مَعَكَ إِلَّا عَمَلُكَ ، وَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا بِسَعْيِكَ .

وَلَا تَسْتَجْلِبِ ٱلنَّوْمَ تَكَلُّفاً بِتَمْهِيدِ ٱلْفُرُشِ ٱلْوَطِيئَةِ ؛ فَإِنَّ ٱلنَّوْمَ تَعْطِيلُ ٱلْحَيَاةِ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ يَقَظَتُكَ وَبَالاً عَلَيْكَ ، فَنَوْمُكَ أَسْلَمُ لِدِينِكَ .

❀ ❀ ❀

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً ، فَلَا يَكُونَنَّ نَوْمُكَ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِي سَاعَاتٍ ، فَيَكْفِيكَ إِنْ عِشْتَ سِتِّينَ سَنَةً أَنْ تُضَيِّعَ مِنْهَا عِشْرِينَ سَنَةً ؛ وَهُوَ ٱلثُّلُثُ .

وَأَعِدَّ عِنْدَ ٱلنَّوْمِ سِوَاكَكَ وَطَهُورَكَ ، وَٱعْزِمْ عَلَىٰ قِيَامِ ٱللَّيْلِ ، وَعَلَى ٱلْقِيَامِ قَبْلَ ٱلصُّبْحِ .

فَرَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ . . كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ ٱلْبِرِّ ؛ فَٱسْتَكْثِرْ مِنْ كُنُوزِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ ، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكَ كُنُوزُ ٱلدُّنْيَا إِذَا مِتَّ[1] .

وَقُلْ عِندَ نَوْمِكَ[2] :

بِٱسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِٱسْمِكَ أَرْفَعُهُ ، فَٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي .

ٱللَّهُمَّ ؛ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ بِٱسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

أَنْتَ ٱلْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ ٱلْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ

---

(١) وفي الحديث : « **اغتنم خمساً قبل خمس** : شبابَك قبل هرمك ، وصحتَك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغَك قبل شغلك ، وحياتَك قبل موتك » . **انتهىٰ من هامش** (أ) بتصرفٍ يسيرٍ ، وقد أخرجه الحاكم (٤/٣٠٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٧٦٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) **وممَّا ينبغي للمسلم المحافظةُ عليه عند النوم من الأذكار** :

ـ أن يقول : سبحان الله (٣٣ مرة) ، والحمد لله (٣٣ مرة) ، والله أكبر (٣٤ مرة) ، وهٰذا مما أوصىٰ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم سيدنا عليّاً كرم الله وجهه وسيدتنا فاطمةَ الزهراء رضي الله عنها .

ـ وأن ينفث في اليدين عند قراءة سورة (الإخلاص) و(المعوذتين) وأن يمسح بهما جسده يفعل ذٰلك (٣ مرات) .

شَيْءٌ ، وَأَنْتَ ٱلظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ ٱلْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ؛ ٱقْضِ عَنِّي ٱلدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ ٱلْفَقْرِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي ، وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا ؛ إِنْ أَمَتَّهَا . . فَٱغْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا . . فَٱحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ ٱلصَّالِحِينَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ ٱلْعَفْوَ وَٱلْعَافِيَةَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ ٱلسَّاعَاتِ إِلَيْكَ ، وَٱسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ ٱلْأَعْمَالِ إِلَيْكَ ؛ لِتُقَرِّبَنِي إِلَيْكَ زُلْفَىٰ ، وَتُبْعِدَنِي مِنْ سَخَطِكَ بُعْداً ، أَسْأَلُكَ فَتُعْطِينِي ، وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرُ لِي ، وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبُ لِي .

ثُمَّ ٱقْرَأْ آيَةَ ٱلْكُرْسِيِّ ، وَ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . . ﴿٢٨٥﴾ ﴾ إِلَىٰ آخِرِ ٱلسُّورَةِ ، وَ(ٱلْإِخْلَاصَ) ، وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) ، وَسُورَةَ (تَبَارَكَ ٱلْمُلْكِ) .

وَلْيَأْخُذْكَ ٱلنَّوْمُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذِكْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَعَلَى ٱلطَّهَارَةِ ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ . . عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى ٱلْعَرْشِ ، وَكُتِبَ مُصَلِّياً حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ .

فَإِذَا ٱسْتَيْقَظْتَ . . فَٱرْجِعْ إِلَىٰ مَا قَدْ عَرَفْتَهُ أَوَّلاً ، وَدَاوِمْ عَلَىٰ هَٰذَا ٱلتَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ [1] .

---

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٢٦) ، عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ قال : (أما بعد : فكأنَّك في الدنيا لم تكن ، وفي الآخرة لم تزل) .
وأخرج الحاكم في « المستدرك » (٣١١/٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ←

فَإِنْ شَقَّ عَلَيْكَ ٱلْمُدَاوَمَةُ . . فَٱصْبِرْ صَبْرَ ٱلْمَرِيضِ عَلَىٰ مَرَارَةِ ٱلدَّوَاءِ ؛ ٱنْتِظَاراً لِلشِّفَاءِ ، وَتَفَكَّرْ فِي قِصَرِ عُمْرِكَ وَإِنْ عِشْتَ مِئَةَ سَنَةٍ ؛ فَذَٰلِكَ بِٱلْإِضَافَةِ إِلَىٰ مُقَامِكَ فِي ٱلدَّارِ ٱلْآخِرَةِ وَهِيَ أَبَدُ ٱلْآبَادِ . . قَلِيلٌ .

وَتَأَمَّلْ أَنَّكَ كَيْفَ تَتَحَمَّلُ ٱلْمَشَقَّةَ وَٱلذُّلَّ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا شَهْراً أَوْ سَنَةً ؛ رَجَاءَ أَنْ تَسْتَرِيحَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً مَثَلاً !! فَكَيْفَ لَا تَتَحَمَّلُ ذَٰلِكَ أَيَّاماً قَلَائِلَ ؛ رَجَاءَ ٱلِٱسْتِرَاحَةِ أَبَدَ ٱلْآبَادِ ؟!

وَلَا تُطَوِّلْ أَمَلَكَ فَيَثْقُلَ عَلَيْكَ عَمَلُكَ ، وَقَدِّرْ قُرْبَ ٱلْمَوْتِ ، وَقُلْ فِي نَفْسِكَ : إِنِّي أَتَحَمَّلُ ٱلْمَشَقَّةَ ٱلْيَوْمَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ ٱللَّيْلَةَ ، وَأَصْبِرُ ٱللَّيْلَةَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ غَداً ؛ فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ لَا يَهْجُمُ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ ، وَسِنٍّ مَخْصُوصٍ ، وَحَالٍ مَخْصُوصٍ [1] .

← رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل النور القلب . . انفسح وانشرح » ، قيل : يا رسول الله ؛ وهل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم ؛ التجافي عن دار الغرور ، والإنابةُ إلىٰ دار الخلود ، والاستعدادُ للموت قبل نزوله » . وسئل بعضُهم عن الاستعداد للموت فقال : (ثلاثةُ أشياء : اكتسابُ المكارم ، واجتنابُ المحارم ، والصبرُ على المكاره) .

وقال بعضُهم : (كلُّنا قد أيقن بالجنة وما نرىٰ لها طالباً ، وكلُّنا قد أيقن بالنار ولا نرىٰ منها هارباً ، وكلُّنا قد أيقن بالموت ولا نرىٰ له مُستعِدّاً) « رياض » [(ق/ ٦٤)] . انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ .

(١) في الحديث : « عجبتُ لغافلٍ لا يُغفل عنه ، وعجبتُ لمؤمِّلٍ دنيا والموتُ يطلبه ، وعجبتُ لضاحكٍ مِلءَ فيه ولا يدري أأرضى اللهَ أم أسخطَه » انتهى . انتهىٰ من هامش (أ) ، أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٥٩٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٠٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وَلَا بُدَّ مِنْ هُجُومِهِ ؛ فَٱلِٱسْتِعْدَادُ لَهُ أَوْلَىٰ مِنَ ٱلِٱسْتِعْدَادِ لِلدُّنْيَا ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَبْقَىٰ فِيهَا إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجَلِكَ إِلَّا نَفَسٌ ، أَوْ سَاعَةٌ ، أَوْ يَوْمٌ وَاحِدٌ .

فَقَدِّرْ هَٰذَا فِي قَلْبِكَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَكَلِّفْ نَفْسَكَ ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ يَوْماً فَيَوْماً ؛ فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ ٱلْبَقَاءَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَأَلْزَمْتَهَا ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . نَفَرَتْ وَٱسْتَصْعَبَتْ عَلَيْكَ .

فَإِنْ فَعَلْتَ ذَٰلِكَ . . فَرِحْتَ عندَ ٱلْمَوْتِ فَرَحاً لَا آخِرَ لَهُ ، وَإِنْ سَوَّفْتَ وَتَسَاهَلْتَ . . جَاءَكَ ٱلْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَا تَحْتَسِبُهُ ، وَتَحَسَّرْتَ تَحَسُّراً لَا آخِرَ لَهُ .

وَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلسُّرَىٰ ، وَعِنْدَ ٱلْمَوْتِ يَأْتِيكَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ .

❁ ❁ ❁

وَإِذْ قَدْ أَرْشَدْنَاكَ إِلَىٰ تَرْتِيبِ ٱلْأَوْرَادِ . . فَلْنَذْكُرْ كَيْفِيَّةَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ ، وَآدَابَهُمَا ، وَآدَابَ ٱلْإِمَامَةِ ، وَٱلْقُدْوَةِ ، وَٱلْجُمُعَةِ .

❋ ❋ ❋

آداب الصّلاة

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَةِ ٱلْحَدَثِ ، وَطَهَارَةِ ٱلْخَبَثِ فِي ٱلْبَدَنِ وَٱلثِّيَابِ وَٱلْمَكَانِ ، وَمِنْ سَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ مِنَ ٱلسُّرَّةِ إِلَى ٱلرُّكْبَةِ . . فَٱسْتَقْبِلِ ٱلْقِبْلَةَ قَائِماً مُرَاوِحاً بَيْنَ قَدَمَيْكَ ؛ بِحَيْثُ لَا تَضُمُّهُمَا[1] ، وَٱسْتَوِ قَائِماً[2] ، وَٱقْرَأْ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) تَحَصُّناً مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ، وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ ، وَفَرِّغْهُ مِنَ ٱلْوَسَاوِسِ ، وَٱنْظُرْ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَقُومُ وَمَنْ تُنَاجِي ، وَٱسْتَحْيِ أَنْ تُنَاجِيَ مَوْلَاكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ ، وَصَدْرٍ مَشْحُونٍ بِوَسَاوِسِ ٱلدُّنْيَا وَخَبَائِثِ ٱلشَّهَوَاتِ[3] .

❀ ❀ ❀

وَٱعْلَمْ : أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ سَرِيرَتِكَ ، وَنَاظِرٌ إِلَىٰ قَلْبِكَ ، وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللهُ صَلَاتَكَ . . بِقَدْرِ خُشُوعِكَ وَتَوَاضُعِكَ وَخُضُوعِكَ وَتَضَرُّعِكَ[4] .

---

(١) مُراوِحاً : مفرقاً ـ ندباً ـ بين قدميك قدر شبر .

(٢) وليكن على ذُكرك ها هنا خطرُ المَقام بين يدي الله في هول المُطَّلَع عند التعرُّض للسؤال ، والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر . « إحياء » [(١/٥٦٨ ، ٦١٦)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٣) وعند ذٰلك ينبغي : أن يعرق جبينك من الخجلة ، وترتعد فرائصُك من الهيبة ، ويصفرَّ وجهُك من الخوف . « إحياء » [(١/٦١٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٤) فرع : يُسنُّ أن يشرع في الصلاة بنشاط وفراغ قلب ، والخشوعُ فيها ، وأن ←

فَٱعْبُدْهُ فِي صَلَاتِكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ . . فَإِنَّهُ يَرَاكَ .

فَإِنْ لَمْ يَحْضُرْ قَلْبُكَ . . فَهَـٰذَا لِقُصُورِ مَعْرِفَتِكَ بِجَلَالِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

فَقَدِّرْ أَنَّ رَجُلاً صَالِحاً مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ بَيْتِكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ لِيَعْلَمَ كَيْفَ صَلَاتُكَ ؛ فَعِنْدَ ذَٰلِكَ يَحْضُرُ قَلْبُكَ ، وَتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ !!

ثُمَّ ٱرْجِعْ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَقُلْ : أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ خَالِقِكِ وَمَوْلَاكِ [1] ؛ إِذْ قَدَّرْتِ ٱطِّلَاعَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ مِنْ عِبَادِهِ عَلَيْكِ ، وَلَيْسَ بِيَدِهِ ضَرُّكِ وَلَا نَفْعُكِ ، خَشَعَتْ جَوَارِحُكِ ، وَحَسُنَتْ صَلَاتُكِ ، ثُمَّ إِنَّكِ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكِ ، وَلَا تَخْشَعِينَ لِعَظَمَتِهِ ؟!

أَهُوَ تَعَالَىٰ أَقَلُّ عِنْدَكِ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ؟!

فَمَا أَشَدَّ طُغْيَانَكِ وَجَهْلَكِ !! وَمَا أَعْظَمَ عَدَاوَتَكِ لِنَفْسِكِ !!

← يديم نظر محل سجوده ، إلا عند إشارته في التشهد كما مر ، ولا يكره تغميض عينيه بلا خوف ضرر ، بل إن كان أجمع لقلبه . . فهو أولىٰ ، وأن يتفكر في تلاوته وأفعاله وذنوبه وأمر آخرته ، ويكره في دنياه ، والتثاؤب حتىٰ خارج الصلاة ، فليرده ما استطاع ، وسدل ثوبه ، ويُسنُّ الإصغاء لإمامه ، وأن يتأنَّى الإمامُ في قراءته وذكره ودعائه وأفعاله ؛ ليتمكن الضعيف منها . « عباب » [(ص ١٩٣ ـ ١٩٤)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(١) قوله : (تستحيي) كذا في النسخ ، بحذف نون الرفع من غير وجود جازم ولا ناصب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا » .

فَعَالِجْ قَلْبَكَ بِهَـٰذِهِ ٱلْحِيَلِ ، فَعَسَاهُ أَنْ يَحْضُرَ مَعَكَ فِي صَلَاتِكَ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا .

وَأَمَّا مَا أَتَيْتَ بِهِ مَعَ ٱلْغَفْلَةِ . . فَهُوَ إِلَى ٱلِاسْتِغْفَارِ وَٱلتَّكْفِيرِ أَحْوَجُ .

❀ ❀ ❀

فَإِذَا حَضَرَ قَلْبُكَ . . فَلَا تَتْرُكِ ٱلْإِقَامَةَ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ .

وَإِنِ ٱنْتَظَرْتَ حُضُورَ جَمَاعَةٍ . . فَأَذِّنْ ثُمَّ أَقِمْ .

فَإِذَا أَقَمْتَ . . فَٱنْوِ [1] بِقَلْبِكَ أَدَاءَ فَرْضِ ٱلظُّهْرِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ ، وَلْيَكُنْ ذَٰلِكَ حَاضِراً فِي قَلْبِكَ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ ٱلْإِحْرَامِ [2] ، وَلَا يَعْزُبْ ذَٰلِكَ عَنْكَ قَبْلَ ٱلْفَرَاغِ مِنَ ٱلتَّكْبِيرِ [3] ، وَٱرْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ ٱلتَّكْبِيرِ بَعْدَ إِرْسَالِهِمَا أَوَّلاً إِلَىٰ مَنْكِبَيْكَ وَهُمَا مَبْسُوطَتَانِ ، وَأَصَابِعُهُمَا مَنْشُورَةٌ ، وَلَا تَتَكَلَّفْ ضَمَّهُمَا وَلَا تَفْرِيجَهُمَا ، وَٱرْفَعْ بِحَيْثُ يُحَاذِي إِبْهَامُكَ شَحْمَةَ أُذُنِكَ وَرُؤُوسُ أَصَابِعِكَ أَعَالِيَ أُذُنَيْكَ ، وَتُحَاذِي بِكَفَّيْكَ مَنْكِبَيْكَ .

---

(١) عازماً علىٰ إجابة الله في امتثال أمره بالصلاة . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) فإنَّه هو النية ، والألفاظ مُذكِّرات وأسباب لحضورها . « إحياء » [(١/٥٦٨)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٣) وإذا كبَّرت : فإن كان هواك أغلبَ عليك من أمر الله ، وأنت أطوع له منك لله . . فقد اتخذته إلـهك وكبرته ؛ فيوشك أن يكون قولك : (الله أكبر) كلاماً باللسان المجرد ، وقد تخلَّف القلب عن مساعدته ، وما أعظمَ الخطرَ في ذلك لولا التوبةُ والاستغفارُ وحسنُ الظنِّ بكرم الله وعفوه !! « إحياء » [(١/٦١٨)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

فَإِذَا ٱسْتَقَرَّتَا فِي مَقَرِّهِمَا . . فَكَبِّرْ ، ثُمَّ أَرْسِلْهُمَا بِرِفْقٍ وَلَا تَدْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ ٱلرَّفْعِ وَٱلْإِرْسَالِ إِلَىٰ قُدَّامٍ دَفْعاً ، وَلَا إِلَىٰ خَلْفٍ ، وَلَا تَنْفُضْهُمَا يَمِيناً وَشِمَالاً .

فَإِذَا أَرْسَلْتَهُمَا . . فَٱسْتَأْنِفْ رَفْعَهُمَا إِلَىٰ صَدْرِكَ .

وَأَكْرِمِ ٱلْيَمِينَ بِوَضْعِهَا عَلَى ٱلشِّمَالِ ، وَٱنْشُرْ أَصَابِعَ ٱلْيُمْنَىٰ فِي طُولِ ذِرَاعِكَ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَٱقْبِضْ بِهَا عَلَىٰ كُوعِهَا ، وَقُلْ بَعْدَ ٱلتَّكْبِيرِ : ٱللهُ أَكبَرُ كَبِيراً ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ كَثِيراً ، وَسُبْحَانَ ٱللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً .

ثُمَّ ٱقْرَأْ : وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ[1] .

ثُمَّ قُلْ : أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ .

ثُمَّ ٱقْرَأْ (ٱلْفَاتِحَةَ) بِتَشْدِيدَاتِهَا ، وَٱجْتَهِدْ فِي ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلضَّادِ وَٱلظَّاءِ ، وَقُلْ : آمِينَ ، وَلَا تَصِلْهُ بِقَوْلِكَ : (وَلَا ٱلضَّالِّينَ) وَصْلاً .

وَٱجْهَرْ بِٱلْقِرَاءَةِ فِي ٱلصُّبْحِ وَٱلْمَغْرِبِ وَٱلْعِشَاءِ ـ أَعْنِي : فِي

---

(١) ثم يقول : سبحانك اللهمَّ وبحمدك ، تبارك اسمك ، وتعالىٰ جدك ، ولا إله غيرك . « إحياء » [(١/٥٧١)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

ٱلرَّكْعَتَيْنِ ٱلْأُولَيَيْنِ ـ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَأْمُوماً ، وَٱجْهَرْ بِٱلتَّأْمِينِ .

وَٱقْرَأْ فِي ٱلصُّبْحِ بَعْدَ (ٱلْفَاتِحَةِ) مِنَ ٱلسُّوَرِ : طِوَالَ ٱلْمُفَصَّلِ ، وَفِي ٱلْمَغْرِبِ : مِنْ قِصَارِهِ ، وَفِي ٱلظُّهْرِ وَٱلْعَصْرِ وَٱلْعِشَاءِ : مِنْ أَوْسَاطِهِ ؛ نَحْوُ : (وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ) وَمَا قَارَبَهَا ، وَفِي ٱلصُّبْحِ فِي ٱلسَّفَرِ : (قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) ، وَ(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) .

وَلَا تَصِلْ آخِرَ ٱلسُّورَةِ بِتَكْبِيرَةِ ٱلرُّكُوعِ ، وَلَٰكِنِ ٱفْصِلْ بَيْنَهُمَا بِمِقْدَارِ قَوْلِكَ : سُبْحَانَ ٱللَّهِ .

وَكُنْ فِي جَمِيعِ قِيَامِكَ مُطْرِقاً ، قَاصِراً نَظَرَكَ عَلَىٰ مُصَلَّاكَ ؛ فَذَٰلِكَ أَجْمَعُ لِهَمِّكَ ، وَأَجْدَرُ لِحُضُورِ قَلْبِكَ[1] .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ يَمِيناً وَشِمَالاً فِي صَلَاتِكَ .

❀ ❀ ❀

---

(١) **واعلم** : أنَّ من مكايد الشيطان أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ؛ ليمنعك عن فهم ما تقرأ ، **فاعلم** : أنَّ كل ما يشغلك عن معاني قراءتك . . فهو وسواس ؛ فإن حركة اللسان غير مقصودة ، بل المقصود معانيها . **وأمَّا القراءة . . فالناس فيها ثلاثة : رجلٌ** يتحرَّك لسانه وقلبه غافل . **ورجلٌ** يتحرَّك لسانُه وقلبه يتبع اللسانَ ، فيسمع ويفهم منه كأنَّه يسمعه من غيره ، وهٰذه درجة أصحاب اليمين . **ورجلٌ** يسبق قلبُه إلى المعاني أولاً ، ثم يخدم اللسانُ قلبَه فيترجمه . ففرقٌ بين أن يكون اللسانُ ترجمانَ القلب ، أو يكون معلِّم القلب ، **والمُقرَّبون** : لسانُهم ترجمانٌ يتبع القلبَ ولا يتبعه القلبُ . « إحياء » [(١/٦٢١)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

ثُمَّ كَبِّرْ لِلرُّكُوعِ[1] ، وَٱرْفَعْ يَدَيْكَ كَمَا سَبَقَ[2] ، وَمُدَّ ٱلتَّكْبِيرَ إِلَى ٱلِٱنْتِهَاءِ إِلَى ٱلرُّكُوعِ ، ثُمَّ ضَعْ رَاحَتَيْكَ عَلَىٰ رُكْبَتَيْكَ وَأَصَابِعُكَ مَنْشُورَةٌ ، وَٱنْصِبْ رُكْبَتَيْكَ وَمُدَّ ظَهْرَكَ وَعُنُقَكَ وَرَأْسَكَ مُسْتَوِياً كَٱلصَّفِيحَةِ ٱلْوَاحِدَةِ ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ ـ وَٱلْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلُ ذَٰلِكَ ـ[3] وَقُلْ : سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ (ثَلَاثاً) .

وَإِنْ كُنْتَ مُنْفَرِداً وَأَرَدْتَ ٱلزِّيَادَةَ . . فَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ عَشْراً ، فَإِنَّهُ حَسَنٌ .

❀ ❀ ❀

ثُمَّ ٱرْفَعْ حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِماً ، وَٱرْفَعْ يَدَيْكَ قَائِلاً : سَمِعَ ٱللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ .

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ . . فَقُلْ : رَبَّنَا لَكَ ٱلْحَمْدُ مِلْءَ ٱلسَّمَاوَاتِ ، وَمِلْءَ ٱلْأَرْضِ ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ .

وَإِنْ كُنْتَ فِي فَرِيضَةِ ٱلصُّبْحِ . . فَٱقْرَأِ ٱلْقُنُوتَ[4] فِي ٱلرَّكْعَةِ ٱلثَّانِيَةِ فِي ٱعْتِدَالِكَ عَنِ ٱلرُّكُوعِ .

❀ ❀ ❀

---

(١) وينبغي أن تجدد عنده ذكر كبرياء الله ، وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه ، ومتبعاً سنة نبيه صلى ٱلله عليه وسلم ، ثم تستأنف له ذُلّاً وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذُلَّكَ وعِزَّ مولاك واتضاعَك وعلوَّ ربِّك . « إحياء » [(١/٦٢٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) انظر (ص ١١١) .

(٣) بل تضم بعضها إلىٰ بعض .

(٤) المروي بالإسناد الصحيح عند أبي داوود (١٤٢٠) ، والترمذي (٤٦٤) ←

ثُمَّ ٱسْجُدْ مُكَبِّراً غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْكَ ؛ فَضَعْ أَوَّلاً عَلَى ٱلْأَرْضِ رُكْبَتَيْكَ ، ثُمَّ يَدَيْكَ ، ثُمَّ جَبْهَتَكَ مَكْشُوفَةً ، وَضَعِ ٱلْأَنْفَ مَعَ ٱلْجَبْهَةِ ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ ، وَأَقِلَّ بَطْنَكَ عَنْ فَخِذَيْكَ ـ وَٱلْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلُ ذَٰلِكَ ـ وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ حَذْوَ مَنْكِبَيْكَ ، وَلَا تَفْرُشْ ذِرَاعَيْكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَقُلْ : سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَىٰ (ثَلَاثاً) ، أَوْ (سَبْعاً ، أَوْ عَشْراً) إِنْ كُنْتَ مُنْفَرِداً[1] .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ ٱلسُّجُودِ مُكَبِّراً حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ جَالِساً ، وَٱجْلِسْ عَلَىٰ رِجْلِكَ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَٱنْصِبْ قَدَمَكَ ٱلْيُمْنَىٰ ، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَىٰ

← عن سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ وهو : « اللهمَّ ؛ اهدني فيمن هديتَ ، وعافني فيمن عافيتَ ، وتولَّني فيمن تولَّيتَ ، وبارك لي فيما أعطيتَ ، وقني شرَّ ما قضيتَ ؛ فإنَّك تقضي ولا يقضىٰ عليكَ ، وإنَّه لا يَذِلُّ مَنْ واليتَ ، ولا يَعِزُّ مَنْ عاديتَ ، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ » . قال الترمذي : (هٰذا حديث حسن ، ولا نعرف عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في القنوت شيئاً أحسنَ من هٰذا) ، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في كتاب « الأذكار » (ص ١٢٧) : (**واعلم** : أنَّه يُستحَبُّ إذا كان المُصلِّي إماماً أن يقول : « اللهمَّ اهدنا . . . » بلفظ الجمع وكذٰلك الباقي) .

(١) **والسجود أعلىٰ درجات الاستكانة** ، فتُمكِّن أعز أعضائك ؛ وهو الوجه ، من أذل الأشياء ؛ وهو التراب ، وإن أمكنك ألا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض . . فافعل ؛ فإنَّه أجلب للخضوع ، وأدلُّ على الذلِّ ، فإذا وضعت نفسك موضع الذلِّ . . فاعلم أنَّك وضعتَها موضعها ، ورددت الفرع إلىٰ أصله ؛ فإنَّك من التراب خلقت وإليه تعود ، **فعند هٰذا جدِّد علىٰ قلبك عظمةَ الله تعالىٰ** ، وقل : سبحان ربي الأعلىٰ وأكده بالتكرار ؛ فإنَّ الكَرَّة الواحدة ضعيفة الأثر . « إحياء » [(٦٢٨/١)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

فَخِذَيْكَ وَٱلْأَصَابِعُ مَنْشُورَةٌ ، وَقُلْ : رَبِّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ، وَٱرْحَمْنِي ، وَٱرْزُقْنِي ، وَٱهْدِنِي ، وَٱجْبُرْنِي ، وَعَافِنِي ، وَٱعْفُ عَنِّي .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ ٱسْجُدْ سَجْدَةً ثَانِيَةً كَذَٰلِكَ .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ تَعْتَدِلُ جَالِساً لِلِٱسْتِرَاحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ لَا تَشَهُّدَ عَقِيبَهَا .

ثُمَّ تَقُومُ فَتَضَعُ ٱلْيَدَيْنِ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَلَا تُقَدِّمْ إِحْدَىٰ رِجْلَيْكَ فِي حَالَةِ ٱلِٱرْتِفَاعِ ، وَٱبْتَدِئْ بِتَكْبِيرَةِ ٱلِٱرْتِفَاعِ عِنْدَ ٱلْقُرْبِ مِنْ حَدِّ جِلْسَةِ ٱلِٱسْتِرَاحَةِ ، وَمُدَّهَا إِلَىٰ مُنْتَصَفِ ٱرْتِفَاعِكَ إِلَىٰ قِيَامِكَ ، وَلْتَكُنْ هَٰذِهِ ٱلْجِلْسَةُ جِلْسَةً مُخْتَطَفَةً خَفِيفَةً .

❁ ❁ ❁

وَصَلِّ ٱلرَّكْعَةَ ٱلثَّانِيَةَ كَٱلْأُولَىٰ ، وَأَعِدِ ٱلتَّعَوُّذَ فِي ٱلِٱبْتِدَاءِ .

ثُمَّ تَجْلِسُ فِي ٱلرَّكْعَةِ ٱلثَّانِيَةِ لِلتَّشَهُّدِ ٱلْأَوَّلِ ، وَضَعِ ٱلْيَدَ ٱلْيُمْنَىٰ فِي جُلُوسِ ٱلتَّشَهُّدِ عَلَى ٱلْفَخِذِ ٱلْيُمْنَىٰ مَقْبُوضَةَ ٱلْأَصَابِعِ ، إِلَّا ٱلْمُسَبِّحَةَ وَٱلْإِبْهَامَ فَتُرْسِلُهُمَا ، وَأَشِرْ بِمُسَبِّحَةِ يُمْنَاكَ عِنْدَ قَوْلِكَ : (إِلَّا ٱللَّهُ) ، لَا عِنْدَ قَوْلِكَ : (لَا إِلَٰهَ) ، وَضَعِ ٱلْيَدَ ٱلْيُسْرَىٰ مَنْشُورَةَ ٱلْأَصَابِعِ عَلَى ٱلْفَخِذِ ٱلْيُسْرَىٰ ، وَٱجْلِسْ عَلَىٰ رِجْلِكَ ٱلْيُسْرَىٰ فِي هَٰذَا ٱلتَّشَهُّدِ كَمَا بَيْنَ ٱلسَّجْدَتَيْنِ ، وَفِي ٱلتَّشَهُّدِ ٱلْأَخِيرِ مُتَوَرِّكاً .

وَتَسْتَكْمِلُ ٱلدُّعَاءَ ٱلْمَعْرُوفَ ٱلْمَأْثُورَ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] ، وَٱجْلِسْ فِيهِ عَلَىٰ وَرِكِكَ ٱلْأَيْسَرِ ، وَأَضْجِعْ رِجْلَكَ ٱلْيُسْرَىٰ خَارِجَةً مِنْ تَحْتِكَ ، وَٱنْصِبِ ٱلْقَدَمَ ٱلْيُمْنَىٰ .

ثُمَّ قُلْ بَعْدَ ٱلْفَرَاغِ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ ٱللهِ (مَرَّتَيْنِ) مِنَ ٱلْجَانِبَيْنِ ، وَٱلْتَفِتْ بِحَيْثُ يَرَىٰ خَدَّيْكَ مَنْ بِجَانِبَيْكَ ، وَٱنْوِ ٱلسَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ بِجَانِبَيْكَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْمُسْلِمِينَ .

وَهَـٰذِهِ هَيْئَةُ صَلَاةِ ٱلْمُنْفَرِدِ .

❁ ❁ ❁

وَعِمَادُ ٱلصَّلَاةِ : ٱلْخُشُوعُ[2] ، وَحُضُورُ ٱلْقَلْبِ ، مَعَ ٱلْقِرَاءَةِ وَٱلذِّكْرِ بِٱلْفَهْمِ[3] .

---

(١) ثمَّ ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور ، مع التواضع والخشوع ، والضراعة والابتهال ، وصدق الرجاء في الإجابة ، وأشرك في دعائك أبويك وسائرَ المؤمنين . « إحياء [(١/٦٢٩)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) قال بعضهم : (ما دخلتُ في صلاة قطُّ ، فأهمَّني فيها غيرُ ما أقول) . وقيل لعامر بن عبد الله : هل تجد في الصلاة شيئاً من أمور الدنيا ؟ فقال : (لأن تختلف عليَّ الأسِنَّةُ . . أحبُّ إليَّ من أن أجد في الصلاة ما تجدون) . وقيل لبعضهم : هل تُحدِّثُ نفسَك بشيء من الدنيا في الصلاة ؟ فقال : (لا في الصلاة ، ولا في غيرها) « عوارف [(٢/٥٤٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٣) وأمَّا صلاة الغافلين . . فهي مُخطِرة ، إلا أن يتغمد الله برحمته ، والرحمة واسعة والكرم فائض ، فنسأل الله تعالىٰ أن يغمرنا برحمته ، ويتغمدنا بمغفرته ؛ إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته . « إحياء » [(١/٦٣٠)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

قَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : (كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ فِيهَا ٱلْقَلْبُ . . فَهِيَ إِلَى ٱلْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ)[1] .

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ لَيُصَلِّي ٱلصَّلَاةَ فَلَا يُكْتَبُ لَهُ سُدُسُهَا وَلَا عُشْرُهَا ؛ وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ . . مَا عَقَلَ مِنْهَا »[2] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الطوسي في « الأربعين الطوسية » (١١) ، وأورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٩٧/٢) .

(٢) أخرجه أبو داوود (٧٨٦) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦١٥) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعاً ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦١/٧) عن سفيان الثوري موقوفاً .

آداب الإمامة والقدوة (١)

يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ :

أَنْ يُخَفِّفَ ٱلصَّلَاةَ ؛ قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : (مَا صَلَّيْتُ

---

(١) **فضيلة الجماعة** : أخرج البخاري (٦٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاةُ الجماعة تعدل صلاةَ الفذِّ بسبع وعشرين درجةً » .

وأخرج مسلم (٦٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَدَ ناساً في بعض الصلاة ، فقال : « لقد هممتُ أن آمر رجلاً أن يصلي بالناس ، ثم أُخالفَ إلىٰ رجال يَتَخلَّفون عنها ، فآمُرَ بهم ، فتُحرَّقَ بحُزَمِ الحَطَبِ بيوتُهم ، ولو علم أحدُهم أنَّه يجد عَظْماً سميناً . . لشهدها » يعني : صلاةَ العشاء .

وأخرج مسلم (٦٥٦) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ شهد العِشاءَ . . فكأنَّما قام نصفَ ليلةٍ ، ومَنْ شهد الصبحَ . . فكأنَّما قام ليلةً » .

وقال سعيد بن المسيب : (مَنْ صلىٰ صلاةً في جماعة . . فقد ملأ نحرَه عبادةً) . **وقال أيضاً** : (ما أذَّن مؤذنٌ منذ عشرين سنةً إلَّا وأنا في المسجد) . **وقال محمد بن واسع** : (ما أشتهي من الدنيا إلَّا ثلاثةً : أخاً إن تعوَّجت . . أقامني ، وقوتاً من الرزق عفواً بغير تبعة ، وصلاةً في جماعة يُرفَعُ عنِّي سهوُها ويُكتب لي فضلُها) . **ورُوي** : أنَّ أبا عبيدة ابن الجراح أَمَّ قوماً مرةً ، فلمَّا انصرف . . قال : (ما زال الشيطانُ بي آنفاً حتىٰ رأيتُ أنَّ لي فضلاً علىٰ غيري ، لا أَؤُمُّ بعدها أبداً) . **وقال الحسن** : (لا تصلُّوا خلفَ رجل لا يختلف إلى العلماء) . **وقد قال النخعي** : (مثلُ الذي يؤمُّ الناسَ بغير علم . . كمثل الذي يكيل الماءَ في البحر ، لا يدري زيادتَه من نقصانه) . **وقال ابن عباس رضي الله عنه** : (مَنْ ←

خَلْفَ أَحَدٍ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ . . مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] .

وَلَا يُكَبِّرَ مَا لَمْ يَفْرُغِ ٱلْمُؤَذِّنُ مِنَ ٱلْإِقَامَةِ ، وَمَا لَمْ تَسْتَوِ ٱلصُّفُوفُ .

وَيَرْفَعَ صَوْتَهُ بِٱلتَّكْبِيرَاتِ ، وَلَا يَرْفَعُ ٱلْمَأْمُومُ صَوْتَهُ إِلَّا قَدْرَ مَا يُسْمِعُ نَفْسَهُ .

وَيَنْوِيَ ٱلْإِمَامَةَ لِيَنَالَ ٱلْفَضْلَ ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْوِ . . صَحَّتْ صَلَاةُ ٱلْمَأْمُومِينَ إِذَا نَوَوُا ٱلِٱقْتِدَاءَ بِهِ ، وَنَالُوا فَضْلَ ٱلْقُدْوَةِ .

وَيُسِرَّ بِدُعَاءِ ٱلِٱسْتِفْتَاحِ وَٱلتَّعَوُّذِ ؛ كَٱلْمُنْفَرِدِ .

وَيَجْهَرَ بِـ (ٱلْفَاتِحَةِ) وَٱلسُّورَةِ فِي جَمِيعِ ٱلصُّبْحِ ، وَأَوَّلَتَيِ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْعِشَاءِ ، وَكَذَٰلِكَ ٱلْمُنْفَرِدُ .

وَيَجْهَرَ بِقَوْلِهِ : (آمِينَ) فِي ٱلْجَهْرِيَّةِ ، وَكَذَٰلِكَ ٱلْمَأْمُومُ .

← سمعَ المنادي ثم لم يُجِبْ . . لم يُرِد خيراً ولم يُرَد به) . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (لأن تُملأَ أُذنُ ابن آدم رصاصاً مذاباً . . خيرٌ له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب) . ويروىٰ : أنَّ ميمون بن مهران أتى المسجد ، فقيل له : إنَّ الناس قد انصرفوا ، فقال : (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ؛ لفضلُ هٰذه الصلوات أحبُّ إليَّ من ولاية العراق) .

وأخرج الترمذي (٢٤١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلىٰ أربعين يوماً جماعةً لا يفوتُه منها تكبيرةُ الإحرام . . كُتبت له براءتانِ ؛ براءةٌ من النفاق ، وبراءةٌ من النار » . انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ . وانظر « إحياء علوم الدين » [(١/٥٥١ ـ ٥٥٢) .

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨) ، ومسلم (٤٦٩/١٩٠) .

وَيَقْرَأُ ٱلْمَأْمُومُ تَأْمِينَهُ بِتَأْمِينِ ٱلْإِمَامِ مَعاً ، لَا تَعْقِيباً .

وَيَسْكُتُ ٱلْإِمَامُ سَكْتَةً عَقِيبَ ٱلْفَاتِحَةِ ؛ لِيَثُوبَ إِلَيْهِ نَفَسُهُ .

وَيَقْرَأُ ٱلْمَأْمُومُ ٱلْفَاتِحَةَ فِي ٱلْجَهْرِيَّةِ فِي هَـٰذِهِ ٱلسَّكْتَةِ ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلِاسْتِمَاعِ عِنْدَ قِرَاءَةِ ٱلْإِمَامِ (١) .

---

(١) **فضيلة الخشوع** : قال الله تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي ۝ ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝ ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ . **قيل** : سكارىٰ من كثرة الهمّ ، **وقيل** : من حبّ الدنيا . **وقال وهب** : (إن المراد به ظاهر) ، ففيه تنبيه علىٰ سكر الدنيا ؛ إذ بيَّن فيه العلَّة فقال : ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ۝ ﴾ . **وكم من مصلٍّ** لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته !!

وأخرج البخاري (١٦٤) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ نحو وضوئي هٰذا ، ثم صلَّىٰ ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسَه بشيءٍ من الدنيا . . غُفِر له ما تَقدَّم من ذنبِهِ » .

وأخرج الترمذي (٣٨٥) عن سيدنا الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال : « **إنَّما الصلاة** : تمسكنٌ وتواضع ، وتضرع وتباؤس وتنادم ، وتضع يديك فتقول : اللهمَّ ، إن لم يفعل . . فهي خداج » .

ونحوه ما أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٨/٤) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، عن الله تعالىٰ في الكتب السالفة : « أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يقول : ليس كلُّ مصلٍّ أتقبَّل صلاتَه ، إنَّما أقبل صلاةَ مَنْ تواضع لعظمتي ، ولم يتكبَّر علىٰ عبادي ، وأطعم الفقيرَ الجائعَ لوجهي » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّما فرضت الصلاة ، وأُمِرَ بالحجِّ والطواف ، وأُشعرتِ المناسكُ ؛ لإقامة ذكر الله تعالىٰ » .

فإن لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغىٰ عظمةٌ ولا هيبةٌ . . فما قيمة ذكرك ؟!

وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه : « إذا صليتَ . . فصلِّ صلاةَ مودِّعٍ » ←

وَلَا يَقْرَأُ ٱلْمَأْمُومُ ٱلسُّورَةَ فِي ٱلْجَهْرِيَّةِ ، إِلَّا إِذَا لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ ٱلْإِمَامِ .

وَلَا يَزِيدُ ٱلْإِمَامُ عَلَى ٱلثَّلَاثِ فِي تَسْبِيحَاتِ ٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ .

وَلَا يَزِيدُ فِي ٱلتَّشَهُّدِ ٱلْأَوَّلِ بَعْدَ قَوْلِهِ : ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ : (وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ) .

وَيَقْتَصِرُ فِي ٱلرَّكْعَتَيْنِ ٱلْأَخِيرَتَيْنِ عَلَى ٱلْفَاتِحَةِ .

← أي : مُودِع لنفسه ، مُودِع لهواه ، مُودِع لعمره ، سائرٍ إلىٰ ربّه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۝ ﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لم تنهه صلاتُه عن الفحشاء والمنكر . . لم يَزدْ من الله إلا بُعْداً » .

والصلاة مناجاة ؛ فكيف تكون مع الغفلة ؟! **وعن عائشة رضي الله عنها قالت** : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحدِّثُنا ونُحدِّثُه ، فإذا حضرت الصلاة . . فكأنَّه لم يعرفنا ولم نعرفه) اشتغالاً بعظمة الله . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله إلىٰ صلاةٍ لم يُحضِرِ الرجلُ فيها قلبَه مع بدنهِ » .

وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا قام إلى الصلاة . . سُمِع وجيبُ قلبه علىٰ ميلين . **وكان سعيد التنوخي** إذا صلىٰ . . لم تنقطع الدموعُ من خدَّيه علىٰ لحيته . ورأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة ، فقال : « لو خشع قلبُ هٰذا . . لخشعت جوارحُه » .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا حضرت الصلاة . . يتزلزل ويتلون ، فقيل له : ما لك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : (جاء وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملتُها أنا) . **ويروىٰ عن علي بن الحسين رضي الله عنه** : أنَّه إذا توضأ . . اصفرَّ لونه ، فيقول له أهله : ما هٰذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فقال : (أتدرون بين يَدَي من أريد أقوم ؟!) انتهىٰ بحمد الله . **انتهىٰ من هامش (أ)** بتصرفٍ يسيرٍ .

وَلَا يُطَوِّلُ عَلَى ٱلْقَوْمِ .

وَلَا يَزِيدُ دُعَاءَهُ فِي ٱلتَّشَهُّدِ ٱلْأَخِيرِ عَلَىٰ قَدْرِ تَشَهُّدِهِ وَصَلَاتِهِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَيَنْوِي ٱلْإِمَامُ عِنْدَ ٱلتَّسْلِيمِ ٱلسَّلَامَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ، وَيَنْوِي ٱلْقَوْمُ بِتَسْلِيمِهِمْ جَوَابَهُ .

وَيَثِبُ ٱلْإِمَامُ سَاعَةَ يَفْرُغُ مِنَ ٱلسَّلَامِ[1] ، وَيُقْبِلُ عَلَى ٱلنَّاسِ بِوَجْهِهِ ، وَلَا يَثِبُ إِنْ كَانَ خَلْفَهُ ٱلنِّسَاءُ لِيَنْصَرِفْنَ أَوَّلاً ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ حَتَّىٰ يَقُومَ ٱلْإِمَامُ ، وَيَنْصَرِفُ ٱلْإِمَامُ حَيْثُ شَاءَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ ، وَٱلْيَمِينُ أَحَبُّ إِلَيَّ .

وَلَا يَخُصُّ ٱلْإِمَامُ نَفْسَهُ بِٱلدُّعَاءِ فِي قُنُوتِ ٱلصُّبْحِ ، بَلْ يَقُولُ : ٱللَّهُمَّ ٱهْدِنَا ، وَيَجْهَرُ بِهِ ، وَيُؤَمِّنُ ٱلْقَوْمُ ، وَلَا يَرْفَعُونَ ٱلْأَيْدِيَ ؛ فَلَمْ يَثْبُتْ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَخْبَارِ[2] .

وَيَقْرَأُ ٱلْمَأْمُومُ بَقِيَّةَ ٱلْقُنُوتِ مِنْ قَوْلِهِ : فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ .

---

(١) الوثوب هنا ؛ بمعنى : المبادرة والمسارعة .

(٢) بحسب ما بلغ الإمامَ الغزالي رحمه الله تعالىٰ ، وإلَّا . . فالمعتمد : أنه يُسنُّ رفع اليدين فيه للإمام وغيره ، وفيه خبر عند البيهقي في « السنن الكبير » (٢١١/٢) برقم (٣١٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وينظر « التلخيص الحبير » (٧١١/٢) ، وكلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في كتاب « الإحياء » (٦٥٨/١) يخالف كلامه هنا ، ونصه : (وقد رُوي حديثٌ في رفع اليدين في القنوت ، فإذا صحَّ الحديث . . استُحِبَّ ذٰلك) .

وَلَا يَقِفُ ٱلْمَأْمُومُ وَحْدَهُ ، بَلْ يَدْخُلُ ٱلصَّفَّ ، أَوْ يَجُرُّ إِلَىٰ نَفْسِهِ غَيْرَهُ[1] .

وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى ٱلْإِمَامِ فِي أَفْعَالِهِ أَوْ يُسَاوِيَهُ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ ؛ فَلَا يَهْوِيَ إِلَى ٱلرُّكُوعِ إِلَّا إِذَا ٱنْتَهَى ٱلْإِمَامُ إِلَىٰ حَدِّ ٱلرَّاكِعِينَ ، وَلَا يَهْوِيَ إِلَى ٱلسُّجُودِ مَا لَمْ تَصِلْ جَبْهَةُ ٱلْإِمَامِ إِلَى ٱلْأَرْضِ .

❋ ❋ ❋

(١) وينبغي للمأموم الواقف في الصفِّ أن يوافق جارَّه الخارج عن الصف بعد أن يحرم بالصلاة قبل جَرِّهِ ؛ وذٰلك لينال فضيلة التعاون على البر والتقوىٰ .

آداب الجمعة

ٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلْجُمُعَةَ عِيدُ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

وَهُوَ يَوْمٌ شَرِيفٌ قَدْ خَصَّ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِهِ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ .

وَفِيهِ سَاعَةٌ مُبْهَمَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَىٰ فِيهَا حَاجَةً . . إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا .

فَٱسْتَعِدَّ لَهَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ : بِتَنْظِيفِ ٱلثِّيَابِ ، وَبِكَثْرَةِ ٱلتَّسْبِيحِ وَٱلِٱسْتِغْفَارِ عَشِيَّةَ ٱلْخَمِيسِ ؛ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُوَازِي فِي ٱلْفَضْلِ سَاعَةَ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ (١) .

وَٱنْوِ صَوْمَ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ، لَـٰكِنْ مَعَ ٱلسَّبْتِ أَوْ مَعَ ٱلْخَمِيسِ ؛ إِذْ فِي إِفْرَادِهَا نَهْيٌ (٢) .

فَإِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ ٱلصُّبْحُ . . فَٱغْتَسِلْ ؛ فَإِنَّ غُسْلَ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ ؛ أَيْ : ثَابِتٌ مُؤَكَّدٌ (٣) .

---

(١) قال بعض السَّلف : (إنَّ لله تعالىٰ فضلاً سوىٰ أرزاق العباد ، لا يُعطي من ذٰلك الفضل إلَّا مَنْ سأله عشيَّةَ الخميس ويوم الجمعة) « إحياء » [(١/٦٦٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ .

(٢) أخرج البخاري (١٩٨٥) ، ومسلم (١١٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يصومنَّ أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده » .

(٣) وبهـٰذا يَتِمُّ أدبُ الاستقبال ، ويخرج عن زمرة الغافلين ؛ الذين إذا أصبحوا . . ←

ثُمَّ تَزَيَّنْ بِٱلثِّيَابِ ٱلْبِيضِ ؛ فَإِنَّهَا أَحَبُّ ٱلثِّيَابِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَٱسْتَعْمِلْ مِنَ ٱلطِّيبِ أَطْيَبَ مَا عِنْدَكَ .

وَبَالِغْ فِي تَنْظِيفِ بَدَنِكَ : بِٱلْحَلْقِ ، وَٱلْقَصِّ ، وَٱلتَّقْلِيمِ ، وَٱلسِّوَاكِ ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ ٱلنَّظَافَةِ ، وَتَطْيِيبِ ٱلرَّائِحَةِ .

ثُمَّ بَكِّرْ إِلَى ٱلْجَامِعِ ، وَٱسْعَ إِلَيْهَا عَلَى ٱلْهِينَةِ وَٱلسَّكِينَةِ ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَاحَ إِلَى ٱلْجُمُعَةِ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْأُولَىٰ . . فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلثَّانِيَةِ . . فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلثَّالِثَةِ . . فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً ، وَمَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلرَّابِعَةِ . . فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْخَامِسَةِ . . فَكَأَنَّمَا أَهْدَىٰ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ ٱلْإِمَامُ . . طُوِيَتِ ٱلصُّحُفُ ، وَرُفِعَتِ ٱلْأَقْلَامُ ، وَٱجْتَمَعَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ٱلْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ ٱلذِّكْرَ »[1] .

وَيُقَالُ : (إِنَّ ٱلنَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ ٱلنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . عَلَىٰ قَدْرِ بُكُورِهِمْ إِلَى ٱلْجُمُعَةِ)[2] .

← قالوا : ما هٰذا اليوم ؟ قال بعض السلف : (أوفى الناس نصيباً من الجمعة . . مَنِ انتظرها من الأمس ، وأخسُّهم نصيباً . . مَنْ إذا أصبح . . قال : أيشِ اليومُ ؟) « إحياء » [(١/٦٦٨)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(١) أخرجه البخاري (٨٨١) ، ومسلم (٨٥٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي رحمه الله تعالىٰ في « قوت القلوب » (١/٦٤) من غير عزو .

ثُمَّ إِذَا دَخَلْتَ ٱلْجَامِعَ . . فَٱطْلُبِ ٱلصَّفَّ ٱلْأَوَّلَ ، وَإِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ . . فَلَا تَتَخَطَّ رِقَابَهُمْ[1] ، وَلَا تَمُرَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَٱجْلِسْ بِقُرْبِ حَائِطٍ أَوْ أُسْطُوَانَةٍ ؛ حَتَّىٰ لَا يُمَرَّ بَيْنَ يَدَيْكَ[2] .

وَلَا تَقْعُدْ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ ٱلتَّحِيَّةَ ، وَحَسَنٌ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ؛ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ (ٱلْفَاتِحَةِ) سُورَةَ (ٱلْإِخْلَاصِ) خَمْسِينَ مَرَّةً ، فَفِي ٱلْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ . . لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، أَوْ يُرَىٰ لَهُ ذَٰلِكَ »[3] .

وَلَا تَتْرُكِ ٱلتَّحِيَّةَ وَإِنْ كَانَ ٱلْإِمَامُ يَخْطُبُ .

وَمِنَ ٱلسُّنَّةِ : أَنْ تَقْرَأَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ سُورَةَ (ٱلْأَنْعَامِ) ، وَ(ٱلْكَهْفِ) ، وَ(طٰه) ، وَ(يسٓ) ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ . . فَسُورَةَ (يسٓ) ، وَ(الٓمٓ ٱلسَّجْدَةِ) ، وَ(حٰمٓ ٱلدُّخَانِ) ، وَ(ٱلْمُلْكِ) .

وَلَا تَدَعْ قِرَاءَةَ هَٰذِهِ ٱلسُّوَرِ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ ، فَفِيهَا فَضْلٌ كَثِيرٌ .

وَمَنْ لَا يُحْسِنُ ذَٰلِكَ . . فَلْيُكْثِرْ قِرَاءَةَ سُورَةِ (ٱلْإِخْلَاصِ) .

---

(١) فقد ورد فيه وعيد شديد ؛ وهو : أنَّه يُجعل جسراً يوم القيامة يتخطَّاه الناس « إحياء » [(٦٧٥/١)] . انتهىٰ من هامش (أ) . أخرجه الترمذي (٥١٣) ، وابن ماجه (١١٨٦) عن سيدنا معاذ بن أنس رضي الله عنهما .

(٢) ففي الحديث : « لأن يكون الرجل رماداً أو رميماً تذروه الرياح . . خيرٌ له من أن يمرَّ بين يدي المصلي » وقال عليه الصلاة والسلام : « لو يعلم المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه . . لكان أن يقف أربعين خيرٌ له من أن يمرَّ بين يديه » . « إحياء » [(٦٧٧/١)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٣) انظر « إتحاف السادة المتقين » (٢٩٦/٣) .

وَأَكْثِرِ ٱلصَّلَاةَ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ خَاصَّةً .

وَمَهْمَا خَرَجَ ٱلْإِمَامُ . . فَٱقْطَعِ ٱلصَّلَاةَ وَٱلْكَلَامَ ، وَٱشْتَغِلْ بِجَوَابِ ٱلْمُؤَذِّنِ ، ثُمَّ بِٱسْتِمَاعِ ٱلْخُطْبَةِ وَٱلِٱتِّعَاظِ بِهَا ، وَدَعِ ٱلْكَلَامَ رَأْساً فِي ٱلْخُطْبَةِ ؛ فَفِي ٱلْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَٱلْإِمَامُ يَخْطُبُ : أَنْصِتْ أَوْ صَهْ . . فَقَدْ لَغَا ، وَمَنْ لَغَا . . فَلَا جُمُعَةَ لَهُ »[1] ؛ أَيْ : قَوْلُهُ : « أَنْصِتْ » . . كَلَامٌ .

فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْهَىٰ غَيْرَهُ بِٱلْإِشَارَةِ لَا بِٱللَّفْظِ[2] .

ثُمَّ ٱقْتَدِ بِٱلْإِمَامِ كَمَا سَبَقَ[3] .

فَإِذَا فَرَغْتَ وَسَلَّمْتَ . . فَٱقْرَأْ (ٱلْفَاتِحَةَ) قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَ(ٱلْإِخْلَاصَ) سَبْعاً ، وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) سَبْعاً سَبْعاً ؛ فَذَٰلِكَ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلْجُمُعَةِ إِلَى ٱلْجُمُعَةِ ، وَيَكُونُ حِرْزاً لَكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ، وَقُلْ بَعْدَ ذَٰلِكَ : ٱللَّهُمَّ ، يَا غَنِيُّ يَا حَمِيدُ ، يَا مُبْدِئُ يَا مُعِيدُ ،

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٤) ، ومسلم (٨٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأبو داوود (١٠٤٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) روي عن عثمان وعلي رضي الله عنهما : مَنِ استمع وأنصت . . فله أجرانِ ، ومَنْ لم يستمع وأنصت . . فله أجرٌ ، ومَنْ سمع ولغا . . فعليه وِزرانِ ، ومَنْ لم يستمع ولغا . . فعليه وزرٌ واحد . انتهىٰ من هامش (أ) . وانظر « قوت القلوب » (٦٨/١) ، وقد أخرجه أحمد (٩٣/١) ، وأبو داوود (١٠٤٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) انظر (ص ١٢١ ـ ١٢٢) .

يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ ؛ أَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .

ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ ٱلْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعاً أَوْ سِتّاً ؛ فَكُلُّ ذَٰلِكَ مَرْوِيٌّ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ .

ثُمَّ لَازِمِ ٱلْمَسْجِدَ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ أَوْ إِلَى ٱلْعَصْرِ ، وَكُنْ حَسَنَ ٱلْمُرَاقَبَةِ لِلسَّاعَةِ ٱلشَّرِيفَةِ ؛ فَإِنَّهَا مُبْهَمَةٌ فِي جَمِيعِ ٱلْيَوْمِ ، فَعَسَاكَ أَنْ تُدْرِكَهَا وَأَنْتَ خَاشِعٌ لِلّٰهِ تَعَالَىٰ ، مُتَضَرِّعٌ .

وَلَا تَحْضُرْ فِي ٱلْجَامِعِ ٱلْحِلَقَ ، وَلَا تُجَالِسِ ٱلْقُصَّاصَ ، بَلْ مَجْلِسَ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ ؛ وَهُوَ ٱلَّذِي يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ ٱللّٰهِ تَعَالَىٰ ، وَيَنْقُصُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي ٱلدُّنْيَا ؛ فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْعُوكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ . . فَٱلْجَهْلُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَٱسْتَعِذْ بِٱللّٰهِ تَعَالَىٰ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ [1] .

وَأَكْثِرِ ٱلدُّعَاءَ : عِنْدَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ، وَعِنْدَ ٱلزَّوَالِ ، وَعِنْدَ

---

(١) ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا ، قال صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمانٌ يكون حديثُهم في مساجدهم بأمر دنياهم ، ليس لله فيهم حاجة ، فلا تجالسوهم » . « إحياء » [(١/٦٨٥)] . واستماع العلم النافع في الآخرة . . أفضل من اشتغاله بالنوافل ؛ فقد روىٰ أبو ذرّ رضي الله عنه : (أنَّ حضور مجلس علم . . أفضل من صلاة ألف ركعة) « إحياء » [(١/٦٨٦)] . انتهىٰ من هامش (أ) . والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٤٥٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٧٠١) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

ٱلْغُرُوبِ ، وَعِنْدَ ٱلْإِقَامَةِ ، وَعِنْدَ صُعُودِ ٱلْخَطِيبِ ٱلْمِنْبَرَ ، وَعِنْدَ قِيَامِ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ، فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ ٱلسَّاعَةُ ٱلشَّرِيفَةُ فِي بَعْضِ هَـٰذِهِ ٱلْأَوْقَاتِ .

وَٱجْتَهِدْ أَنْ تَتَصَدَّقَ فِي هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ[1] ؛ فَتَجْمَعَ بَيْنَ : ٱلصَّلَاةِ ، وَٱلصَّدَقَةِ ، وَٱلصَّوْمِ ، وَٱلْقِرَاءَةِ ، وَٱلذِّكْرِ ، وَٱلِٱعْتِكَافِ .

وَٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلْأُسْبُوعِ خَاصَّةً لِآخِرَتِكَ ، فَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِبَقِيَّةِ ٱلْأُسْبُوعِ .

❋ ❋ ❋

(١) ومن العلماء من كره الصدقة على سُؤَّال الجامع الذين يَتخطَّون رقابَ الناس ، إلَّا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانٍ من غير تخطٍّ . « إحياء » [(٦٩٧/١)] . انتهى من هامش (أ) .

آداب الصّيام[1]

لَا يَنْبَغِي أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَىٰ صِيَامِ رَمَضَانَ ، فَتَتْرُكَ ٱلتِّجَارَةَ بِٱلنَّوَافِلِ وَكَسْبَ ٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعَالِيَةِ فِي ٱلْفَرَادِيسِ ، فَتَتَحَسَّرَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى ٱلصَّائِمِينَ كَمَا تَنْظُرُ إِلَى الْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ وَهُمْ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ .

وَٱلْأَيَّامُ ٱلْفَاضِلَةُ ٱلَّتِي شَهِدَتِ ٱلْأَخْبَارُ بِشَرَفِهَا ، وَجَزِيلِ ٱلثَّوَابِ فِي صِيَامِهَا :

يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ ، وَٱلْعَشْرُ ٱلْأُوَلُ مِنْ ذِي ٱلْحِجَّةِ ، وَٱلْعَشْرُ ٱلْأُوَلُ مِنَ ٱلْمُحَرَّمِ ، وَرَجَبٌ ، وَشَعْبَانُ .

وَصَوْمُ ٱلْأَشْهُرِ ٱلْحُرُمِ مِنَ ٱلْفَضَائِلِ ؛ وَهِيَ : ذُو ٱلْقَعْدَةِ ، وَذُو ٱلْحِجَّةِ ، وَٱلْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ ؛ وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ ، وَهَـٰذَا فِي ٱلسَّنَةِ .

---

(١) الحمد لله ، أمَّا الواجبات الظاهرة . . فستة : الأول : مراقبة أول شهر رمضان ؛ وذلك يكون برؤية الهلال ، فإن غُمَّ . . فباستكمال شعبان ثلاثين ، ونعني بالرؤية : العلمَ ، ويحصل ذلك بقولِ عدل ، ولا يثبت هلال شوال إلَّا بقول عدلين احتياطاً للعبادة . ومَنْ سمع عدلاً ، ووثق بقوله ، وغلب علىٰ ظنه صدقُه . . لزمه الصومُ وإن لم يقض القاضي به ، فليتبع كلُّ عبد من عبادته مُوجَبَ ظنِّه . وإذا رُئي الهلالُ ببلدة ولم يُرَ بأخرىٰ وكان بينهما أقلُّ من مرحلتين . . وجب الصومُ على الكلِّ ، وإن كان أكثر . . كان لكلِّ بلدة حكمُها ، ولا يتعدَّى الوجوبُ . « إحياء » معنىً [(١٠٣/٢)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

وَأَمَّا فِي ٱلشَّهْرِ . . فَأَوَّلُهُ ، وَأَوْسَطُهُ ، وَآخِرُهُ .

وَٱلْأَيَّامُ ٱلْبِيضُ ؛ وَهِيَ : ٱلثَّالِثَ عَشَرَ ، وَٱلرَّابِعَ عَشَرَ ، وَٱلْخَامِسَ عَشَرَ .

وَأَمَّا فِي ٱلْأُسْبُوعِ . . فَٱلِٱثْنَيْنِ ، وَٱلْخَمِيسُ ، وَٱلْجُمُعَةُ .

فَكَفِّرْ ذُنُوبَ ٱلْأُسْبُوعِ : بِيَوْمِ ٱلِٱثْنَيْنِ ، وَٱلْخَمِيسِ ، وَٱلْجُمُعَةِ .

وَكَفِّرْ ذُنُوبَ ٱلشَّهْرِ : بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَوَّلِ مِنَ ٱلشَّهْرِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَوْسَطِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ، وَٱلْأَيَّامِ ٱلْبِيضِ .

وَكَفِّرْ ذُنُوبَ ٱلسَّنَةِ : بِصِيَامِ هَـٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ وَٱلْأَشْهُرِ ٱلْمَذْكُورَةِ .

❀ ❀ ❀

وَلَا تَظُنَّنَّ ـ إِذَا صُمْتَ ـ أَنَّ ٱلصَّوْمَ هُوَ تَرْكُ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلْوِقَاعِ .

فَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا ٱلْجُوعُ وَٱلْعَطَشُ !! »[1] .

بَلْ تَمَامُ ٱلصِّيَامِ : بِكَفِّ ٱلْجَوَارِحِ كُلِّهَا عَمَّا يَكْرَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ ٱلْعَيْنَ عَنِ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلْمَكَارِهِ ، وَٱللِّسَانَ عَنِ ٱلنُّطْقِ بِمَا لَا يَعْنِيكَ ، وَٱلْأُذُنَ عَنِ ٱلِٱسْتِمَاعِ إِلَىٰ مَا حَرَّمَهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّ ٱلْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ ٱلْقَائِلِ ، وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمُغْتَابَيْنِ .

---

(١) أخرجه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٣٢٤٩) ، وابن ماجه (١٧٧٨) ، وأحمد (٤٤١/٢) واللفظ له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وَكَذَٰلِكَ تَكُفُّ جَمِيعَ ٱلْجَوَارِحِ كَمَا تَكُفُّ ٱلْبَطْنَ وَٱلْفَرْجَ [1] ؛

---

(١) **فإن قلت** : فمَنِ اقتصر علىٰ كفِّ شهوة البطن والفرج وتركَ هٰذه المعاني ، فقد قال الفقهاء : صومه صحيح ، فما معناه ؟ **فاعلم** : أن فقهاء الظاهر يبنون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هٰذه الأدلة التي أوردناها في هٰذه الشروط الباطنة ، لا سيما الغيبةِ وأمثالها ، ولٰكن ليس إلىٰ فقهاء الظاهر من التكليفات إلَّا ما يتيسَّر علىٰ عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخولُ تحته .

وأمَّا علماء الآخرة . . فيعنون بالصحة : **القبولَ** ، وبالقبول : **الوصولَ إلى** المقصود ، ويفهمون أنَّ المقصود من الصوم : **التخلُّق** بخلق من أخلاق الله عزَّ وجلَّ ؛ وهو : الصمدية ، والاقتداء بالملائكة في الكفِّ عن الشهوات بحسب الإمكان ؛ فإنَّهم مُنزَّهون عن الشهوات .

والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم ؛ لقدرته بنور العقل علىٰ كسر شهوته ، **ودون الملائكة** ؛ لاستيلاء الشهوات عليه ، وكونه مبتلىً بمجاهدتها ، فكلَّما انهمك في الشهوات . . انحطَّ إلىٰ أسفل سافلين ، والتحق بغمار البهائم ، وكلَّما قمع الشهوات . . ارتفع إلىٰ أعلىٰ علِّيين ، والتحق بأفق الملائكة . **والملائكةُ مُقرَّبون من الله** ، والذي يقتدي بهم ويتشبَّه بأخلاقهم . . يقرب من الله كقربهم ؛ فإنَّ الشبيه من القريب قريبٌ ، وليس القرب ثَمَّ بالمكان بل بالصفات .

وإذا كان هٰذا سرَّ **الصَّوم** عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب . . فأيُّ جدوىٰ لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأُخَر طول النهار .

ولو كان لمثله جدوىٰ . . فأيُّ معنىً لقوله صلى الله عليه وسلم : « كم من صائمٍ ليس له من صومه إلَّا الجوعُ والعطشُ !! » . **ولهٰذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه** : (يا حبذا نومُ الأكياس وفطرُهم ؛ كيف يعيبون صوم الحمقىٰ وسهرهم ؟! ولَـذرَّةٌ من ذي يقين وتقوىٰ . . أفضل وأرجح من أمثال الجبال من الجهال المغترين) . ولذٰلك قال بعض العلماء : (كم من صائمٍ مفطرٌ !! وكم من مفطرٍ صائمٌ !!) ، **والمفطر الصائم** : هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، **والصائم المفطر** : هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه . « إحياء » **المؤلف** [(٢/١١٧ ـ ١١٨)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

فَفِي ٱلْخَبَرِ : « خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ ٱلصَّائِمَ : ٱلْكَذِبُ ، وَٱلْغِيبَةُ ، وَٱلنَّمِيمَةُ ، وَٱلْيَمِينُ ٱلْكَاذِبَةُ ، وَٱلنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ »[1] .

وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا ٱلصَّوْمُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِماً . . فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ ؛ فَإِنِ ٱمْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ . . فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ »[2] .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ ٱجْتَهِدْ أَنْ تُفْطِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ حَلَالٍ ، وَلَا تَسْتَكْثِرْ فَتَزِيدَ عَلَىٰ مَا تَأْكُلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ؛ فَلَا فَرْقَ إِذَا ٱسْتَوْفَيْتَ مَا تَعْتَادُهُ . . أَنْ تَأْكُلَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً أَوْ دَفْعَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا ٱلْمَقْصُودُ كَسْرُ شَهْوَتِكَ ، وَضَعْفُ قُوَّتِكَ ؛ لِتَقْوَىٰ بِهَا عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ[3] .

فَإِذَا أَكَلْتَ عَشِيَّةً مَا تَدَارَكْتَ بِهِ مَا فَاتَكَ ضَحْوَةً . . فَلَا فَائِدَةَ فِي صَوْمِكَ وَقَدْ ثَقَّلْتَ عَلَىٰ مَعِدَتِكَ ، وَمَا مِنْ وِعَاءٍ أَبْغَضَ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَطْنٍ مُلِيءَ مِنْ حَلَالٍ .

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٩٧٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٤) ، ومسلم (١١٥٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ومن آداب الطعام : أن يتحدثوا في حالة أكله بالمعروف ، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها . « إحياء » [٢/٧] . انتهىٰ من هامش (أ) .

فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى ٱلصَّوْمِ . . فَٱسْتَكْثِرْ مِنْهُ مَا ٱسْتَطَعْتَ ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ ٱلْعِبَادَاتِ ، وَمِفْتَاحُ ٱلْقُرُبَاتِ .

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ ، إِلَّا ٱلصِّيَامَ ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »[1] .

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَخُلُوفُ فَمِ ٱلصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ رِيحِ ٱلْمِسْكِ ، يَقُولُ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي ، فَٱلصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ، ومسلم (١٦٣/١١٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هو بعض الحديث المتقدم ، **ولمَّا كان الصبرُ على الصوم** على الخصوص قمعاً للشيطان ، وسدّاً لمسالكه ، وتضييقاً لمجاريه . . استحقَّ التخصيصَ بالنسبة إلى الله ؛ ففي قمع عدو الله نصرةُ الله ، ونصرةُ الله موقوفةٌ على النصرة له ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ . **فالبدايةُ** . . بالجهد من العبد ، **والجزاء** . . بالهداية من الله تعالىٰ ؛ ولذلك قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ۝٦٩ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۝١١ ﴾ . **وإنَّما التغيرُ كسرُ الشهوات** ؛ فهي مراتع الشياطين ومرعاهم ، فما دامت مُخصِبةً . . لم يزالوا يتردَّدون إليها ، وما داموا يتردَّدون إليها . . فلا ينكشف للعبد جلالُ الله ، وكان محجوباً عن لقائه ، قال صلى الله عليه وسلم : « لولا أنَّ الشياطينَ يحومون علىٰ قلوب بني آدمَ . . لنظروا إلىٰ ملكوتِ السماوات » « إحياء » (١٠٢/٢) **انتهىٰ من هامش** (أ) بتصرفٍ يسيرٍ . والحديث أخرجه أحمد (٣٥٣/٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٧٧٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ضمن قصة الإسراء .

وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ : ٱلرَّيَّانُ ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا ٱلصَّائِمُونَ ، فَإِذَا دَخَلُوهُ . . أُغْلِقَ »[1] .

❁ ❁ ❁

فَهَـٰذَا ٱلْقَدْرُ مِنْ شَرْحِ ٱلطَّاعَاتِ يَكْفِيكَ فِي بِدايَةِ ٱلْهِدَايَةِ .

فَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَى ٱلزَّكَاةِ ، أَوِ ٱلْحَجِّ ، أَوْ إِلَىٰ مَزِيدٍ فِي شَرْحِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ . . فَٱطْلُبْهُ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » تَجِدْهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦) ، ومسلم (١١٥٢) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه .

القِسمُ الثَّاني

القَولُ في اجتِنابِ المعَاصِي

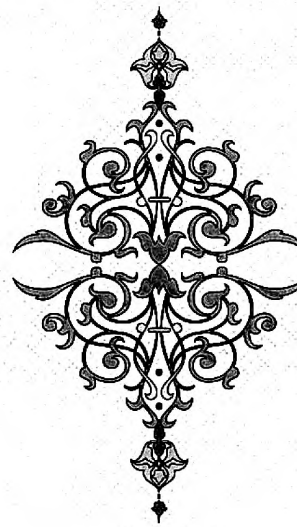

القسم الثاني
القول في اجتناب المعاصي

ٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلدِّينَ شَطْرَانِ :

أَحَدُهُمَا : تَرْكُ ٱلْمَعَاصِي .

وَٱلْآخَرُ : فِعْلُ ٱلطَّاعَاتِ .

وَتَرْكُ ٱلْمَنَاهِي هُوَ ٱلْأَشَدُّ .

فَٱلطَّاعَةُ يَقْدِرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ ، وَتَرْكُ ٱلشَّهَوَاتِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلصِّدِّيقُونَ ؛ وَلِذَٰلِكَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلْمُهَاجِرُ : مَنْ هَجَرَ ٱلسُّوءَ ، وَٱلْمُجَاهِدُ : مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ »[1] .

❀ ❀ ❀

وَٱعْلَمْ : أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْصِي ٱللهَ تَعَالَىٰ بِجَوَارِحِكَ ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مِنَ ٱللهِ عَلَيْكَ وَأَمَانَةٌ لَدَيْكَ ؛ فَٱسْتِعَانَتُكَ بِنِعْمَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ . . غَايَةُ ٱلْكُفْرَانِ ، وَخِيَانَتُكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْدَعَكَهَا ٱللهُ . . غَايَةُ ٱلطُّغْيَانِ ؛ فَإِنَّ أَعْضَاءَكَ رَعَايَاكَ ، فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَرْعَاهَا .

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٢١) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٧٩٤) ، والحاكم (١٠/١) عن سيدنا فضالة بن عبيد رضي الله عنه بنحوه .

فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

❀ ❀ ❀

وَٱعْلَمْ : أَنَّ جَمِيعَ أَعْضَائِكَ سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ فِي عَرَصَاتِ ٱلْقِيَامَةِ بِلِسَانٍ ذَلِقٍ [1] ، يَفْضَحُكَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَلَأٌ مِنَ ٱلْخَلَائِقِ .

قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

فَٱحْفَظْ جَمِيعَ بَدَنِكَ ، وَخُصُوصاً أَعْضَاءَكَ ٱلسَّبْعَةَ ؛ فَإِنَّ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ، وَلَا يَتَعَيَّنُ لِتِلْكَ ٱلْأَبْوَابِ إِلَّا مَنْ عَصَى ٱللهَ تَعَالَىٰ بِهَـٰذِهِ ٱلْأَعْضَاءِ ؛ وَهِيَ : ٱلْعَيْنُ ، وَٱلْأُذُنُ ، وَٱللِّسَانُ ، وَٱلْبَطْنُ ، وَٱلْفَرْجُ ، وَٱلْيَدُ ، وَٱلرِّجْلُ .

أَمَّا ٱلْعَيْنُ . . فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ ؛ لِتَهْتَدِيَ بِهَا فِي ٱلظُّلُمَاتِ ، وَتَسْتَعِينَ بِهَا فِي ٱلْحَاجَاتِ ، وَتَنْظُرَ بِهَا إِلَىٰ عَجَائِبِ مَلَكُوتِ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتِ [2] ، وَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْآيَاتِ .

---

(١) ذَلِقٍ : فصيح .

(٢) قال قتادة رحمه الله : (ملكوت السماوات : الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض : الجبال والأشجار والبحار) . والملكوت : بمنزلة الملك ، إلا أنَّ التاء زيدت للمبالغة ؛ كالرغبوت والرهبوت . « واحدي » [« الوسيط » (٢٨٩/٢)] .

فَٱحْفَظْهَا عَنْ ثَلَاثَةٍ :

ـ أَنْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَىٰ غَيْرِ مَحْرَمٍ ، وَإِلَىٰ صُورَةٍ مَلِيحَةٍ بِشَهْوَةِ نَفْسٍ .

ـ أَوْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَىٰ مُسْلِمٍ بِعَيْنِ ٱلِاحْتِقَارِ .

ـ أَوْ تَطَّلِعَ بِهَا إِلَىٰ عَيْبِ مُسْلِمٍ .

❁ ❁ ❁

وَأَمَّا ٱلْأُذُنُ . . فَٱحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى ٱلْبِدْعَةِ ، أَوِ ٱلْغِيبَةِ ، أَوِ ٱلْفُحْشِ ، أَوِ ٱلْخَوْضِ فِي ٱلْبَاطِلِ ، أَوْ ذِكْرِ مَسَاوِي ٱلنَّاسِ ؛ فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَسُنَّةَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحِكْمَةَ أَوْلِيَائِهِ ، وَتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى ٱسْتِفَادَةِ ٱلْعِلْمِ ؛ لِتَنَالَ بِهَا ٱلْمُلْكَ ٱلْمُقِيمَ وَٱلنَّعِيمَ ٱلدَّائِمَ .

فَإِذَا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ . . صَارَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ ، وَٱنْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ . . فَصَارَ سَبَبَ هَلَاكِكَ ، وَهَٰذَا غَايَةُ ٱلْخُسْرَانِ .

← وليس المراد بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النظرَ إلى الدنيا بعين الاختيار ، وإنَّما أراد النظر إليها بعين الاعتبار ، كما حكي أن يوسف بن أسباط أُتي له بجوهرة فأخذها ، وقبَّلها ، ووضعها علىٰ عينيه ، ثم وضعها بين يديه وقال : (إنَّ الدنيا لم تُخلق لننظر إليها ، إنَّما خُلقت لننظر بها إلى الآخرة) « رياض الأنس » [(ق/٦٢ ـ ٦٣)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱلْإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ ٱلْقَائِلُ دُونَ ٱلْمُسْتَمِعِ ، فَفِي ٱلْخَبَرِ : « إِنَّ ٱلْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ ٱلْقَائِلِ ، وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمُغْتَابَيْنِ »[1] .

❁ ❁ ❁

وَأَمَّا ٱللِّسَانُ[2] . . فَإِنَّمَا خُلِقَ لَكَ ؛ لِتُكْثِرَ بِهِ ذِكْرَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣/٣٣١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/٩٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بنحوه .

قال بعضهم : [من المتقارب]

تحرَّ مِنَ الطُّرقِ أوساطَها ... وعدِّ عنِ الجانبِ المُشتبِهْ

وسمعَكَ صُن عن سماعِ القبيحِ ... كصونِ اللِّسانِ عنِ النطقِ بهْ

فإنَّك عندَ سماعِ القبيحِ ... شريكٌ لقائلِهِ فانتبهْ

ورُوي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : أنَّه دُعي إلىٰ وليمة فحضر ، فذكروا رجلاً لم يأتِهم ، فقالوا : إنَّه ثقيلٌ ، فقال إبراهيم : « أنا فعلتُ هٰذا بنفسي حيث حضرتُ موضعاً يُغتاب فيه الناس » فخرج ولم يأكل ثلاثةَ أيام . « أذكار » [ص ٥٤٧] .

(٢) أخرج البخاري (٦٤٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ العبدَ ليتكلَّم بالكلمة من رضوانِ الله لا يُلقي لها بالاً ؛ يرفعُه اللهُ بها درجاتٍ ، وإنَّ العبدَ ليتكلَّم بالكلمة من سخطِ الله لا يُلقي لها بالاً ؛ يهوي بها في جهنم » . وأخرج أيضاً (٧٠٧٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سِبابُ المسلم فسوقٌ ، وقتاله كفرٌ » .

وأخرج ابن المبارك في « الزهد » (٧٣٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العبدَ ليقول الكلمةَ ، لا يقولها إلَّا ليُضحِك بها الناسَ ؛ يهوي بها أبعدَ ما بين السماء والأرض ، وإنَّه ليَزِلُّ علىٰ لسانه أشدَّ ممَّا يَزِلُّ علىٰ قدمِهِ » .

وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ ، وَتُرْشِدَ بِهِ خَلْقَ ٱللهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ طَرِيقِهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ .

فَإِذَا ٱسْتَعْمَلْتَهُ لِغَيْرِ مَا خُلِقَ لَكَ . . فَقَدْ كَفَرْتَ بِنِعْمَةِ ٱللهِ ؛ وَهُوَ أَغْلَبُ أَعْضَائِكَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ سَائِرِ ٱلْخَلْقِ .

وَلَا يَكُبُّ ٱلنَّاسَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ (١) .

فَٱسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِغَايَةِ قُوَّتِكَ ؛ حَتَّىٰ لَا يَكُبَّكَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ ؛

← وأخرج مسلم (٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفىٰ بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكلِّ ما سمع » . وأخرج الترمذي (٢٥٠١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صمت . . نجا » .

وأخرج الترمذي (٢٤٠٦) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : لقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ : ما النجاةُ ؟ قال : « أمسكْ عليك لسانَكَ ، وليسعْكَ بيتُكَ ، وابكِ علىٰ خطيئتِكَ » . وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٠٥) عن سيدتنا ميمونة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ميمونةُ ؛ تعوَّذي بالله من عذابِ القبر ، وإنَّ من أشد عذاب القبر يا ميمونةُ : الغِيبةَ والبولَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ عذاب القبر من ثلاثةٍ : الغيبةِ ، والنميمةِ ، والبولِ ، فإياكم وذٰلك » . انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ .

(١) جاء في هامش (أ) : [من الكامل]

احذر لسانَكَ أيُّه الإنسانُ ... لا يَلدغنَّكَ إنَّه ثعبانُ

كم في المقابرِ مِنْ قتيلِ لسانِهِ ... قد كانَ هابَ لقاءَهُ الأقرانُ

انتهىٰ من هامش (أ) ، وقد أنشدهما الإمام الشافعي رضي الله عنه متمثلاً كما في « مناقب الشافعي » للبيهقي (٢/٨٧) .

فَفِي ٱلْحَدِيثِ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِٱلْكَلِمَةِ ، فَيَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفاً »[1] .

وَقُتِلَ شَهِيدٌ فِي ٱلْمَعْرَكَةِ ، فَقَالَ قَائِلٌ : هَنِيئاً لَهُ ٱلْجَنَّةُ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا يُدْرِيكَ ؟! لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَيَبْخَلُ بِمَا لَا يُغْنِيهِ »[2] .

فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :

ٱلْأَوَّلُ : ٱلْكَذِبُ[3] .

فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي ٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ ، وَلَا تُعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلْكَذِبَ هَزْلاً[4] فَيَتَدَاعَىٰ إِلَى ٱلْجِدِّ ؛ فَٱلْكَذِبُ مِنْ أُمَّهَاتِ ٱلْكَبَائِرِ ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٤) ، وابن ماجه (٤١٢٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٦) ، والبزار في « المسند » (٧٥٥٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) وأخرج البخاري (٦٠٩٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **عليكم بالصدق ؛ فإنَّ الصدق** يهدي إلى البِرّ ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنة ، وما زال الرجلُ يصدق ويتحرَّى الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عند الله صدِّيقاً ، **وإياكم والكذبَ ؛ فإنَّ الكذب** يهدي إلى الفجور ، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجلُ يكذب ويتحرَّى الكذبَ حتىٰ يُكتب عند الله كذَّاباً » . وأخرج الترمذي (١٩٧٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كذب العبدُ . . تباعد الملَك ميلاً من نَتْن ما جاء به » . **انتهىٰ من هامش (أ)** بتصرفٍ يسيرٍ .

(٤) قال صلى الله عليه وسلم : « ويلٌ لمَنْ يُحدِّث فيكذبُ ليضحكَ القومَ ، ويلٌ ←

إِنَّكَ إِذَا عُرِفْتَ بِذَٰلِكَ . . سَقَطَتِ ٱلثِّقَةُ بِقَوْلِكَ ، وَتَزْدَرِيكَ ٱلْأَعْيُنُ وَتَحْتَقِرُكَ .

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قُبْحَ ٱلْكَذِبِ مِنْ نَفْسِكَ . . فَٱنْظُرْ إِلَىٰ كَذِبِ غَيْرِكَ وَإِلَىٰ نَفْرَةِ نَفْسِكَ عَنْهُ ، وَٱسْتِحْقَارِكَ لِصَاحِبِهِ ، وَٱسْتِقْبَاحِكَ لَهُ ، وَكَذَٰلِكَ فَٱفْعَلْ فِي جَمِيعِ عُيُوبِ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي قُبْحَ عُيُوبِكَ مِنْ نَفْسِكَ بَلْ مِنْ غَيْرِكَ ؛ فَمَا ٱسْتَقْبَحْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ . . فَيَسْتَقْبِحُهُ غَيْرُكَ مِنْكَ لَا مَحَالَةَ ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ بِذَٰلِكَ .

ٱلثَّانِي : ٱلْخُلْفُ فِي ٱلْوَعْدِ .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَعِدَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَتَفِي بِهِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِحْسَانُكَ لِلنَّاسِ فِعْلاً بِلَا قَوْلٍ .

فَإِذَا ٱضْطُرِرْتَ إِلَى ٱلْوَعْدِ . . فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْلِفَ إِلَّا لِعَجْزٍ أَوْ ضَرُورَةٍ .

فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ ٱلنِّفَاقِ وَخَبَائِثِ ٱلْأَخْلَاقِ[1] .

قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ . . فَهُوَ

← له ، ويلٌ له » . انتهىٰ من هامش (أ) . أخرجه أبو داوود (٤٩٥١) ، والترمذي (٢٣١٥) عن سيدنا معاوية بن حيدة رضي الله عنهما .

(١) قال صلى الله عليه وسلم : « إذا وعد الرجل أخاه ومِنْ نيتِه أن يفيَ له ، فلم يف ولم يجئ للميعاد . . فلا إثم عليه » . انتهىٰ من هامش (أ) . أخرجه أبو داوود (٤٩٥٦) ، والترمذي (٢٦٣٣) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه .

مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ [1] : مَنْ إِذَا حَدَّثَ . . كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ . . أَخْلَفَ ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ . . خَانَ » [2] .

ٱلثَّالِثُ : ٱلْغِيبَةُ .

ٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ ٱلْغِيبَةِ [3] ؛ فَٱلْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي ٱلْإِسْلَامِ ، كَذَٰلِكَ ٱلْخَبَرُ [4] .

---

(١) في الحديث : « أربع جواهر في جسم ابن آدم يزيلها أربعة أشياء : أمَّا الجواهر . . فالعقل والدين والحياء والعمل الصالح ؛ فالفقرُ يزيل العقلَ ، والحسدُ يزيل الدِّينَ ، والطمعُ يزيل الحياءَ ، والغِيبةُ تزيل العملَ الصالحَ » والله أعلم . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/٥٣٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

والخَلق في الأمانة خمسةُ أصناف : أحدُهم : العلماء ، وأمانتهم : النصيحةُ للخلق مع قطع الطمع منهم . الثاني : الأمراء ، وأمانتهم : العدلُ بين الناس . الثالثُ : التجار ، وأمانتهم : إنصافُ الناس من أنفسهم ، واجتنابُ النجش في مكاييلهم وموازينهم . الرابعُ : الفقراء ، وأمانتهم : كتمانُ الشدة ، وترك الشكاية للأغنياء . الخامسُ : الأغنياء ، وأمانتهم : أداءُ الحقوق التي في أموالهم ، والشكرُ لله عز وجل في جميع الأحوال . من « رياض الأنس » لأبي سعيد الحسن الواعظ نفع الله به [(ق/ ٢٦ ـ ٢٧)] . ويقال : البريء جريء ، والخائن خائف ، ويقال : مَنْ خان . . فلا كان . وفي بعض الأخبار : « إياكم والخيانةَ ؛ فإنَّها بئست البطانةُ » منه [أي : « رياض الأنس » (ق/٢٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) . والخبر أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢/٢٠٤) عن سيدنا الهرماس بن زياد رضي الله عنهما .

(٣) قال صلى الله عليه وسلم : « مَنِ اغتاب جارَه المسلمَ . . حول الله قبله إلىٰ دبره يوم القيامة » « بركة » [(ص ٢٥٩)] . انتهىٰ من هامش (أ) . أخرجه سليم الرازي في « عوالي مالك » (٣٦/٣٣٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) روى ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٦٤) عن جابر وأبي سعيد رضي الله ←

وَمَعْنَى ٱلْغِيبَةِ : أَنْ تَذْكُرَ إِنْسَاناً بِمَا يَكْرَهُهُ لَوْ سَمِعَهُ ؛ فَأَنْتَ مُغْتَابٌ ظَالِمٌ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً .

وَإِيَّاكَ وَغِيبَةَ ٱلْقُرَّاءِ ٱلْمُرَائِينَ ؛ وَهُوَ : بِأَنْ تُفْهِمَ ٱلْمَقْصُودَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ فَتَقُولَ : أَصْلَحَهُ ٱللهُ وَقَدْ سَاءَنِي مَا جَرَىٰ عَلَيْهِ وَغَمَّنِي ، فَأَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يُصْلِحَنَا وَإِيَّاهُ .

فَإِنَّ هَـٰذَا جَمْعٌ بَيْنَ خَبِيثَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : ٱلْغِيبَةُ ؛ إِذْ حَصَلَ بِهِ ٱلتَّفَهُّمُ .

وَٱلْآخَرُ : تَزْكِيَةُ ٱلنَّفْسِ وَٱلثَّنَاءُ عَلَيْهَا بِٱلتَّحَرُّجِ وَٱلصَّلَاحِ .

وَلَـٰكِنْ إِنْ كَانَ مَقْصُودُكَ مِنْ قَوْلِكَ : (أَصْلَحَهُ ٱللهُ) ٱلدُّعَاءَ . . فَٱدْعُ لَهُ فِي ٱلسِّرِّ .

وَإِنِ ٱغْتَمَمْتَ بِسَبَبِهِ . . فَعَلَامَتُهُ أَنَّكَ لَا تُرِيدُ فَضِيحَتَهُ وَإِظْهَارَ عَيْبِهِ[1] .

← عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والغيبةَ ؛ فإنَّ الغيبة أشدُّ من الزنا ، إنَّ الرجل قد يزني فيتوب ، فيتوب الله عليه ، وإنَّ صاحب الغيبة لا يُغفر له حتىٰ يغفر له صاحبه » .

(١) وأمَّا الرحمةُ علىٰ إثمه . . فذٰلك حسن ، ولٰكن حسدك إبليسُ فاستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثرُ من رحمتك له ، فيخرج عن كونه مرحوماً ، وتنقلب أنت مستحقّاً لأن تكون مرحوماً ؛ إذ حبط أجرُك ، ونقص من حسناتك . وكذٰلك الغضبُ لله لا يوجب الغِيبةَ ، فإنَّما الشيطان حبب إليك الغِيبةَ ؛ ليحبط أجر غضبك ، وتصير معرَّضاً لغضب الله تعالىٰ بالغِيبة . وأمَّا التعجبُ إذا أخرجك إلى الغِيبة . . فينبغي أن تتعجَّب من نفسك أنت : كيف ←

وَفِي إِظْهَارِكَ ٱلْغَمَّ بِعَيْبِهِ . . إِظْهَارٌ لِعَيْبِهِ ، وَيَكْفِيكَ زَاجِراً عَنِ ٱلْغِيبَةِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

فَقَدْ شَبَّهَكَ ٱللهُ بِآكِلِ ٱلْمَيْتَةِ ، فَمَا أَجْدَرَكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِنْهَا !!

وَيَمْنَعُكَ مِنْ غِيبَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ لَوْ تَفَكَّرْتَ فِيهِ ؛ وَهُوَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ نَفْسِكَ : هَلْ فِيكَ عَيْبٌ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ ؟ وَهَلْ أَنْتَ مُقَارِفٌ مَعْصِيَةً سِرّاً أَوْ جَهْراً ؟

فَإِنْ عَرَفْتَ ذَٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ . . فَٱعْلَمْ أَنَّ عَجْزَهُ عَنِ ٱلتَّنَزُّهِ عَمَّا نَسَبْتَهُ إِلَيْهِ كَعَجْزِكَ ، وَعُذْرَهُ كَعُذْرِكَ .

وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ تُفْضَحَ وَتُذْكَرَ عُيُوبُكَ . . فَهُوَ أَيْضاً يَكْرَهُهُ .

فَإِنْ سَتَرْتَهُ . . سَتَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ .

وَإِنْ فَضَحْتَهُ . . سَلَّطَ ٱللهُ عَلَيْكَ أَلْسِنَةً حِدَاداً ، يُمَزِّقُونَ عِرْضَكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، ثُمَّ يَفْضَحُكَ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي ٱلْآخِرَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْمَلَأِ[1] .

← أهلكت دِينك بدِين غيرك أو بدنياه ، وأنتَ مع ذٰلك لا تأمن عقوبةَ الدنيا ؛ وهو أن يهتك الله سترَك كما هتكت سترَ أخيك بالتعجُّب !! « إحياء » [(٥/٥٣٠)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(١) قال صلى الله عليه وسلم : « مَنِ اغتيب عندَه أخوه المسلمُ ، وهو يَقدِر علىٰ نصره فنصره . . نصره اللهُ في الدنيا والآخرة ؛ فإن لم ينصره وهو يَقدِر علىٰ نصره . . أدركه اللهُ بها في الدنيا والآخرة » . وقال صلى الله عليه وسلم : ←

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَىٰ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ ، فَلَمْ تَطَّلِعْ فِيهِمَا عَلَىٰ عَيْبٍ وَنَقْصٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا . . فَٱعْلَمْ أَنَّ جَهْلَكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ أَقْبَحُ أَنْوَاعِ ٱلْحَمَاقَةِ ، وَلَا عَيْبَ أَعْظَمُ مِنَ ٱلْحُمْقِ .

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِكَ خَيْراً . . لَبَصَّرَكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ .

فَرُؤْيَتُكَ نَفْسَكَ بِعَيْنِ ٱلرِّضَا . . غَايَةُ غَبَاوَتِكَ وَمُنْتَهَىٰ جَهْلِكَ .

ثُمَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِي ظَنِّكَ . . فَٱشْكُرِ ٱللهَ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ، وَلَا تُفْسِدْهُ بِثَلْبِ ٱلنَّاسِ وَٱلتَّمَضْمُضِ بِأَعْرَاضِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْعُيُوبِ .

ٱلرَّابِعُ : ٱلْمِرَاءُ ، وَٱلْجِدَالُ ، وَمُنَاقَشَةُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْكَلَامِ .

فَذَٰلِكَ فِيهِ إِيذَاءٌ لِلْمُخَاطَبِ ، وَتَجْهِيلٌ لَهُ ، وَطَعْنٌ فِيهِ ، وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى ٱلنَّفْسِ وَتَزْكِيَةٌ لَهَا بِمَزِيدِ ٱلْفِطْنَةِ وَٱلْعِلْمِ .

ثُمَّ هُوَ مُشَوِّشٌ لِلْعَيْشِ ؛ لِأَنَّكَ إِنْ مَارَيْتَ سَفِيهاً . . آذَاكَ ، وَإِنْ

← « ما مِن امرئٍ يَخذُل امرأً مسلماً في موضع تُنتهَكُ فيه حرمتُه ، ويُنتقَص فيه من عِرضه . . إلَّا خذله اللهُ تعالىٰ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نصرتَه ، وما مِن امرئٍ مسلم ينصر مسلماً في موضعٍ يُنتقَص فيه من عِرضه ، ويُنتهَكُ فيه من حرمتِهِ . . إلَّا نصره اللهُ تعالىٰ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نصرتَه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رأىٰ عورةً فسترها . . كان كمَنْ أحيا موءودةً » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حمىٰ مؤمناً مِنْ منافقٍ يعيبُه . . بعثَ اللهُ مَلَكاً يحمي لحمَه يومَ القيامة من نارِ جهنَّم ، ومَنْ رمىٰ مسلماً بشيءٍ يريد شَيْنَه . . حبسَه اللهُ علىٰ جسرِ جهنَّم حتىٰ يخرجَ مما قال » . « مصابيح » [(٣/٣٧٢ ـ ٣٧٤)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

مَارَيْتَ حَلِيماً . . فَلَاكَ وَحَقَدَ عَلَيْكَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ . . بَنَى ٱللهُ لَهُ بَيْتاً فِي رَبَضِ ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى ٱللهُ لَهُ بَيْتاً فِي أَعْلَى ٱلْجَنَّةِ »(١) .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْدَعَكَ ٱلشَّيْطَانُ وَيَقُولَ لَكَ : أَظْهِرِ ٱلْحَقَّ وَلَا تُدَاهِنْ فِيهِ ؛ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ أَبَداً يَسْتَجِرُّ ٱلْحَمْقَىٰ إِلَى ٱلشَّرِّ فِي مَعْرِضِ ٱلْخَيْرِ ، فَلَا تَكُنْ ضُحْكَةً لِلشَّيْطَانِ يَسْخَرُ بِكَ ، فَإِظْهَارُ ٱلْحَقِّ حَسَنٌ مَعَ مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ ؛ وَذَٰلِكَ بِطَرِيقِ ٱلنَّصِيحَةِ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ، لَا بِطَرِيقِ ٱلْمُمَارَاةِ .

وَلِلنَّصِيحَةِ : صِيغَةٌ وَهَيْئَةٌ ، وَيُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى ٱلتَّلَطُّفِ ، وَإِلَّا . . صَارَتْ فَضِيحَةً ، وَكَانَ فَسَادُهَا أَكْثَرَ مِنْ صَلَاحِهَا .

وَمَنْ خَالَطَ مُتَفَقِّهَةَ ٱلْعَصْرِ . . غَلَبَ عَلَىٰ طَبْعِهِ ٱلْمِرَاءُ ، وَعَسُرَ عَلَيْهِ ٱلصَّمْتُ ؛ إِذْ أُلْقِيَ إِلَيْهِمُ ٱلْعُلَمَاءُ ٱلسُّوءُ : أَنَّ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ، وَأَنَّ ٱلْقُدْرَةَ عَلَى ٱلْمُجَادَلَةِ وَٱلْمُنَاقَشَةِ هُوَ ٱلَّذِي يُمْتَدَحُ بِهِ ، فَفِرَّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْمِرَاءَ سَبَبُ ٱلْمَقْتِ عِنْدَ ٱللهِ وَعِنْدَ ٱلْخَلْقِ .

ٱلْخَامِسُ : تَزْكِيَةُ ٱلنَّفْسِ .

فَقَدْ قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٣) ، وابن ماجه (٥٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : مَا ٱلصِّدْقُ ٱلْقَبِيحُ ؟ فَقَالَ : (ثَنَاءُ ٱلْمَرْءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ)[1] .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ ذَٰلِكَ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ذَٰلِكَ يَنْقُصُ مِنْ قَدْرِكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ ، وَيُوجِبُ مَقْتَكَ عِنْدَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ فِي قَدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ . . فَٱنْظُرْ إِلَىٰ أَقْرَانِكَ إِذَا أَثْنَوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِٱلْفَضْلِ وَٱلْجَاهِ وَٱلْمَالِ : كَيْفَ يَسْتَنْكِرُهُ قَلْبُكَ ، وَيَسْتَثْقِلُهُ طَبْعُكَ ، وَكَيْفَ تَذُمُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ ، فَٱعْلَمْ أَنَّهُمْ أَيْضاً فِي حَالِ تَزْكِيَتِكَ نَفْسَكَ يَذُمُّونَكَ بِقُلُوبِهِمْ ، وَيُظْهِرُونَهُ[2] بِأَلْسِنَتِهِمْ إِذَا فَارَقْتَهُمْ .

ٱلسَّادِسُ : ٱللَّعْنُ .

---

(١) اعلم : أنَّ ذكر محاسنه ـ أي : محاسن الشخص ـ ضربان : مذموم ، ومحبوب .

فالمذمومُ : أن يذكره للافتخار ، وإظهار الارتفاع ، والتميز على الأقران ، وشبه ذٰلك . والمحبوبُ : أن يكون فيه مصلحةٌ دينية ؛ وذٰلك بأن يكون آمراً بمعروف ، أو ناهياً عن منكر ، أو ناصحاً ، أو مشيراً بمصلحة ، أو مُعلِّماً ، أو مؤدِّباً ، أو واعظاً ، أو مذكِّراً ، أو مُصلِحاً بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شرّاً ، أو نحوَ ذٰلك ؛ فيذكر محاسنه ناوياً بذٰلك أن يكون هٰذا أقرب إلىٰ قَبولِ قوله ، واعتماد ما يذكره ، وإن هٰذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به ، ونحو ذٰلك . « أذكار » [(ص ٤٥٢)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) في (أ) : (ويستظهرونه) .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ؛ مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ إِنْسَانٍ بِعَيْنِهِ[1] ، أَوْ تَقْطَعَ شَهَادَتَكَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ بِشِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ ؛ فَإِنَّ ٱلْمُطَّلِعَ عَلَى ٱلسَّرَائِرِ هُوَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، فَلَا تَدْخُلْ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ وَبَيْنَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لَا يُقَالُ لَكَ : لِمَ لَمْ تَلْعَنْ فُلَاناً ، أَوْ لِمَ سَكَتَّ عَنْهُ ؟!

بَلْ لَوْ لَمْ تَلْعَنْ إِبْلِيسَ طُولَ عُمْرِكَ ، وَلَمْ تَشْغَلْ لِسَانَكَ بِذِكْرِهِ . . لَمْ تُسْأَلْ عَنْهُ .

وَإِذَا لَعَنْتَ أَحَداً . . طُولِبْتَ بِهِ ، وَسُئِلْتَ عَنْهُ !!

وَلَا تَذُمَّنَّ شَيْئاً مِنْ خَلْقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَذُمُّ ٱلطَّعَامَ ٱلرَّدِيءَ قَطُّ ، وَكَانَ إِذَا ٱشْتَهَىٰ شَيْئاً . . أَكَلَهُ ، وَإِلَّا . . تَرَكَهُ[2] .

ٱلسَّابِعُ : ٱلدُّعَاءُ عَلَى ٱلْخَلْقِ .

ٱحْفَظْ لِسَانَكَ عَنِ ٱلدُّعَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَإِنْ

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم : « لعنُ المؤمن كقتله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي للصِّدِّيق أن يكون لعَّاناً » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لعن شيئاً ليس له بأهلٍ . . رجعت اللعنةُ عليه » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « لعنُ المؤمن كقتله » أي : في الإثم ، هذا هو الأظهر كما ذكره في « شرح مسلم » [(١٦/١٤٩)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ظَلَمَكَ [1] ، وَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ فَفِي ٱلْحَدِيثِ : « إِنَّ ٱلْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَىٰ ظَالِمِهِ حَتَّىٰ يُكَافِئَهُ ، ثُمَّ يَبْقَىٰ لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ يُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » [2] .

وَطَوَّلَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ لِسَانَهُ فِي ٱلْحَجَّاجِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ : (إِنَّ ٱللهَ لَيَنْتَقِمُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ تَعَرَّضَ لَهُ بِلِسَانِهِ ؛ كَمَا يَنْتَقِمُ مِنَ ٱلْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ) [3] .

ٱلثَّامِنُ : ٱلْمِزَاحُ [4] ، وَٱلسُّخْرِيَةُ ، وَٱلِٱسْتِهْزَاءُ بِٱلنَّاسِ [5] .

---

(١) ويجوز الدعاء علىٰ مَنْ ظلمه ، أو ظَلَم غيره ، قال النووي : (وعلىٰ مَنْ خالف الحكم الشرعي) . **قلت** : وترك الدعاء علىٰ مَنْ ظلمه أولىٰ ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دعا علىٰ مَنْ ظلمه . . فقدِ انتصر » . **قلت** : وشبيهٌ باللعن قولك : قاتله الله ، ونحوه . **ومن هٰذا اللعن** : الدعاءُ على النفس والأهل والمال إذا خرج الدعاءُ من جِدٍّ ، فأمَّا إذا سبق على اللسان من غير قلب . . فالرجوىٰ أنَّه من اللَّغو الذي لا يُؤاخِذ اللهُ به . « بركة » معنىً [(ص ٢٤٦)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠١٩٢) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٢٢٦) ، وابن أبي الدنيا في « التوبة » (٤١) من قول ابن سيرين رحمه الله تعالىٰ .

(٤) المزح وأصله منهيٌّ عنه ، إلَّا قدراً يسيراً فيستثنىٰ منه . « إحياء » (٤٥٧/٥) . [والمزاح] الذي فيه إفراط ، ويداوم عليه حتىٰ يورث الضحك والقسوة ، وقد يؤول إلى الإيذاء والحقد ، ويسقط المهابة والوقار . ولا بأس باليسير منه في بعض الأوقات ، سيما في السفر ومع النساء والصبيان ؛ تطييباً لقلوبهم ، وذٰلك سنة فعله النبيُّ صلى الله عليه وسلم . « بركة » ملخصاً [(ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

(٥) وهٰذا محرم ما كان مؤذياً ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ . . . ﴿١١﴾ ﴾ الآية . ←

فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ يُرِيقُ مَاءَ ٱلْوَجْهِ ، وَيُسْقِطُ ٱلْمَهَابَةَ ، وَيَسْتَجِرُّ ٱلْوَحْشَةَ ، وَيُؤْذِي ٱلْقُلُوبَ .

وَهُوَ مَبْدَأُ ٱللَّجَاجِ وَٱلتَّصَارُمِ ، وَمَغْرِسُ ٱلْحِقْدِ فِي ٱلْقُلُوبِ ، فَلَا تُمَازِحْ أَحَداً .

وَإِنْ مَازَحَكَ غَيْرُكَ . . فَلَا تُجِبْهُ ، وَأَعْرِضْ عَنهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ .

وَكُنْ مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ . . مَرُّوا كِرَاماً[1] .

فَهَـٰذِهِ مَجَامِعُ آفَاتِ ٱللِّسَانِ ، وَلَا يُعِينُكَ عَلَيْهَا إِلَّا ٱلْعُزْلَةُ ، أَوْ مُلَازَمَةُ ٱلصَّمْتِ إِلَّا بِقَدْرِ ٱلضَّرُورَةِ ، فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ

← **ومعنى السخرية** : الاستحقارُ والاستهانة ، والتنبيه على العيوب والنقائص علىٰ وجه الضحك منه ، وقد يكون ذٰلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء . وإذا كان بحضرة المستهزَأ به . . لم يُسَمَّ ذٰلك غِيبة ، وفيه معنى الغِيبة . وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴿٤٩﴾ ﴾ : (**الصغيرةُ** : التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، **والكبيرةُ** : القهقهة بذٰلك) . **وهٰذا فيه الإشارة** : إلىٰ أنَّ الضحك على الناس من الجرائم والذنوب . « إحياء » [(٤٦٩/٥)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

(١) وقال عمر رضي الله عنه : (من كثر مزحُه . . قَلَّت هيبتُه ، ومَنْ مزح . . استُخِفَّ به ، ومَنْ أكثر من شيء . . عُرف به ، ومَنْ كثر كلامُه . . كثر سَقَطُه ، ومَنْ كثر سَقَطُه . . قلَّ حياؤه ، ومَنْ قلَّ حياؤه . . قلَّ ورعُه ، ومَنْ قلَّ ورعُه . . ماتَ قلبُه) **لأنَّ الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة** . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم . . لبكيتُم كثيراً ، ولضحكتُم قليلاً » . « إحياء » [(٤٥٨/٥)] **انتهىٰ من هامش (أ)** . والحديث أخرجه البخاري (٦٦٣١) ، ومسلم (٩٠١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَضَعُ حَجَراً فِي فِيهِ يَمْنَعُهُ مِنَ ٱلْكَلَامِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ، وَيُشِيرُ إِلَىٰ لِسَانِهِ وَيَقُولُ : (هَـٰذَا ٱلَّذِي أَوْرَدَنِي ٱلْمَوَارِدَ)[1] .

فَٱحْتَرِزْ مِنْهُ غَايَةَ جَهْدِكَ ؛ فَإِنَّهُ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ هَلَاكِكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

❀ ❀ ❀

وَأَمَّا ٱلْبَطْنُ . . فَٱحْفَظْهُ عَنْ تَنَاوُلِ ٱلْحَرَامِ وَٱلشُّبْهَةِ ، وَٱحْرِصْ عَلَىٰ طَلَبِ ٱلْحَلَالِ ، فَإِذَا وَجَدْتَهُ . . فَٱحْرِصْ عَلَىٰ أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَىٰ مَا دُونَ ٱلشِّبَعِ ؛ فَإِنَّ ٱلشِّبَعَ يُقَسِّي ٱلْقَلْبَ ، وَيُفْسِدُ ٱلذِّهْنَ ، وَيُبْطِلُ ٱلْحِفْظَ ، وَيُثَقِّلُ ٱلْأَعْضَاءَ عَنِ ٱلْعِبَادَةِ وَٱلْعِلْمِ ، وَيُقَوِّي ٱلشَّهَوَاتِ ، وَيَنْصُرُ جُنُودَ ٱلشَّيْطَانِ .

وَٱلشِّبَعُ مِنَ ٱلْحَلَالِ مَبْدَأُ كُلِّ شَرٍّ ، فَكَيْفَ مِنَ ٱلْحَرَامِ ؟!

وَطَلَبُ ٱلْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ .

وَٱلْعِبَادَةُ وَٱلْعِلْمُ مَعَ أَكْلِ ٱلْحَرَامِ . . كَٱلْبِنَاءِ عَلَى ٱلسِّرْجِينِ ؛ وَهُوَ ٱلزِّبْلُ[2] .

فَإِذَا قَنِعْتَ فِي ٱلسَّنَةِ بِقَمِيصٍ خَشِنٍ ، وَفِي ٱلْيَوْمِ بِرَغِيفَيْنِ مِنَ

---

(١) أخرجه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٤١) ، ومالك في « الموطأ » (٩٨٨/٢) عن أسلم مولىٰ عمر رحمه الله ورضي عن سيدنا عمر .

(٢) **الزِّبْل** : الروث ، والمراد : البناء على النجس الذي لا تصح العبادة معه ، أو أن المراد : البناء لا يثبت على السرجين .

ٱلْخُشْكَارِ[1] ، وَتَرَكْتَ ٱلتَّلَذُّذَ بِأَطَايِبِ ٱلْأُدُمِ[2] . . لَمْ يُعْوِزْكَ مِنَ ٱلْحَلَالِ مَا يَكْفِيكَ ، فَٱلْحَلَالُ كَثِيرٌ[3] .

---

(١) **الخُشْكار** : كلمة فارسية مُعرَّبة ، وهي دقيقٌ لم تفصل عنه النخالة .

(٢) وعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت : (كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً ، إنَّما هو التمرُ والماءُ ، إلَّا أن يُؤتىٰ باللَّحم) . وقالت : (ما شبعَ آلُ محمد من خبز بُرٍّ إلَّا وأحدُهما تمرٌ) . وقالت : (**ما شبعَ آلُ محمدٍ من خبزِ الشَّعيرِ** يومَينِ متتابعينِ حتىٰ قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما شبعنا من الأسودينِ) . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (خرج النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من الدُّنيا وما شبعَ من خبز الشَّعير) . وقال النُّعمان بن بشير : (ألستم في طعامٍ وشرابٍ ما شئتم ؟! لقد رأيتُ نبيَّكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه) .

وأخرج الترمذي (١٨٤١) عن سيدتنا أُمِّ هانىء رضي الله عنها قالت : دخل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قال : « أعندكِ شيءٌ ؟ » قالت : لا ، إلَّا خبزٌ يابسٌ وخلٌّ ، فقال : « هاتي ، **ما أقفرَ بيتٌ من أدمٍ فيه خلٌّ** » .

وأخرج أبو داوود (٣٢٥٤) ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : رأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أخذ كِسرةً من خبز الشَّعير فوضع عليها تمرةً وقال : « هٰذه إدامُ هٰذه » ، وأكَلَ .

وأخرج أبو داوود (٣٨١٤) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وددت أنَّ عندي خبزةً بيضاءَ ، من بُرَّةٍ سمراءَ ، مُلَبَّقَةً بسمنٍ ولبنٍ » ، فقام رجل من القوم فاتخذه ، فجاء به ، فقال : « في أيِّ شيءٍ كان هٰذا السَّمن ؟ » ، قال : في عكَّةِ ضبٍّ ، قال : « ارفعه » . « مصابيح » ملخصاً [٣/١٥٥ ـ ١٦٧] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٣) **وإنَّ الأرض لا تخلو من الحلال** ؛ لأنَّ الله تعالىٰ لم يطالبِ الخلق إلَّا بما يمكن حصولُه ، إلَّا أنَّه يكثُر في مواضعَ ، ويقلُّ في مواضعَ ؛ فمَنْ كان ظاهره جميلاً . . فلا يُتَّهم في ماله ومكسبه . ذكره السُّهْرَوَردي نفع الله به . انتهىٰ من هامش (أ) .

وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بَاطِنَ ٱلْأُمُورِ ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ ، أَوْ تَظُنُّ أَنَّهُ حَرَامٌ ظَنّاً[1] ، مَعَ مَا حَصَلَ مِنْ عَلَامَةٍ نَاجِزَةٍ لِعِلَّةٍ مَقْرُونَةٍ بِٱلْمَالِ .

فَأَمَّا ٱلْمَعْلُومُ . . فَظَاهِرٌ .

وَأَمَّا ٱلْمَظْنُونُ بِعَلَامَةٍ . . فَهُوَ مَالُ ٱلسُّلْطَانِ وَعُمَّالِهِ ، وَمَالُ مَنْ لَا كَسْبَ لَهُ إِلَّا مِنَ ٱلنِّيَاحَةِ أَوْ بَيْعِ ٱلْخَمْرِ أَوِ ٱلرِّبَا أَوِ ٱلْمَزَامِيرِ ، حَتَّىٰ عَلِمْتَ أَنَّ أَكْثَرَ مَالِهِ حَرَامٌ قَطْعاً ، فَمَا تَأْخُذُهُ مِنْ يَدِهِ ، وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ حَلَالاً نَادِراً . . فَهُوَ حَرَامٌ ؛ لِأَنَّهُ ٱلْغَالِبُ عَلَى ٱلظَّنِّ .

وَمِنَ ٱلْحَرَامِ ٱلْمَحْضِ : مَا يُؤْكَلُ مِنَ ٱلْأَوْقَافِ مِنْ غَيْرِ شَرْطِ ٱلْوَاقِفِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِٱلتَّفَقُّهِ . . فَمَا يَأْخُذُهُ مِنَ ٱلْمَدَارِسِ حَرَامٌ ، وَمَنِ ٱرْتَكَبَ مَعْصِيَةً تُرَدُّ بِهَا ٱلشَّهَادَةُ . . فَمَا يَأْخُذُهُ بِٱسْمِ ٱلصُّوفِيَّةِ مِنْ وَقْفٍ أَوْ غَيْرِهِ حَرَامٌ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَدَاخِلَ ٱلشُّبُهَاتِ وَٱلْحَلَالِ وَٱلْحَرَامِ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ

---

(١) قال السَّيد السَّمهوديُّ في « فتاويه » [ق/٦] : (المنقول في المذهب : كراهة الأكل من يد المُتلطِّخ بالحرام ، ومجرَّد الكراهة لا يقتضي المؤاخذة في الآخرة مع عدم العلم ودلالة اليد على الملك ، وقد استدلَّ في « شرح المهذَّب » وغيره بدلالة اليد على الملك ، بما نقله الأصحاب من أنَّ مَنْ أكثرُ ماله الحرامُ إذا لم نتحقَّق أنَّ ما باعه من الحرام . . لا تحرم مبايعتُه ؛ لإمكان الحلال وعدم دليل التحريم ، ولكن يُكره خوفاً من الوقوع في الحرام . « فتاوى ابن زياد » نفع الله به [« الأنوار المشرقة » (ق/٢٠٢)]) .

مِنْ كُتُبِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » ، فَعَلَيْكَ بِطَلَبِهِ[1] ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ٱلْحَلَالِ وَطَلَبَهُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ كَٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسِ .

❁ ❁ ❁

وَأَمَّا ٱلْفَرْجُ . . فَٱحْفَظْهُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، وَكُنْ كَمَا قَالَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾ .

وَلَا تَصِلُ إِلَىٰ حِفْظِ ٱلْفَرْجِ . . إِلَّا بِحِفْظِ ٱلْعَيْنِ عَنِ ٱلنَّظَرِ ، وَحِفْظِ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلْفِكْرِ ، وَحِفْظِ ٱلْبَطْنِ عَنِ ٱلشُّبْهَةِ وَعَنِ ٱلشِّبَعِ ؛ فَإِنَّ هَٰذِهِ مُحَرِّكَاتُ ٱلشَّهْوَةِ وَمَغَارِسُهَا .

❁ ❁ ❁

وَأَمَّا ٱلْيَدَانِ . . فَٱحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِهِمَا مُسْلِماً ، أَوْ تَتَنَاوَلَ بِهِمَا مَالاً حَرَاماً ، أَوْ تُؤْذِيَ بِهِمَا أَحَداً مِنْ خَلْقِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، أَوْ تَخُونَ بِهِمَا مُسْلِماً فِي أَمَانَةٍ أَوْ وَدِيعَةٍ ، أَوْ تَكْتُبَ بِهِمَا مَا لَا يَجُوزُ ٱلنُّطْقُ بِهِ ؛ فَإِنَّ ٱلْقَلَمَ أَحَدُ ٱللِّسَانَيْنِ ، فَٱحْفَظِ ٱلْقَلَمَ عَمَّا يَجِبُ حِفْظُ ٱللِّسَانِ عَنْهُ .

❁ ❁ ❁

وَأَمَّا ٱلرِّجْلَانِ . . فَٱحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَىٰ حَرَامٍ ، أَوْ تَسْعَىٰ بِهِمَا إِلَىٰ بَابِ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ ؛ فَٱلْمَشْيُ إِلَى ٱلسَّلَاطِينِ ٱلظَّلَمَةِ

---

(١) وهو كتاب (الحلال والحرام) من كتب « إحياء علوم الدين » (٣/٣٤١) .

مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَإِرْهَاقٍ [1] . . مَعْصِيَةٌ ؛ فَإِنَّهُ تَوَاضُعٌ وَإِكْرَامٌ لَهُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِٱلْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ [2] .

وَهُوَ تَكْثِيرٌ لِسَوَادِهِمْ ، وَإِعَانَةٌ لَهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ؛ فَإِنْ كَانَ ذَٰلِكَ سَبَباً لِطَلَبِ أَمْوَالِهِمْ . . فَهُوَ سَعْيٌ إِلَىٰ حَرَامٍ ، وَقَدْ قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ صَالِحٍ لِغِنَاهُ . . ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ » [3] .

وَهَـٰذَا فِي غَنِيٍّ صَالِحٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِٱلْغَنِيِّ ٱلظَّالِمِ ؟!

❁ ❁ ❁

وَعَلَى ٱلْجُمْلَةِ : فَحَرَكَاتُكَ وَسَكَنَاتُكَ بِأَعْضَائِكَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ ، فَلَا تُحَرِّكْ شَيْئاً مِنْهَا فِي مَعْصِيَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَصْلاً ، وَٱسْتَعْمِلْهَا فِي طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

❁ ❁ ❁

وَٱعْلَمْ : أَنَّكَ إِنْ قَصَّرْتَ . . فَإِلَيْكَ يَرْجِعُ وَبَالُهُ ، وَإِنْ شَمَّرْتَ . . فَإِلَيْكَ تَعُودُ ثَمَرَتُهُ ، وَٱللهُ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ عَمَلِكَ ، وَإِنَّمَا كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ .

---

(١) إرهاق : أي ضرورة لزمته وحملته علىٰ غشيان السلاطين الظلمة أو نوابهم .

(٢) في مثل قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴿١١٣﴾ ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥٧٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ ذُنُوبَ ٱلْعُصَاةِ ؛ فَإِنَّ هَـٰذِهِ كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ ، وَصَاحِبُهَا مُلَقَّبٌ بِٱلْحَمَاقَةِ بِتَلْقِيبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ : « ٱلْكَيِّسُ : مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْأَحْمَقُ : مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّىٰ عَلَى ٱللهِ ٱلْأَمَانِيَّ »[1] .

❁ ❁ ❁

وَٱعْلَمْ : أَنَّ قَوْلَكَ هَـٰذَا يُضَاهِي قَوْلَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ فَقِيهاً فِي عُلُومِ ٱلدِّينِ وَٱشْتَغَلَ بِٱلْبَطَالَةِ وَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُفِيضَ عَلَىٰ قَلْبِي مِنَ ٱلْعُلُومِ مَا أَفَاضَهُ عَلَىٰ قُلُوبِ أَنْبِيَائِهِ مِنْ غَيْرِ جُهْدٍ وَتَكْرَارٍ وَتَعْلِيقٍ .

فَهُوَ كَقَوْلِ مَنْ يُرِيدُ مَالاً ، وَتَرَكَ ٱلْحِرَاثَةَ وَٱلتِّجَارَةَ وَٱلْكَسْبَ وَتَعَطَّلَ ، وَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ كَرِيمٌ ، وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُطْلِعَنِي عَلَىٰ كَنْزٍ مِنَ ٱلْكُنُوزِ فَأَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنِ ٱلْكَسْبِ ، فَقَدْ فَعَلَ ذَٰلِكَ بِبَعْضِ عِبَادِهِ .

فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ كَلَامَ هَـٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ . . ٱسْتَحْمَقْتَهُمَا ، وَسَخِرْتَ مِنْهُمَا ، وَإِنْ كَانَ مَا وَصَفَاهُ مِنْ كَرَمِ ٱللهِ وَقُدْرَتِهِ حَقّاً وَصِدْقاً ، فَكَذَٰلِكَ يَضْحَكُ عَلَيْكَ أَرْبَابُ ٱلْبَصَائِرِ فِي ٱلدِّينِ إِذَا طَلَبْتَ ٱلْمَغْفِرَةَ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ لَهَا .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٤٢٤) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما .

وَٱللَّهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ لَكَ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

وَإِذَا لَمْ يَتْرُكِ ٱلْإِنْسَانُ ٱلسَّعْيَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَالِ ٱعْتِمَاداً عَلَىٰ كَرَمِهِ عَزَّ وَجَلَّ . . فَكَذَٰلِكَ لَا يَتْرُكُ ٱلتَّزَوُّدَ لِلْآخِرَةِ ، وَلَا تَغْتَرَّ ؛ فَإِنَّ رَبَّ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ فِيهِمَا كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، وَلَيْسَ يَزِيدُ لَهُ كَرَمٌ بِمُؤَنِكَ ، وَإِنَّمَا كَرَمُهُ أَنْ يُسَهِّلَ عَلَيْكَ طَرِيقَ ٱلْوُصُولِ إِلَى ٱلْمُلْكِ ٱلْمُقِيمِ ٱلْمُخَلَّدِ ؛ بِٱلصَّبْرِ عَلَىٰ تَرْكِ ٱلشَّهَوَاتِ أَيَّاماً قَلَائِلَ ، وَهَٰذَا نِهَايَةُ ٱلْكَرَمِ .

فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِهَوْسَاتِ ٱلْبَطَّالِينَ ، وَٱقْتَدِ بِأُولِي ٱلْحَزْمِ وَٱلنُّهَىٰ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلصَّالِحِينَ ، وَلَا تَطْمَعْ فِي أَنْ تَحْصُدَ مَا لَمْ تَزْرَعْ ، وَلَيْتَ مَنْ صَلَّىٰ وَصَامَ وَجَاهَدَ وَٱتَّقَىٰ . . غُفِرَ لَهُ .

وَهَٰذِهِ جُمَلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ عَنْهُ جَوَارِحَكَ ٱلظَّاهِرَةَ ، وَأَعْمَالُ هَٰذِهِ ٱلْجَوَارِحِ إِنَّمَا تَتَرَشَّحُ مِنْ صِفَاتِ ٱلْقَلْبِ [1] .

---

(١) فإن قلت : فأين الغلط في قول العصاة والفُجَّار : إنَّ الله كريم ، وإنَّا نرجو رحمته ومغفرته ، وقد قال : « أنا عند ظنِّ عبدي بي . . فليظنَّ بي خيراً » فما هٰذا إلَّا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب ؟ فاعلم : أنَّ الشيطان لا يُغوي الإنسانَ إلَّا بكلام مقبول الظاهر ، مردود الباطن ، ولولا حسنُ ظاهره . . لَمَا انجذبت به القلوبُ ، ولٰكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كشف فقال : « الكيسُ : مَنْ دان نفسَه وعمل لِمَا بعد الموت ، والأحمقُ : مَنْ أتبع نفسَه هواها ، وتمنَّىٰ على الله » .

فَإِنْ أَرَدْتَ حِفْظَ ٱلْجَوَارِحِ . . فَعَلَيْكَ بِتَطْهِيرِ ٱلْقَلْبِ ، فَهُوَ ٱلتَّقْوَى ٱلْبَاطِنُ .

وَٱلْقَلْبُ : هُوَ ٱلْمُضْغَةُ ٱلَّتِي إِذَا صَلَحَتْ . . صَلَحَ بِهَا سَائِرُ ٱلْجَسَدِ ، وَإِذَا فَسَدَتْ . . فَسَدَ بِهَا سَائِرُ ٱلْجَسَدِ ؛ فَٱشْتَغِلْ بِإِصْلَاحِهِ لِتُصْلِحَ بِهِ جَوَارِحَكَ .

❋ ❋ ❋

← وهٰذا هو التمنِّي على الله تعالىٰ ، غيَّر الشيطانُ اسمَه فسمَّاه رجاء ، ثم خدع به الجهال ، وقد قال الله تعالىٰ في شرح الرجاء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ يعني : أنَّ الرجاء بهم يليق ؛ وهٰذه الآية دليل علىٰ أنَّ ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال ، قال الله تعالىٰ : ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ .

قيل للحسن : قوم يقولون : نرجو الله ، ويضيِّعون العملَ ؟ فقال : (هيهاتَ ، هيهاتَ !! تلك أمانيُّهم يترجَّحون فيها ؛ مَنْ رجا شيئاً . . طلبه ، ومَنْ خاف شيئاً . . هرب منه) . **وكما أنَّ الذي يرجو في الدنيا ولداً** وهو لم ينكح فهو معتوه . . فكذٰلك مَنْ رجا رحمةَ الله وهو لم يؤمنْ ، أو آمن ولم يعمل صالحاً ، أو عمل ولم يتركِ المعاصيَ فهو مغرور . وكما أنَّه إذا نكح وجامع وأنزل بقي مُتردِّداً بين الخوف والرجاء في الولد ؛ يرجو فضلَ الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأُمِّ إلىٰ أن يَتِمَّ فهو كيِّس . . فكذٰلك إذا آمن وعمل الصالحاتِ وترك السيئاتِ ، وبقي مُتردِّداً بين الخوف والرجاء ؛ يخاف ألا يُقبلَ منه ولا يدومَ عليه وأن يُختمَ له بالسوء ، ويرجو من فضل الله أن يثبته بالقول الثابت ، ويحفظَ دينه من صواعق سكرات الموت حتىٰ يموتَ على التوحيد ، ويحرسَ قلبَه عن الميل إلى الشهوات بقيةَ عمره حتىٰ لا يميل إلى المعاصي . . فهو كيِّس ، **وما عدا هٰؤلاء . . فهم المغرورون** . « إحياء » ملخصاً [(٦٢٧ ـ ٦٢٨] . انتهىٰ من هامش (أ) .

القول في معاصي القلب

ٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَذْمُومَةَ فِي ٱلْقَلْبِ كَثِيرَةٌ ، وَطَرِيقَ تَطْهِيرِ ٱلْقَلْبِ مِنْ رَذَائِلِهَا طَوِيلَةٌ ، وَسَبِيلَ ٱلْعِلَاجِ فِيهَا غَامِضٌ ، **وَقَدِ ٱنْدَرَسَ بِٱلْكُلِّيَّةِ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ** ؛ لِغَفْلَةِ ٱلْخَلْقِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَٱشْتِغَالِهِمْ بِزَخَارِفِ ٱلدُّنْيَا .

وَقَدِ ٱسْتَقْصَيْنَا ذَٰلِكَ فِي كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » فِي (رُبْعِ ٱلْمُهْلِكَاتِ ، وَرُبْعِ ٱلْمُنْجِيَاتِ) .

وَلَكِنَّا نُحَذِّرُكَ ٱلْآنَ ثَلَاثاً مِنْ خَبَائِثِ ٱلْقَلْبِ هِيَ ٱلْغَالِبَةُ عَلَىٰ مُتَفَقِّهَةِ ٱلْعَصْرِ ؛ لِتَأْخُذَ حِذْرَكَ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا مُهْلِكَاتٌ فِي أَنْفُسِهَا ، وَهِيَ أُمَّهَاتٌ لِجُمْلَةٍ مِنَ ٱلْخَبَائِثِ سِوَاهَا ؛ وَهِيَ : **ٱلْحَسَدُ ، وَٱلرِّيَاءُ ، وَٱلْعُجْبُ** .

فَٱجْتَهِدْ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِكَ مِنْهَا .

فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهَا . . فَتَعَلَّمْ كَيْفِيَّةَ ٱلْحَذَرِ مِنْ بَقِيَّتِهَا مِنْ (رُبْعِ ٱلْمُهْلِكَاتِ) ، فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ هَٰذِهِ . . فَأَنْتَ عَنْ غَيْرِهَا أَعْجَزُ .

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّهُ تَسْلَمُ لَكَ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ فِي تَعَلُّمِ ٱلْعِلْمِ وَفِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْحَسَدِ وَٱلرِّيَاءِ وَٱلْعُجْبِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ »[1] .

❁ ❁ ❁

أَمَّا ٱلْحَسَدُ . . فَهُوَ مُتَشَعِّبٌ مِنَ ٱلشُّحِّ ؛ فَإِنَّ ٱلْبَخِيلَ هُوَ ٱلَّذِي يَبْخَلُ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ ، وَٱلَّذِي يَبْخَلُ بِنِعْمَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَهِيَ فِي خِزَانَةِ قُدْرَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ لَا فِي خِزَانَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . فَشُحُّهُ أَعْظَمُ .

وَٱلْحَسُودُ : هُوَ ٱلَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ إِنْعَامُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ خِزَانَةِ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ؛ بِمَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ مَحَبَّةٍ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ ، أَوْ حَظٍّ مِنَ ٱلْحُظُوظِ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُحِبُّ زَوَالَهَا عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ . . فَهَـٰذَا مُنْتَهَى ٱلْخُبْثِ ؛ وَلِذَٰلِكَ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ »[2] .

وَٱلْحَسُودُ : هُوَ ٱلْمُعَذَّبُ ٱلَّذِي لَا يُرْحَمُ ، وَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ ؛ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا لَا تَخْلُو قَطُّ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَقْرَانِهِ وَمَعَارِفِهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ ، فَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَىٰ مَوْتِهِ ، وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٤٤٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٤٣/٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٨٦٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن ماجه (٤٣٧٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

بَلْ لَا يَصِلُ ٱلْعَبْدُ إِلَىٰ حَقِيقَةِ ٱلْإِيمَانِ . . مَا لَمْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ وَلِسَائِرِ ٱلْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاهِمَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ .

وَٱلْمُسْلِمُونَ كَٱلْبُنْيَانِ ٱلْوَاحِدِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَكَٱلْجَسَدِ ٱلْوَاحِدِ إِذَا ٱشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ . . ٱشْتَكَىٰ سَائِرُ ٱلْجَسَدِ .

فَإِنْ كُنْتَ لَا تُصَادِفُ هَـٰذَا مِنْ قَلْبِكَ . . فَٱشْتِغَالُكَ بِطَلَبِ ٱلْمَخْلَصِ عَنِ ٱلْهَلَاكِ أَهَمُّ مِن ٱشْتِغَالِكَ بِنَوَادِرِ ٱلْفُرُوعِ وَعِلْمِ ٱلْخُصُومَاتِ .

❀ ❀ ❀

وَأَمَّا ٱلرِّيَاءُ . . فَهُوَ ٱلشِّرْكُ ٱلْخَفِيُّ ، وَهُوَ أَحَدُ ٱلشِّرْكَيْنِ ؛ وَذَٰلِكَ طَلَبُكَ ٱلْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ لِتَنَالَ بِهِ ٱلْجَاهَ وَٱلْحِشْمَةَ ، وَحُبُّ ٱلْجَاهِ مِنَ ٱلْهَوَى ٱلْمُتَّبَعِ ٱلْمُهْلِكِ ، وَفِيهِ هَلَكَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ؛ فَمَا أَهْلَكَ ٱلنَّاسَ إِلَّا ٱلنَّاسُ .

وَلَوْ أَنْصَفَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لَعَلِمُوا أَنَّ أَكْثَرَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلْعِبَادَاتِ فَضْلاً عَنْ أَعْمَالِ ٱلْعَادَاتِ . . لَيْسَ يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا مُرَاعَاةُ ٱلنَّاسِ ، وَهِيَ مُحْبِطَاتُ ٱلْأَعْمَالِ ، حَتَّىٰ وَرَدَ فِي ٱلْأَخْبَارِ : « إِنَّ ٱلشَّهِيدَ يُؤْمَرُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِلَى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ ٱسْتُشْهِدْتُ فِي سَبِيلِكَ ، فَيَقُولُ : أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّكَ شُجَاعٌ ، وَقَدْ قِيلَ ذَٰلِكَ ، وَذَٰلِكَ أَجْرُكَ »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٤٣٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

وَكَذَٰلِكَ يُقَالُ لِلْعَالِمِ ، وَٱلْحَاجِّ ، وَٱلْغَازِي ، وَٱلْقَارِئِ .

❁ ❁ ❁

وَأَمَّا ٱلْعُجْبُ وَٱلْكِبْرُ وَٱلْفَخْرُ . . فَهُوَ ٱلدَّاءُ ٱلْعُضَالُ ؛ وَهُوَ نَظَرُ ٱلْعَبْدِ إِلَىٰ نَفْسِهِ بِعَيْنِ ٱلْعِزِّ وَٱلِٱسْتِعْظَامِ ، وَنَظَرُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِعَيْنِ ٱلذُّلِّ وَٱلِٱسْتِحْقَارِ[1] .

وَنَتِيجَتُهُ عَلَى ٱللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ : (أَنَا وَأَنَا) ، كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ ٱللَّعِينُ : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

وَثَمَرَتُهُ فِي ٱلْمَجَالِسِ : ٱلتَّرَفُّعُ وَٱلتَّقَدُّمُ ، وَطَلَبُ ٱلتَّصَدُّرِ فِي ٱلْمَحَافِلِ .

وَفِي ٱلْمُحَاوَرَةِ : ٱلِٱسْتِنْكَافُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ كَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَٱلْمُتَكَبِّرُ : هُوَ ٱلَّذِي إِذَا وُعِظَ . . أَنِفَ ، وَإِذَا وَعَظَ . . عَنَّفَ ، وَكُلُّ مَنْ يَرَىٰ نَفْسَهُ خَيْراً مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ . . فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ .

بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ : أَنَّ ٱلْخَيِّرَ مَنْ هُوَ خَيِّرٌ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ فِي ٱلدَّارِ ٱلْآخِرَةِ ، وَذَٰلِكَ غَيْبٌ ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى ٱلْخَاتِمَةِ .

---

(١) روي عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَينتهينَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ، وإنَّما هم فحمٌ من جهنَّم ، أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجُعَل الذي يُدَهْدِهُ الخُرءَ بأنفه ؛ إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء ، إنَّما هو مؤمن تقيٌّ أو فاجر شقيٌّ ، الناسُ كلهم بنو آدم ، وآدم من تراب » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الحسب : المال ، والكرم : التقوىٰ » . « مصابيح » [(٣/٣٤١ ـ ٣٤٢)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

وَٱعْتِقَادُكَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِكَ . . جَهْلٌ مَحْضٌ .

بَلْ يَنْبَغِي أَلَّا تَنْظُرَ إِلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا وَتَرَىٰ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ لَهُ عَلَيْكَ وَتَزْدَرِي نَفْسَكَ .

فَإِنْ رَأَيْتَ صَغِيراً . . قُلْتَ : هَـٰذَا لَمْ يَعْصِ ٱللهَ وَأَنَا عَصَيْتُهُ ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي .

وَإِنْ رَأَيْتَ كَبِيراً . . قُلْتَ : هَـٰذَا خَيْرٌ مِنِّي ؛ عَبَدَ ٱللهَ قَبْلِي .

وَإِنْ رَأَيْتَ عَالِماً . . قُلْتَ : هَـٰذَا قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ أُعْطَ ، وَبَلَغَ مَا لَمْ أَبْلُغْ ، وَعَلِمَ مَا جَهِلْتُ ، فَكَيْفَ أَكُونُ مِثْلَهُ ؟!

وَإِنْ كَانَ جَاهِلاً . . قُلْتَ : هَـٰذَا عَصَى ٱللهَ تَعَالَىٰ بِجَهْلٍ وَأَنَا عَصَيْتُ ٱللهَ بِعِلْمٍ ؛ فَحُجَّةُ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَيَّ أَكْبَرُ ، وَمَا أَدْرِي بِمَ يُخْتَمُ لِي ؟ وَبِمَ يُخْتَمُ لَهُ ؟

وَإِنْ رَأَيْتَ كَافِراً . . قُلْتَ : لَا أَدْرِي ؛ عَسَىٰ أَنْ يُسْلِمَ وَيُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرِ ٱلْعَمَلِ ، وَيَنْسَلَّ بِإِسْلَامِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا تَنْسَلُّ ٱلشَّعْرَةُ مِنَ ٱلْعَجِينِ ، وَأَمَّا أَنَا . . فَعَسَىٰ أَنْ يُضِلَّنِي ٱللهُ فَأَكْفُرَ ؛ فَيُخْتَمَ لِي بِسُوءِ ٱلْعَمَلِ ، فَيَكُونَ هُوَ غَداً مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ وَأَكُونَ أَنَا مِنَ ٱلْمُبْعَدِينَ .

فَلَا يَخْرُجُ ٱلْكِبْرُ مِنْ قَلْبِكَ إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ٱلْكَبِيرَ مَنْ هُوَ كَبِيرٌ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ؛ وَذَٰلِكَ مَوْقُوفٌ عَلَى ٱلْخَاتِمَةِ ، وَهُوَ مَشْكُوكٌ فِيهِ ، فَيَشْغَلُكَ خَوْفُ سُوءِ ٱلْخَاتِمَةِ عَنْ أَنْ تَتَكَبَّرَ مَعَ ٱلشَّكِّ فِيهَا عَلَىٰ عِبَادِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَيَقِينُكَ وَإِيمَانُكَ فِي ٱلْحَالِ لَا يُنَاقِضُ تَجْوِيزَكَ

ٱلتَّغْيِيرَ فِي ٱلِٱسْتِقْبَالِ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ مُقَلِّبُ ٱلْقُلُوبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ .

❀ ❀ ❀

وَٱلْأَخْبَارُ فِي ٱلْحَسَدِ وَٱلرِّيَاءِ وَٱلْكِبْرِ كَثِيرَةٌ ، وَيَكْفِيكَ مِنْهَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ جَامِعٌ ؛ فَقَدْ رَوَى ٱبْنُ ٱلْمُبَارَكِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : **يَا مُعَاذُ** ؛ حَدِّثْنِي حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَبَكَىٰ مُعَاذٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْكُتُ ، ثُمَّ سَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « **يَا مُعَاذُ** ؛ إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ . . نَفَعَكَ ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ . . ٱنْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .

يَا مُعَاذُ ؛ إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ، ثُمَّ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ ٱلسَّبْعِ مَلَكاً بَوَّاباً عَلَيْهَا .

فَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إِلَىٰ حِينِ يُمْسِي ، لَهُ نُورٌ كَنُورِ ٱلشَّمْسِ ، حَتَّىٰ إِذَا صَعِدَتْ بِهِ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا . . زَكَّتْهُ وَكَثَّرَتْهُ ، فَيَقُولُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا لِلْحَفَظَةِ : ٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، فَأَنَا صَاحِبُ ٱلْغِيبَةِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَ مَنِ ٱغْتَابَ ٱلنَّاسَ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي .

قَالَ : ثُمَّ تَأْتِي ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ ٱلْعَبْدِ فَتُزَكِّيهِ

وَتُكَثِّرُهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلثَّانِيَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِٱلسَّمَاءِ ٱلثَّانِيَةِ : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلْفَخْرِ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَـٰذَا عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ؛ إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى ٱلنَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ يَبْتَهِجُ نُوراً مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ قَدْ أَعْجَبَ ٱلْحَفَظَةَ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلثَّالِثَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلْكِبْرِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ؛ إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى ٱلنَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ يَزْهَرُ كَمَا يَزْهَرُ ٱلْكَوْكَبُ ٱلدُّرِّيُّ ، وَلَهُ دَوِيٌّ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ حَتَّىٰ يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلرَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، أَنَا صَاحِبُ ٱلْعُجْبِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ؛ إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً . . أَدْخَلَ ٱلْعُجْبَ فِيهِ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ حَتَّىٰ يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلْخَامِسَةِ ، كَأَنَّهُ ٱلْعَرُوسُ ٱلْمَزْفُوفَةُ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَٱحْمِلُوهُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلْحَسَدِ ؛ إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلاً مِنَ ٱلْعِبَادَاتِ . .

كَانَ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلسَّادِسَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَاناً قَطُّ مِنْ عِبَادِ ٱللهِ أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ ضُرٌّ ، بَلْ كَانَ يَشْمَتُ بِهِ ، أَنَا مَلَكُ ٱلرَّحْمَةِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي [1] .

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسنَ بن عليٍّ ومعه الأقرعُ بن حابس ، فقال الأقرع : إنَّ لي عشرة أولاد ما قبَّلت منهم واحداً ، فنظر إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقال : « مَنْ لا يَرحم . . لا يُرحَم » . « مصابيح » [(٣/٢٨٠)] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أُتي بصبيٍّ فقبَّله ، وقال : « أَمَا إنَّهم مَبخلةٌ مَجبنةٌ ، وإنَّهم مِنْ ريحان الله » . منه [أي : « مصابيح السنة » (٣/٢٨٥)] . قوله : « ريحان الله » أي : رزقه تعالىٰ . **وقال صلى الله عليه وسلم** : « لا يرحم اللهُ مَنْ لا يرحمُ الناسَ » . وقال : « أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة هٰكذا » وأشار بإصبعيه . **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : « **أهلُ الجنَّة ثلاثةٌ** : ذو سلطان مقسط مُتصدِّق مُوفَّق ، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكلِّ ذي قربىٰ ومسلم ، وعفيفٌ مُتعفِّف ذو عيال » . **وقال صلى الله عليه وسلم** : « لا تُنزع الرحمةُ إلَّا مِنْ شقيٍّ » . **وقال صلى الله عليه وسلم** : « **الراحمون يرحمُهم الرحمٰنُ** ، ارحموا مَنْ في الأرض . . يرحمْكم مَنْ في السماء » . **وقال صلى الله عليه وسلم** : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر » . **وقال صلى الله عليه وسلم** : « **خيرُ بيتٍ في المسلمين** : بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسَنُ إليه ، وشرُّ بيتٍ في المسلمين : بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه » . **وقال** : « مَنْ آوىٰ يتيماً إلىٰ طعامه وشرابه . . أوجبَ اللهُ له الجنَّة ألبتَّة ، إلَّا أن ←

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَنَفَقَةٍ وَجِهَادٍ وَوَرَعٍ ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ ٱلنَّحْلِ ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ ٱلشَّمْسِ ، مَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ مَلَكٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلسَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْمَلَكُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَٱضْرِبُوا بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَٱضْرِبُوا بِهِ جَوَارِحَهُ ، وَأَقْفِلُوا عَلَىٰ قَلْبِهِ ، إِنِّي أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كَلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرَدْ بِهِ وَجْهُ رَبِّي ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رِفْعَةً عِنْدَ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَذِكْراً عِنْدَ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَصِيتاً فِي ٱلْمَدَائِنِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ خَالِصاً لِلهِ تَعَالَىٰ . . فَهُوَ رِيَاءٌ ، وَلَا يَقْبَلُ ٱللهُ عَمَلَ ٱلْمُرَائِينَ (١) .

← يعمل ذنباً لا يُغفر » . وقال : « مَنْ كانت له أنثىٰ فلم يؤذها ، ولم يُهنها ، ولم يُؤثِرْ ولدَه عليها ـ يعني : الذكورَ ـ . . أدخله اللهُ الجنَّة » . « مصابيح » ملخصاً [(٣/ ٣٦٢ ـ ٣٧٢)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(١) والإخلاصُ : تصفية الأعمال عن رؤية الخلق ، فقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « يقول الله تعالىٰ : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ؛ فمَنْ عمل لي عملاً أشرك فيه غيري معي . . فأنا بريءٌ منه ومن عمله » . ولا يصحُّ له الإخلاصُ إلَّا بمعرفة مقادير الخلق وضَعفهم ، وقلة نفعهم وضرهم ، كما وصفه الخليل : ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لا يجدُ أحدُكم حلاوةَ الإيمان . . حتىٰ يعلمَ أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئَه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبَه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنْ ضَعف الإيمان : أن تُرضيَ الناسَ بسخط الله ، وأن تَحمَدَهم علىٰ رزق الله ، وأن تَذُمَّهم علىٰ ما لم يؤتك الله ، إنَّ رزق الله لا يجرُّه حرصُ حريص ، ولا يدفعه كراهيةُ كاره » . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴿١٠٧﴾ ﴾ . « آداب المريدين » معنىً [(ص ٥٨ ـ ٥٩)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

قَالَ : وَتَصْعَدُ ٱلْحَفَظَةُ بِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ ، وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ ، وَصَمْتٍ وَذِكْرِ ٱللهِ ، وَتُشَيِّعُهُ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاوَاتِ حَتَّىٰ يَقْطَعُوا ٱلْحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ ٱلْمُخْلَصِ لِلهِ تَعَالَىٰ ، فَيَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْتُمُ ٱلْحَفَظَةُ عَلَىٰ عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا ٱلرَّقِيبُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ؛ إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَـٰذَا ٱلْعَمَلِ ، وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي ، فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي ، فَتَقُولُ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا : عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا ، وَتَلْعَنُهُ ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ » .

قَالَ مُعَاذٌ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنْتَ رَسُولُ ٱللهِ وَأَنَا مُعَاذٌ ، فَكَيْفَ لِي بِٱلْخَلَاصِ وَٱلنَّجَاةِ ؟

قَالَ : « ٱقْتَدِ بِي وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ يَا مُعَاذُ ، فَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ ٱلْوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ ٱلْقُرْآنِ ، وَٱحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ ، وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُزَكِّ نَفْسَكَ بِذَمِّهِمْ ، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُدْخِلْ عَمَلَ ٱلدُّنْيَا فِي عَمَلِ ٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ ٱلنَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ ، وَلَا تُنَاجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ ، وَلَا تَتَعَظَّمْ عَلَى ٱلنَّاسِ فَيَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تُمَزِّقِ ٱلنَّاسَ بِلِسَانِكَ فَتُمَزَّقَكَ كِلَابُ ٱلنَّارِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِي ٱلنَّارِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿١﴾ ﴾ هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ ؟ » .

قَالَ : قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسولَ اللهِ ؛ مَا هُنَّ ؟

قَالَ : « كِلَابٌ فِي ٱلنَّارِ تَنْشِطُ ٱللَّحْمَ مِنَ ٱلْعَظْمِ » .

قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ فَمَنْ يُطِيقُ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالَ ؟ وَمَنْ يَنْجُو مِنْهَا ؟

قَالَ : « يَا مُعَاذُ ؛ إِنَّهُ لَيَسِيرٌ لِمَنْ يَسَّرَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ » .

قَالَ ٱلرَّاوِي : فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ مِنْ مُعَاذٍ لِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ [1] .

❀ ❀ ❀

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا ٱلرَّاغِبُ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالَ .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ أَعْظَمَ ٱلْأَسْبَابِ فِي رُسُوخِ هَـٰذِهِ ٱلْخَبَائِثِ فِي ٱلْقَلْبِ . . طَلَبُ ٱلْعِلْمِ لِأَجْلِ ٱلْمُبَاهَاةِ وَٱلْمُنَافَسَةِ [2] ، وَٱلْعَامِّيُّ بِمَعْزِلٍ عَنْ

---

(١) أورده الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » (٥٦) ، وعزاه إلى ابن المبارك في كتاب « الزهد » .

(٢) وأمَّا علماءُ الدنيا . . فإنَّهم يتبعون غرائبَ التفريع في الحكومات والأقضية ، ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهورُ ولا تقع أبداً ، فإن وقعت . . فإنَّما تقع لغيرهم لا لهم ، وإذا وقعت . . كان في القائمين بها كثرةٌ ، ويتركون ما يلازمُهم ويتكرَّر عليهم آناءَ الليل والنهار ، في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم . وما أبعدَ عن السعادة مَنْ باع مُهِمَّ نفسه اللازمَ بمُهِمِّ غيره النادرِ ؛ إيثاراً للقبول والتقرب من الخلق على القرب من الله تعالىٰ ، وشرهاً في أن يسميه البطَّالون من أبناء الدنيا محققاً فاضلاً عالماً بالدقائق !! وجزاؤه من الله ألا ينتفع في الدنيا بقَبول الخلق ، بل يتكدَّر عليه صفوهُ بنوائب الزمان ، ثم يَرِدُ القيامة مُفلِساً مُتحسِّراً علىٰ ما يشاهده من ربح العاملين وفوزِ المُقرَّبين ؛ وذٰلك الخسران المبين . « إحياء » المؤلف جزاه الله عنَّا وعن الدِّين أفضلَ الجزاء ، آمين آمين . [(١/٢٨٦)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

أَكْثَرِ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالِ ، وَٱلْمُتَفَقِّهُ مُسْتَهْدَفٌ لَهَا وَهُوَ مُعَرَّضٌ لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِهَا .

فَٱنْظُرْ : هَلْ أَهَمُّ أُمُورِكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ ٱلْحَذَرِ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْمُهْلِكَاتِ ، وَتَشْتَغِلَ بِإِصْلَاحِ قَلْبِكَ وَعِمَارَةِ آخِرَتِكَ[1] ، أَمِ ٱلْأَهَمُّ أَنْ تَخُوضَ مَعَ ٱلْخَائِضِينَ ، وَتَطْلُبَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا هُوَ سَبَبُ زِيَادَةِ ٱلْكِبْرِ وَٱلرِّيَاءِ وَٱلْحَسَدِ وَٱلْعُجْبِ حَتَّىٰ تَهْلِكَ مَعَ ٱلْهَالِكِينَ ؟!

❀ ❀ ❀

وَٱعْلَمْ : أَنَّ هَـٰذِهِ ٱلْخِصَالَ ٱلثَّلَاثَةَ مِنْ أُمَّهَاتِ خَبَائِثِ ٱلْقَلْبِ ، وَلَهَا مَغْرِسٌ وَاحِدٌ ؛ وَهُوَ حُبُّ ٱلدُّنْيَا ، وَلِذَٰلِكَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حُبُّ ٱلدُّنْيَا . . رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »[2] .

وَمَعَ هَـٰذَا : فَٱلدُّنْيَا مَزْرَعَةُ ٱلْآخِرَةِ ؛ فَمَنْ أَخَذَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِقَدْرِ

---

(١) **وعلى الجملة** : فلا يميل أكثر الخلق إلَّا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم ؛ فإنَّ الحق مرٌّ ، والوقوفَ عليه صعب ، وإدراكه شديد ، وطرقه مستوعرة ، لا سيما معرفةِ صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة ؛ فإنَّ ذٰلك نزع للروح على الدوام ، وصاحبه ينزل منزلةَ شارب الدواء يصبر علىٰ مرارته رجاءَ الشفاء ، وينزل منزلة مَنْ جعل العمر مدَّة صومه ، فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ، ومتىٰ تكثر الرغبة في مثل هـٰذه الطريق ؟! « إحياء علوم الدين » [(١/٢٨٩)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠١٩) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

ٱلضَّرُورَةِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى ٱلْآخِرَةِ . . فَٱلدُّنْيَا مَزْرَعَتُهُ[1] ، وَمَنْ أَرَادَ ٱلدُّنْيَا لِيَتَنَعَّمَ بِهَا . . فَٱلدُّنْيَا مَهْلَكَتُهُ[2] .

❀ ❀ ❀

فَهَـٰذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ ٱلتَّقْوَىٰ ؛ وَهِيَ بِدَايَةُ ٱلْهِدَايَةِ ، فَإِنْ جَرَّبْتَ فِيهَا نَفْسَكَ فَطَاوَعَتْكَ عَلَيْهَا . . فَعَلَيْكَ بِكِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » لِتَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ ٱلْوُصُولِ إِلَىٰ بَاطِنِ ٱلتَّقْوَىٰ .

فَإِذَا عَمَرْتَ بِٱلتَّقْوَىٰ بَاطِنَ قَلْبِكَ . . فَعِنْدَ ذَٰلِكَ تَرْتَفِعُ ٱلْحُجُبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ ، وَتَنْكَشِفُ لَكَ أَنْوَارُ ٱلْمَعَارِفِ ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِكَ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ ، وَتَتَّضِحُ لَكَ أَسْرَارُ ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ ، وَيَتَيَسَّرُ لَكَ مِنَ ٱلْعُلُومِ مَا تَسْتَحْقِرُ بِهِ هَـٰذِهِ ٱلْعُلُومَ ٱلْمُحْدَثَةَ ، ٱلَّتِي لَمْ يَكُنْ

---

(١) قال أنس رضي الله عنه : (ما أعلم أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رأىٰ رغيفاً مُرقَّقاً حتىٰ لحق بالله ، ولا رأىٰ شاةً سميطاً بعينه قطُّ) . وعن سهل بن سعد قال : (ما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيَّ من حين ابتعثه الله تعالىٰ حتىٰ قبضه الله) . وقال : (ما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنخُلاً من حينَ ابتعثه الله تعالىٰ حتىٰ قبضه الله) ، قيل : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : (كنا نطحَنه وننفُخه فيطير ما طار وما بقي ثَرَّيناه فأكلناه) . « مصابيح » [(٣/١٤٩ ـ ١٥٠)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) وقد صدق الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في ذٰلك ؛ فالدنيا صفاؤها كدر ، وأهلها منها علىٰ حذر ، كما قال الشاعر ـ نسأل الله الاتعاظ والانتفاع ـ : (من الوافر)

هيَ الدنيا تقول بِملءِ فيها ... حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

فلا يَغرركُمُ منِّي ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

لَهَا ذِكْرٌ فِي زَمَنِ ٱلصَّحَابَةِ وَٱلتَّابِعِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ[1] .

وَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ ٱلْمَعْرِفَةَ مِنَ ٱلْقِيلِ وَٱلْقَالِ ، وَٱلْمِرَاءِ وَٱلْجِدَالِ . . فَمَا أَعْظَمَ مُصِيبَتَكَ !! وَمَا أَطْوَلَ تَعَبَكَ !! وَمَا أَعْظَمَ حِرْمَانَكَ وَخُسْرَانَكَ !![2] .

فَٱعْمَلْ مَا شِئْتَ ؛ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي تَطْلُبُهَا بِٱلدِّينِ لَا تَسْلَمُ لَكَ ، وَٱلْآخِرَةَ تُسْلَبُ مِنْكَ ؛ فَمَنْ طَلَبَ ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ . . خَسِرَهُمَا جَمِيعاً ، وَمَنْ تَرَكَ ٱلدُّنْيَا لِلدِّينِ . . رَبِحَهُمَا جَمِيعاً .

❁ ❁ ❁

فَهَـٰذِهِ جُمَلُ ٱلْهِدَايَةِ إِلَىٰ بِدَايَةِ ٱلطَّرِيقِ فِي مُعَامَلَتِكَ مَعَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ بِأَدَاءِ أَوَامِرِهِ وَٱجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

وَنُشِيرُ ٱلْآنَ عَلَيْكَ بِجُمَلٍ مِنَ ٱلْآدَابِ ؛ لِتُؤَاخِذَ بِهَا نَفْسَكَ فِي مُخَالَطَتِكَ مَعَ عِبَادِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصُحْبَتِكَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا .

❁ ❁ ❁

---

(١) مراد المصنف : هو ذَمُّ العلوم المُحدَثة التي لم تكن في زمن الصحابة والتابعين ، لا ذمُّ كل المحدثات ؛ لأنها تجري فيها الأحكام الخمسة . ومقصود المصنف الأعظم : رفع الهمة إلىٰ سلوك معارج المتقين . من « الكفاية في شرح بداية الهداية » (ص ١٢٦) بنحوه .

(٢) قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله يبغض البليغَ من الرجال ، الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخلل البقرةُ بلسانها » . « مصابيح » [(٣١٦/٣)] . انتهىٰ من هامش (أ) . والحديث أخرجه أبو داوود (٤٩٦٦) ، والترمذي (٢٨٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

القِسمُ الثَّالِثُ

القَولُ في آدابِ الصُّحبَةِ

وَالمُعَاشَرَةِ مَعَ الخَالِقِ وَالخَلقِ

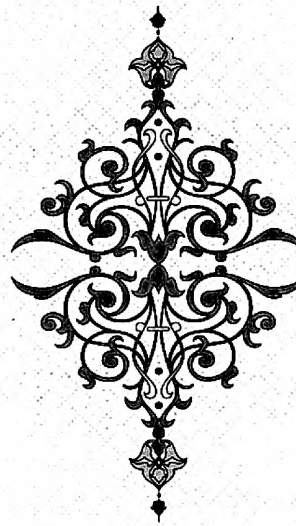

القسم الثالث
القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق والخلق

اعْلَمْ : أَنَّ صَاحِبَكَ ٱلَّذِي لَا يُفَارِقُكَ فِي حَضَرِكَ وَسَفَرِكَ ، وَنَوْمِكَ وَيَقَظَتِكَ ، بَلْ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ . . هُوَ رَبُّكَ وَمَوْلَاكَ ، وَسَيِّدُكَ وَخَالِقُكَ .

وَمَهْمَا ذَكَرْتَهُ . . فَهُوَ جَلِيسُكَ ؛ إِذْ قَالَ تَعَالَىٰ : « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي »[1] .

وَمَهْمَا ٱنْكَسَرَ قَلْبُكَ حُزْناً عَلَىٰ تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّ رَبِّكَ[2] . . فَهُوَ صَاحِبُكَ وَمُلَازِمُكَ ؛ إِذْ قَالَ رَبُّكَ تَعَالَىٰ : « أَنَا عِنْدَ ٱلْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي »[3] .

فَلَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ . . لَٱتَّخَذْتَهُ صَاحِباً ، وَتَرَكْتَ ٱلنَّاسَ جَانِباً .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ . . فَإِيَّاكَ أَنْ تُخَلِّيَ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ عَنْ وَقْتٍ تَخْلُو فِيهِ بِمَوْلَاكَ ، وَتَتَلَذَّذُ بِمُنَاجَاتِهِ .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٣١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤٢/٦) عن كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في (ب ، ج ، د) : (دينك) .

(٣) انظر « كشف الخفاء » (٢٠٣/١) .

وَعِنْدَ ذَٰلِكَ : فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ آدَابَ ٱلصُّحْبَةِ مَعَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَآدَابُهَا : إِطْرَاقُ ٱلطَّرْفِ ، وَجَمْعُ ٱلْهَمِّ ، وَدَوَامُ ٱلصَّمْتِ ، وَسُكُونُ ٱلْجَوَارِحِ ، وَمُبَادَرَةُ ٱلْأَمْرِ ، وَٱجْتِنَابُ ٱلنَّهْيِ ، وَقِلَّةُ ٱلِٱعْتِرَاضِ عَلَى ٱلْقَدَرِ ، وَدَوَامُ ٱلذِّكْرِ ، وَمُلَازَمَةُ ٱلْفِكْرِ ، وَإِيثَارُ ٱلْحَقِّ ، وَٱلْإِيَاسُ مِنَ ٱلْخَلْقِ ، وَٱلْخُضُوعُ تَحْتَ ٱلْهَيْبَةِ ، وَٱلِٱنْكِسَارُ تَحْتَ ٱلْحَيَاءِ ، وَٱلسُّكُونُ عَنْ حِيَلِ ٱلْكَسْبِ ثِقَةً بِٱلضَّمَانِ[1] ، وَٱلتَّوَكُّلُ عَلَىٰ فَضْلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَةً بِحُسْنِ ٱلِٱخْتِيَارِ .

وَهَٰذَا كُلُّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شِعَارَكَ فِي جَمِيعِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ؛ فَإِنَّهُ أَدَبُ ٱلصُّحْبَةِ مَعَ صَاحِبٍ لَا يُفَارِقُكَ ، وَٱلْخَلْقُ كُلُّهُمْ يُفَارِقُونَكَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِكَ[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في نسخة : (بالضامن) ، وجاء في هامش (أ) : (وهي أنَّ الله تعالىٰ ضمن لك رزقاً حيث قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ ، وأقسم عليه فقال : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ .

ولا ينبغي أن تتهمه في ضمانه ، وترتابَ في وفائه بوعده : [من الطويل]

أَتُدمِنُ عصياناً وفحشاً وريبةً ... وتصبح من خوفِ العواقب آمنا

وترضىٰ بصرَّافٍ وإن كان مشركاً ... ضميناً ولا ترضىٰ بربِّك ضامنا

« رياض الأنس » [ق/ ٢٢ ـ ٢٣] .

(٢) وقال بعض المشايخ : (يا معشرَ الفقراء ؛ إنَّكم تُعرفون بالله ، وتكرمون بالله ؛ فإذا خلوتُم . . فانظروا كيف تكونون معه) « رياض » [(ق/ ٤٣ ـ ٤٤)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

فَإِنْ كُنْتَ عَالِماً[1] . . فَأَدَبُ ٱلْعَالِمِ :

سَعَةُ ٱلِٱحْتِمَالِ ، وَلُزُومُ ٱلْحِلْمِ[2] ، وَٱلْجُلُوسُ بِٱلْهَيْبَةِ عَلَىٰ سَمْتِ ٱلْوَقَارِ مَعَ ٱلنَّاسِ[3] ، وَتَرْكُ ٱلتَّكَبُّرِ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلْعِبَادِ إِلَّا عَلَى ٱلظَّلَمَةِ ؛ زَجْراً لَهُمْ عَنِ ٱلظُّلْمِ .

---

(١) **وروي أنَّ أصحاب الصُّفَّة** أُهدي إلىٰ واحد منهم رأسٌ مشويٌّ وهو في غاية الضر ، فأهداه إلىٰ آخر ، وأهداه الآخر إلىٰ آخر ، هٰكذا دار بينهم حتىٰ عاد إلى الأول ، فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء وصار المهروبُ عنه مطلوباً والمطلوبُ مهروباً عنه . وقال بعضهم : (كان الصحابة يتدافعون **أربعةَ أشياء** : الإمامةَ ، والوديعةَ ، والوصيَّةَ ، والفتوىٰ) . وقال بعضهم : (كان أسرعُهم إلى الفتوىٰ أقلَّهم علماً ، وأشدُّهم دفعاً لها أورعَهم) .

وكان شغلُ الصحابة والتابعين في خمس : قراءةِ القرآن ، وعمارة المساجد ، وذكر الله تعالىٰ ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ وذٰلك لِمَا سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ كلام ابن آدم عليه لا له **إلا ثلاث** : أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر الله تعالىٰ » .

قال الله تعالىٰ : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ . . . ۞ ﴾ الآية . « إحياء » معنىٰ [(١/٢٦١ ـ ٢٦٢)] . **انتهىٰ من هامش** (أ) .

(٢) **وفي بعض الأخبار** : وكاد الحليم أن يكون نبيّاً . « رياض » [(ق/٢٨] . **انتهىٰ من هامش** (أ) .

(٣) قال الله عز وجل : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ۞ ﴾ ، وذٰلك أنَّك إذا توكلت علىٰ مَنْ يموت . . كان إذا مات بقيتَ ضائعاً ، ولٰكن ينبغي أن تتوكَّل على الحيِّ الذي لا يموت ؛ ليكفيك إذا حييتَ ، ويرحمك إذا فنيتَ . وأمَّا التهافتُ في الكلام والتشدُّقُ ، والاستغراقُ في الضحكِ ، والحِدَّةُ في الحركة والنطق . . فكلُّ ذٰلك من آثار البطر والأشر والأمن ، والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه ، وهو دأبُ أبناء الدنيا الغافلين عن الله تعالىٰ دون العلماء به .

وهٰذا لأنَّ العلماء ثلاثة كما قال سهل التُّسْتَري : **عالمٌ بأمر الله لا بأيام الله** ؛ ←

وَإِيثَارُ ٱلتَّوَاضُعِ فِي ٱلْمَحَافِلِ وَٱلْمَجَالِسِ ، وَتَرْكُ ٱلْهَزْلِ وَٱلدُّعَابَةِ .

وَٱلرِّفْقُ بِٱلْمُتَعَلِّمِ ، وَٱلتَّأَنِّي بِٱلْمُتَعَجْرِفِ ، وَإِصْلَاحُ ٱلْبَلِيدِ بِحُسْنِ ٱلْإِرْشَادِ ، وَتَرْكُ ٱلْحَرَدِ عَلَيْهِ [1] ، وَتَرْكُ ٱلْأَنَفَةِ مِنْ قَوْلِ (لَا أَدْرِي) [2] ، وَصَرْفُ ٱلْهِمَّةِ إِلَى ٱلسَّائِلِ ، وَتَفَهُّمُ سُؤَالِهِ .

وَقَبُولُ ٱلْحُجَّةِ ، وَٱلِٱنْقِيَادُ لِلْحَقِّ وَٱلرُّجُوعُ إِلَيْهِ عِنْدَ ٱلْهَفْوَةِ [3] .

← وهم المفتون في الحلال والحرام ، وهٰذا العلم لا يُورِث الخشيةَ . **وعالمٌ بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله تعالىٰ** ؛ وهم عموم المؤمنين . **وعالمٌ بالله وبأيام الله وبأمر الله** ؛ وهم الصدِّيقون ، والخشية والخشوع إنَّما تغلب عليهم .

وأراد بـ (أيام الله) : أنواعَ عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة ، التي أفاضها الله تعالىٰ على القرون السالفة واللاحقة . فمَنْ أحاط علمُه بذٰلك . . عظم خوفُه ، وظهر خشوعه . ويقال : ما آتى اللهُ عبداً علماً . . إلَّا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسنَ خلق ورفقاً ؛ **فذٰلك هو العلم النافع . وفي الأثر** : (مَنْ آتاه الله عز وجل علماً وزهداً وتواضعاً وحسن خلق . . فهو إمام المتقين) « إحياء » ملخصاً [(١/٢٧٩ ـ ٢٨٠)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

(١) **الحَرَد** : الغضب والحِدَّة .

(٢) وكان في الفقهاء من يقول : (لا أدري) أكثر ممن يقول : (أدري) منهم : سفيان الثوري ومالك بن أنس . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

(٣) فأما التعليم علىٰ قصد الدنيا . . فهو هلاك وإهلاك ، نعوذ بالله منه . « إحياء » [(١/٢٠٦)] ، ولا يرى المنَّة لنفسه عليهم وإن كانت المنَّة لازمة عليهم ، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله بزراعة العلوم فيها ، كالذي يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة ، فمنفعتك بها تزيد علىٰ منفعة صاحب الأرض ، فكيف تقلده منَّة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله عز وجل ؟! ولولا المتعلم . . ما نلت هٰذا الثواب ، فلا تطلب الأجر إلا من الله عز وجل . انتهىٰ [« إحياء » (١/٢٠٧)] .

وَمَنْعُ ٱلْمُتَعَلِّمِ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَضُرُّهُ ، وَزَجْرُهُ عَنْ أَنْ يُرِيدَ بِٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ غَيْرَ وَجْهِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَصَدُّ ٱلْمُتَعَلِّمِ عَنْ أَنْ يَشْتَغِلَ بِفَرْضِ ٱلْكِفَايَةِ قَبْلَ ٱلْفَرَاغِ مِنْ فَرْضِ ٱلْعَيْنِ .

وَفَرْضُ عَيْنِهِ إِصْلَاحُ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِٱلتَّقْوَىٰ [1] ، وَمُؤَاخَذَتُهُ نَفْسَهُ أَوَّلاً بِٱلتَّقْوَىٰ ؛ لِيَقْتَدِيَ ٱلْمُتَعَلِّمُ أَوَّلاً بِأَعْمَالِهِ ، وَيَسْتَفِيدَ ثَانِياً مِنْ أَقْوَالِهِ [2] .

❀ ❀ ❀

وَإِنْ كُنْتَ مُتَعَلِّماً . . فَأَدَبُ ٱلْمُتَعَلِّمِ مَعَ ٱلْعَالِمِ :

أَنْ يَبْدَأَهُ بِٱلتَّحِيَّةِ وَٱلسَّلَامِ ، وَأَنْ يُقِلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلْكَلَامَ .

وَلَا يَتَكَلَّمَ مَا لَمْ يَسْأَلْهُ أُسْتَاذُهُ ، وَلَا يَسْأَلَ مَا لَمْ يَسْتَأْذِنْ أَوَّلاً .

---

(١) وكان يقال : (العلماء إذا علموا . . عملوا ، فإذا عملوا . . شُغلوا ، فإذا شُغِلوا . . فُقِدوا ، فإذا فُقِدوا . . طُلِبوا ، فإذا طُلِبوا . . هربوا) . « إحياء » [(١/٢٥٦)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

(٢) فمَنْ علم وعمل وعلَّم . . فهو الذي يُدعىٰ عظيماً في ملكوت السماوات والأرض ؛ فإنَّه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة ، وكالمسك الذي يُطَيِّب به وهو طيبٌ . والذي يعلم ولا يعمل . . كالدفترِ الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمِسَنِّ الذي يَشحَذُ غيره ولا يقطع ، والإبرةِ التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذُبالةِ المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق ، قال الشاعر : [من المنسرح]

صرتُ كأنِّي ذُبالة وُقِدت ... تضيءُ للناسِ وهيَ تحترقُ

ومهما اشتغل بالتعليم . . فقد تقلَّد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً ، فليحفظ آدابه ووظائفه . « إحياء » [(١/٢٠٥)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

وَلَا يَقُولَ ـ فِي مُعَارَضَةِ قَوْلِهِ ـ : قَالَ فُلَانٌ بِخِلَافِ مَا قُلْتَ ، وَلَا يُشِيرَ عَلَيْهِ بِخِلَافِ رَأْيِهِ فَيَرَىٰ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِٱلصَّوَابِ مِنْ أُسْتَاذِهِ .

وَلَا يُسَارَّ جَلِيسَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى ٱلْجَوَانِبِ بَلْ يَجْلِسُ مُتَأَدِّباً مُطْرِقاً كَأَنَّهُ فِي ٱلصَّلَاةِ ، وَلَا يُكْثِرَ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلَالِهِ .

وَإِذَا قَامَ . . قَامَ لَهُ ، وَلَا يَتْبَعَهُ بِكَلَامِهِ وَسُؤَالِهِ ، وَلَا يَسْأَلَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغَ مَنْزِلَهُ .

وَلَا يُسِيءَ ٱلظَّنَّ بِهِ فِي أَفْعَالٍ ظَاهِرُهَا مُنْكَرَةٌ عِنْدَهُ ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِ ، وَلْيَذْكُرْ عِنْدَ ذَٰلِكَ قَوْلَ مُوسَىٰ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ : ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ ، وَكَوْنَهُ مُخْطِئاً فِي إِنْكَارِهِ ٱعْتِمَاداً عَلَى ٱلظَّاهِرِ [1] .

❀ ❀ ❀

---

(١) فائدة من « الإحياء » ولفظها : **الوظيفةُ التاسعةُ** : أن يكون قصدُ المُتعلِّم **في الحال** : تحليةَ باطنه وتجميلَه بالفضيلة ، **وفي المآل** : القربَ من الله سبحانه والترقّيَ إلىٰ جوار الملأ الأعلىٰ من الملائكة والمقربين ، ولا يَقصِدَ به الرياسةَ والمال ، ومماراة السفهاء ، ومباهاة الأقران ، وإذا كان هٰذا مقصدَه . . طلب لا محالة الأقرب إلىٰ مقصوده ؛ وهو علم الآخرة . ومع هٰذا : فلا ينبغي أن ينظر بعين الحقارة إلىٰ سائر العلوم ؛ أعني : علمَ الفتاوىٰ ، وعلمَ النحو واللغة المتعلِّقينِ بالكتاب والسنة ، وغيرَ ذٰلك . **ولا تفهمنَّ من غلوّنا في الثناء علىٰ علم الآخرة تهجينَ هٰذه العلوم** ؛ فالمُتكفِّلون بالعلوم . . كالمُتكفِّلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة يجاهدون في سبيل الله ؛ ومنهم المقاتل ، ومنهم الرِّدءُ ، ومنهم الذي يسقيهم الماء ، ومنهم الذي يحفظ أدواتهم ويتعهدهم ، ولا ينفكُّ واحدٌ منهم عن أجر إذا كان قصدُه إعلاءَ كلمة الله دون حيازة ←

وَإِنْ كَانَ لَكَ وَالِدَانِ . . فَأَدَبُ ٱلْوَلَدِ مَعَ ٱلْوَالِدَيْنِ :

أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمَا ، وَيَقُومَ لِقِيَامِهِمَا ، وَيَمْتَثِلَ أَمْرَهُمَا .

وَلَا يَمْشِيَ أَمَامَهُمَا ، وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ فَوْقَ أَصْوَاتِهِمَا .

وَيُلَبِّيَ دَعْوَتَهُمَا ، وَيَحْرِصَ عَلَىٰ طَلَبِ مَرْضَاتِهِمَا ، وَيَخْفِضَ لَهُمَا ٱلْجَنَاحَ .

وَلَا يَمُنَّ عَلَيْهِمَا بِٱلْبِرِّ لَهُمَا وَلَا بِٱلْقِيَامِ بِأَمْرِهِمَا .

وَلَا يَنْظُرَ إِلَيْهِمَا شَزْراً ، وَلَا يُقَطِّبَ وَجْهَهُ فِي وُجُوهِهِمَا ، وَلَا يُسَافِرَ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا[1] .

❀ ❀ ❀

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱلنَّاسَ بَعْدَ هَٰؤُلَاءِ فِي حَقِّكَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَصْدِقَاءُ ، وَإِمَّا مَعَارِفُ ، وَإِمَّا مَجَاهِيلُ .

← الغنائم ، فكذلك العلماء ، قال الله عز وجل : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . **وبالجملة** : مَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً . . يره ، ومَنْ يعمل مثقال ذرة شرّاً . . يره ، ومَنْ قصد الله عز وجل بالعلم ـ أيَّ علم كان ـ . . نفعَهُ ورفعَهُ لا محالة . « إحياء » انتهىٰ ملخصاً [(١٩٦/١ ـ ١٩٧)] . **انتهىٰ من هامش (أ) بتصرفٍ يسيرٍ .**

(١) قال رجلٌ : يا رسولَ الله ؛ مَنْ أحقُّ بحسن صحابتي ؟ فقال : « أُمُّكَ » ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : « أُمُّكَ » ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : « أُمُّكَ » ، قلت : ثم مَنْ ؟ قال : « أبوك » ، ويُروىٰ : « أُمَّك ، ثم أُمَّك ، ثم أُمَّك ، ثم أباك » . وقال : « إنَّ الله حرَّم عليكم : عقوقَ الأمهات ، ووأدَ البنات ، ومنعاً وهاتِ ، وكره لكم قيلَ وقالَ ، وكثرةَ السؤال ، وإضاعةَ المال » . « مصابيح » [(٣٤٧/٣ ـ ٣٤٩)] . **انتهىٰ من هامش (أ) .**

فَإِنْ بُلِيتَ بِٱلْعَوَامِّ ٱلْمَجْهُولِينَ . . فَأَدَبُ مُجَالَسَةِ ٱلْعَامَّةِ :

تَرْكُ ٱلْخَوْضِ مَعَهُمْ فِي حَدِيثِهِمْ ، وَقِلَّةُ ٱلْإِصْغَاءِ إِلَىٰ أَرَاجِيفِهِمْ ، وَٱلتَّغَافُلُ عَمَّا يَجْرِي مِنْ سُوءِ أَلْفَاظِهِمْ ، وَٱلِٱحْتِرَازُ عَنْ كَثْرَةِ لِقَائِهِمْ وَٱلْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ ، وَٱلتَّنْبِيهُ لَهُمْ عَلَىٰ مُنْكَرَاتِهِمْ بِٱللُّطْفِ وَٱلنُّصْحِ عِنْدَ رَجَاءِ ٱلْقَبُولِ مِنْهُمْ .

وَأَمَّا ٱلْإِخْوَةُ وَٱلْأَصْدِقَاءُ . . فَعَلَيْكَ فِيهِمْ وَظِيفَتَانِ :

* **إِحْدَاهُمَا** : أَنْ تَطْلُبَ أَوَّلاً شُرُوطَ ٱلصُّحْبَةِ وَٱلصَّدَاقَةِ ؛ فَلَا تُؤَاخِ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ لِلْأُخُوَّةِ ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »[1] .

فَإِذَا طَلَبْتَ رَفِيقاً لِيَكُونَ شَرِيكَكَ فِي ٱلتَّعَلُّمِ ، وَصَاحِبَكَ فِي أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ . . فَرَاعِ فِيهِ خَمْسَ خِصَالٍ :

ٱلْأُولَى : **ٱلْعَقْلُ** ، فَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ ٱلْأَحْمَقِ[2] ؛ فَإِلَى ٱلْوَحْشَةِ وَٱلْقَطِيعَةِ يَرْجِعُ آخِرُهَا ، وَقَدْ يَضُرُّكَ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ ، وَٱلْعَدُوُّ ٱلْعَاقِلُ خَيْرٌ مِنَ ٱلصَّدِيقِ ٱلْأَحْمَقِ .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ[3] : [من الهزج]

وَلَا تَصْحَبْ أَخَا ٱلْجَهْلِ ... وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) **وقيل** : إنَّ قلبَ الأحمق في فمِهِ ، ولسانَه في قلبه . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

(٣) أنوار العقول لوصي الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ٢٦٣) .

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَىٰ حَلِيماً حِينَ وَاخَاهُ
يُقَاسُ ٱلْمَرْءُ بِٱلْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَلِلشَّيْءِ مِنَ ٱلشَّيْءِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى ٱلْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

ٱلثَّانِيَةُ : حُسْنُ ٱلْخُلُقِ ، فَلَا تَصْحَبْ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ[1] ؛ وَهُوَ ٱلَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ وَٱلشَّهْوَةِ .

وَقَدْ جَمَعَهُ عَلْقَمَةُ ٱلْعُطَارِدِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ فِي وَصِيَّتِهِ لِٱبْنِهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ فَقَالَ : (**يَا بُنَيَّ** ؛ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْحَبَ إِنْسَاناً . . فَٱصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِذَا صَحِبْتَهُ زَانَكَ ، وَإِنْ قَعَدَتْ بِكَ مُؤْنَةٌ مَانَكَ .

ٱصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ إِلَىٰ خَيْرٍ . . مَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَىٰ مِنْكَ حَسَنَةً . . عَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَىٰ مِنْكَ سَيِّئَةً . . سَدَّهَا .

ٱصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ . . صَدَّقَكَ ، وَإِذَا حَاوَلْتَ أَمْراً . . أَمَّرَكَ ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي شَيْءٍ . . آثَرَكَ)[2] .

---

(١) وسئل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن حسن الخُلق فقال : (أدناه الاحتمال ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والدعاء له) وهذه أخلاق المتصوفين . « آداب المريدين » [(ص ٤٢)] . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

(٢) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢٨٣/٢) ، وابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٤/٣) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .
وكان أبو سعيد الثوري يقول : « إذا أردت أن تؤاخي أخاً . . فأغضبْه ، ثم دُسَّ ←

وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رَجَزاً :

إِنَّ أَخَاكَ ٱلْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ ٱلزَّمَانِ صَدَّعَكْ شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ (١)

ٱلثَّالِثَةُ : ٱلصَّلَاحُ ، فَلَا تَصْحَبْ فَاسِقاً مُصِرّاً عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ يَخَافُ ٱللَّهَ لَا يُصِرُّ عَلَىٰ كَبِيرَةٍ ، وَمَنْ لَا يَخَافُ ٱللَّهَ لَا تُؤْمَنُ غَائِلَتُهُ ، بَلْ يَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ ٱلْأَغْرَاضِ ، قَالَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فَٱحْذَرْ صُحْبَةَ ٱلْفَاسِقِ ؛ فَإِنَّ مُشَاهَدَةَ ٱلْفَاسِقِ وَٱلْمَعْصِيَةِ عَلَى ٱلدَّوَامِ . . تُزِيلُ عَنْ قَلْبِكَ وَقْعَ ٱلْمَعْصِيَةِ ، وَتُهَوِّنُ عَلَيْكَ أَمْرَهَا ؛ وَلِذَٰلِكَ هَانَ عَلَى ٱلْقُلُوبِ مَعْصِيَةُ ٱلْغِيبَةِ لِإِلْفِهِمْ لَهَا ، وَلَوْ رَأَوْا خَاتَماً

← عليه مَنْ يسأله عنك وعن أسرارك ؛ فإن قال خيراً وكتم سرَّك . . فاصحبه » . ومَنْ أفشى السِّرَّ عند الغضب . . فهو اللئيم . وقد قيل في ذٰلك : [من الكامل]

وترى الكريمَ إذا تصرَّم وصلُه يخفي القبيحَ ويظهرُ الإحسانا

وترى اللئيمَ إذا [تقضَّىٰ وصلُه] يخفي الجميلَ ويظهرُ [البهتانا]

[« إحياء » (٤/٩٢ ـ ٩٣)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(١) أنوار العقول لوصي الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ١٦٣) .

وقيل : كلُّ أحد يعرف بقرنائه ، وينسب إلىٰ خلطائه . رُوي أنَّه وقف النبيُّ صلى الله عليه وسلم علىٰ قوم فقال : « ألا أخبركم بخيركم من شرِّكم ؟ خيرُكم مَنْ يُرجىٰ خيرُه ويُؤمن شرُّه ، وشرُّكم مَنْ لا يُرجىٰ خيرُه ولا يُؤمَنُ شرُّه » . انتهىٰ من هامش (أ) . والحديث أخرجه الترمذي (٢٢٦٣) ، وابن حبان (٥٢٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مَلْبُوساً مِنْ حَرِيرٍ عَلَىٰ فَقِيهٍ . . لَٱشْتَدَّ إِنْكَارُهُمْ عَلَيْهِ ، وَٱلْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنْ ذَٰلِكَ .

ٱلرَّابِعَةُ : ٱلْحِرْصُ ، فَلَا تَصْحَبْ حَرِيصاً عَلَى ٱلدُّنْيَا ؛ فَصُحْبَةُ ٱلْحَرِيصِ عَلَى ٱلدُّنْيَا . . سُمٌّ قَاتِلٌ ؛ لِأَنَّ ٱلطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى ٱلتَّشَبُّهِ وَٱلِٱقْتِدَاءِ ، بَلِ ٱلطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ ٱلطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي .

فَمُجَالَسَةُ ٱلْحَرِيصِ . . تَزِيدُ فِي حِرْصِكَ ، وَمُجَالَسَةُ ٱلزَّاهِدِ فِي ٱلدُّنْيَا . . تَزِيدُ فِي زُهْدِكَ [1] .

ٱلْخَامِسَةُ : ٱلصِّدْقُ ، فَلَا تَصْحَبْ كَذَّاباً ؛ فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَىٰ غُرُورٍ ، وَهُوَ مِثْلُ ٱلسَّرَابِ ؛ يُقَرِّبُ مِنْكَ ٱلْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ مِنْكَ ٱلْقَرِيبَ .

وَلَعَلَّكَ تَعْدَمُ ٱجْتِمَاعَ هَٰذِهِ ٱلْخِصَالِ فِي سُكَّانِ ٱلْمَدَارِسِ وَٱلْمَجَالِسِ وَٱلْمَسَاجِدِ ، **فَعَلَيْكَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ :**

إِمَّا ٱلْعُزْلَةِ وَٱلِٱنْفِرَادِ ، فَفِيهَا سَلَامَتُكَ .

وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُخَالَطَتُكَ مَعَ شُرَكَائِكَ بِقَدْرِ صَالِحِ خِصَالِهِمْ ؛ وَذَٰلِكَ بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ ٱلْإِخْوَةَ ثَلَاثَةٌ :

ـ أَخٌ لِآخِرَتِكَ ؛ فَلَا تُرَاعِ فِيهِ إِلَّا ٱلدِّينَ .

ـ وَأَخٌ لِدُنْيَاكَ ؛ فَلَا تُرَاعِ فِيهِ إِلَّا ٱلْخُلُقَ ٱلْحَسَنَ .

ـ وَأَخٌ لِتَسْتَأْنِسَ بِهِ ؛ فَلَا تُرَاعِ فيهِ إِلَّا ٱلسَّلَامَةَ مِنْ خُبْثِهِ وَشَرِّهِ .

---

(١) والزهدُ : هو ترك الحلال من الدنيا ، والعزوف عنها وعن شهواتها . « آداب » [(ص ٤٣)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

وَٱلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ :

ـ أَحَدُهُمْ : مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلْغِذَاءِ لَا يُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ .

ـ وَٱلْآخَرُ : مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ .

ـ وَٱلثَّالِثُ : مَثَلُهُ مَثَلُ ٱلدَّاءِ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَطُّ [1] ، وَلَٰكِنِ ٱلْعَبْدُ قَدْ يُبْتَلَىٰ بِهِ ؛ وَهُوَ ٱلَّذِي لَا أُنْسَ فِيهِ وَلَا نَفْعَ مَعَهُ ، فَتَجِبُ مُدَارَاتُهُ إِلَى ٱلْخَلَاصِ مِنْهُ .

وَفِي مُشَاهَدَتِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ إِنْ وُفِّقْتَ لَهَا ؛ وَهُوَ أَنْ تُشَاهِدَ مِنْ خَبَائِثِهِ وَأَحْوَالِهِ مَا تَسْتَقْبِحُهُ فَتَجْتَنِبُهُ ؛ فَٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَٱلْمُؤْمِنُ مِرْآةُ ٱلْمُؤْمِنِ .

وَقِيلَ لِعِيسَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : مَنْ أَدَّبَكَ ؟ فَقَالَ : (مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، وَلَٰكِنْ رَأَيْتُ جَهْلَ ٱلْجَاهِلِ فَتَجَنَّبْتُهُ) [2] .

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

فَلَوِ ٱجْتَنَبَ ٱلنَّاسُ مَا يَكْرَهُونَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ . . لَكَمُلَتْ آدَابُهُمْ وَٱسْتَغْنَوْا عَنِ ٱلْمُؤَدِّبِ .

---

(١) وقد قيل : مصاحبة الأشرار خطر ، ومَنْ صاحبهم . . فقد بالغ في [الغَرَر] ، وإنَّما مثله كمثل راكب البحر ؛ إن سلم ببدنه من التلف . . لم يسلم بقلبه من الحذر . « آداب المريدين » [(ص ٨٣)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) أورده ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٤٤٢/٢) ، وأبو الحسن الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٣٦٧) .

* **ٱلْوَظِيفَةُ ٱلثَّانِيَةُ** : مُرَاعَاةُ حُقُوقِ ٱلصُّحْبَةِ ؛ فَمَهْمَا ٱنْعَقَدَتِ ٱلشِّرْكَةُ ، وَٱنْتَظَمَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَرِيكِكَ ٱلصُّحْبَةُ . . فَعَلَيْكَ حُقُوقٌ يُوجِبُهَا عَقْدُ ٱلصُّحْبَةِ ، وَفِي ٱلْقِيَامِ بِهَا آدَابٌ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ ٱلْأَخَوَيْنِ مَثَلُ ٱلْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ »[1] .

وَدَخَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَمَةً[2] ، **فَٱجْتَنَىٰ مِنْهَا سِوَاكَيْنِ** : أَحَدُهُمَا مُعْوَجٌّ ، وَٱلْآخَرُ مُسْتَقِيمٌ ، وَكَانَ مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَاهُ ٱلْمُسْتَقِيمَ وَأَمْسَكَ لِنَفْسِهِ ٱلْمُعْوَجَّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنْتَ كُنْتَ أَحَقَّ بِٱلْمُسْتَقِيمِ مِنِّي ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ . . إِلَّا وَسُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ : هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، أَمْ أَضَاعَهُ ؟! »[3] .

وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا ٱصْطَحَبَ ٱثْنَانِ قَطُّ إِلَّا وَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ »[4] .

---

(١) أخرجه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٤٣٣) ، والسلمي في « آداب الصحبة » (١٢٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) **الأجمة** : الشجر الكثيف الملتف .

(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٥/١١٢/٤) ، وابن حبان في « المجروحين » (١٥٦/١) عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم .

(٤) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٦٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

فَآدَابُ ٱلصُّحْبَةِ :

ٱلْإِيثَارُ بِٱلْمَالِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَـٰذَا . . فَيَبْذُلُ ٱلْفَضْلَ مِنَ ٱلْمَالِ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ .

وَٱلْإِعَانَةُ بِٱلنَّفْسِ فِي ٱلْحَاجَاتِ عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْمُبَادَرَةِ مِنْ غَيْرِ إِحْوَاجٍ إِلَى ٱلِٱلْتِمَاسِ .

وَكِتْمَانُ ٱلسِّرِّ ، وَسَتْرُ ٱلْعُيُوبِ .

وَٱلسُّكُوتُ عَنْ تَبْلِيغِ مَا يَسُوءُهُ مِنْ مَذَمَّةِ ٱلنَّاسِ إِيَّاهُ ، وَإِبْلَاغُ مَا يَسُرُّهُ مِنْ ثَنَاءِ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ .

وَحُسْنُ ٱلْإِصْغَاءِ عِنْدَ ٱلْحَدِيثِ ، وَتَرْكُ ٱلْمُمَارَاةِ لَهُ .

وَأَنْ يَدْعُوَهُ بِأَحَبِّ ٱلْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ [1] .

---

(١) ويُستحبُّ إجابةُ مَنْ ناداك بـ (لبَّيك وسعديك) ، أو (لبَّيك) وحدها . ويُستحبُّ أن يقول لمَنْ ورد عليه : (مرحباً) ، وأن يقول لمَنْ أحسن إليه أو رأىٰ منه فعلاً جميلاً : (حفظك الله) أو (جزاك الله خيراً) ، وما أشبهَهُ . « أذكار » [(ص ٤٥٤)] .

ويجوز للإنسان ذكرُ مَنْ يتبعه من ولد أو غلام أو مُتعلِّم أو نحوهم . . باسم قبيح ليزجره ويؤدبه عن القبيح ويروِّض نفسه ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن بُسْر ـ بضم الباء الموحدة وإسكان المهملة ـ لمَّا أكل من قطف العنب قبل أن يُبَلِّغه إياه فأخذ بأذنه وقال : « يا غُدَر » . قال في « الأذكار » [(ص ٥٨٧)] : (ومن الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة : قولُه لمَنْ يخاصمه : « يا حمار » ، « يا كلب » ، « يا تيس » ونحوَ ذٰلك ، فهـٰذا قبيح لوجهين ؛ أحدهما : أنَّه كذب ، والآخر : أنَّه بَذَاء ، وهو بخلاف قوله : « يا ظالم » ونحوَه ؛ فإنَّ ذٰلك يتسامح به لضرورة المخاصمة ، مع أنَّه يَصدُق غالباً ، فقلَّ إنسانٌ إلَّا وهو ظالم لنفسه . انتهى) انتهىٰ من هامش (أ) .

وَأَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ مَحَاسِنِهِ ، وَأَنْ يَشْكُرَهُ عَلَىٰ صَنِيعِهِ فِي حَقِّهِ .

وَأَنْ يَذُبَّ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ إِذَا تُعُرِّضَ لِعِرْضِهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ .

وَأَنْ يَنْصَحَهُ بِٱللُّطْفِ وَٱلتَّعْرِيضِ إِذَا ٱحْتَاجَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلَّتِهِ وَهَفْوَتِهِ وَلَا يَعْتِبَ عَلَيْهِ .

وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُ فِي صَلَاتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ، وَأَنْ يُحْسِنَ ٱلْوَفَاءَ مَعَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ .

وَأَنْ يُؤْثِرَ ٱلتَّخْفِيفَ عَنْهُ ؛ فَلَا يُكَلِّفَهُ شَيْئاً مِنْ حَاجَاتِهِ ، فَيُرَوِّحَ سِرَّهُ عَنْ مُهِمَّاتِهِ .

وَأَنْ يُظْهِرَ ٱلْفَرَحَ بِجَمِيعِ مَا يَنَالُهُ لَهُ مِنْ مَسَرَّاتِهِ ، وَٱلْحُزْنَ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ مَكَارِهِهِ .

وَأَنْ يُضْمِرَ لَهُ مِثْلَ مَا يُظْهِرُ ؛ فَيَكُونَ صَادِقاً فِي حُبِّهِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً .

وَأَنْ يَبْدَأَهُ بِٱلسَّلَامِ عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، وَأَنْ يُوَسِّعَ لَهُ فِي ٱلْمَجْلِسِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ لَهُ عَنْ مَكَانِهِ ، وَأَنْ يُشَيِّعَهُ عِنْدَ قِيَامِهِ .

وَأَنْ يَصْمُتَ عِنْدَ كَلَامِهِ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ خِطَابِهِ ، وَأَنْ يَتْرُكَ ٱلْمُدَاخَلَةَ فِي كَلَامِهِ .

وَعَلَى ٱلْجُمْلَةِ : فَيُعَامِلُهُ بِمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ .

فَمَنْ لَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . . فَأُخُوَّتُهُ نِفَاقٌ ، وَهُوَ عَلَيْهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَبَالٌ .

فَهَـٰذَا أَدَبُكَ فِي حَقِّ ٱلْعَوَامِّ ٱلْمَجْهُولِينَ ، وَفِي حَقِّ ٱلْأَصْدِقَاءِ ٱلْمُؤَاخِينَ .

❀ ❀ ❀

وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلثَّالِثُ ؛ وَهُمُ ٱلْمَعَارِفُ . . فَٱحْذَرْ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَرَى ٱلشَّرَّ إِلَّا مِمَّنْ تَعْرِفُهُ .

أَمَّا ٱلصَّدِيقُ . . فَيُعِينُكَ ، وَأَمَّا ٱلْمَجْهُولُ . . فَلَا يَتَعَرَّضُ لَكَ ، وَإِنَّمَا ٱلشَّرُّ كُلُّهُ مِنَ ٱلْمَعَارِفِ ٱلَّذِينَ يُظْهِرُونَ ٱلصَّدَاقَةَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَأَقْلِلْ مِنَ ٱلْمَعَارِفِ مَا قَدَرْتَ .

فَإِذَا بُلِيتَ بِهِمْ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ جَامِعٍ أَوْ مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ بَلَدٍ . . فَيَجِبُ أَلَّا تَسْتَصْغِرَ مِنْهُمْ أَحَداً ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَلَا تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ ٱلتَّعْظِيمِ لَهُمْ فِي حَالِ دُنْيَاهُمْ فَتَهْلِكَ ؛ لِأَنَّ ٱلدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ ٱللهِ صَغِيرٌ مَا فِيهَا ، وَمَهْمَا عَظُمَ أَهْلُ ٱلدُّنْيَا فِي قَلْبِكَ . . فَقَدْ سَقَطْتَ مِنْ عَيْنِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْذُلَ لَهُمْ دِينَكَ لِتَنَالَ دُنْيَاهُمْ ؛ فَلَا يَفْعَلُ ذَٰلِكَ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا صَغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، ثُمَّ حُرِمَ مَا عِنْدَهُمْ .

وَإِنْ عَادَوْكَ . . فَلَا تُقَابِلْهُمْ بِٱلْعَدَاوَةِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ مُكَافَأَتِهِمْ ، فَيَذْهَبُ دِينُكَ فِيهِمْ ، وَيَطُولُ عَنَاؤُكَ مَعَهُمْ .

وَلَا تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ فِي حَالِ إِكْرَامِهِمْ إِيَّاكَ ، وَثَنَائِهِمْ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ ، وَإِظْهَارِهِمُ ٱلْمَوَدَّةَ لَكَ ؛ فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَقِيقَةَ ذَٰلِكَ . . لَمْ تَجِدْ فِي ٱلْمِئَةِ إِلَّا وَاحِداً .

وَلَا تَطْمَعْ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَنِ وَاحِداً .

وَلَا تَتَعَجَّبْ إِنْ ثَلَبُوكَ فِي ٱلْغَيْبَةِ ، وَلَا تَغْضَبْ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّكَ لَوْ أَنْصَفْتَ . . وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ مِثْلَ ذَٰلِكَ حَتَّىٰ فِي أَصْدِقَائِكَ وَأَقَارِبِكَ ، بَلْ فِي أُسْتَاذِكَ وَوَالِدَيْكَ ؛ فَإِنَّكَ تَذْكُرُهُمْ فِي ٱلْغَيْبَةِ بِمَا لَا تُشَافِهُهُمْ بِهِ .

فَٱقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْ مَالِهِمْ وَجَاهِهِمْ وَمَعُونَتِهِمْ ؛ فَإِنَّ ٱلطَّامِعَ ـ فِي ٱلْأَكْثَرِ ـ خَائِبٌ فِي ٱلْمَآلِ ، وَهُوَ ذَلِيلٌ لَا مَحَالَةَ فِي ٱلْحَالِ .

وَإِذَا سَأَلْتَ وَاحِداً حَاجَةً فَقَضَاهَا . . فَٱشْكُرِ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَٱشْكُرْهُ ، وَإِنْ قَصَّرَ . . فَلَا تُعَاتِبْهُ ، وَلَا تَشْكُهُ فَتَصِيرَ عَدَاوَةً .

وَكُنْ كَٱلْمُؤْمِنِ يَطْلُبُ ٱلْمَعَاذِيرَ ، وَلَا تَكُنْ كَٱلْمُنَافِقِ يَطْلُبُ ٱلْعُيُوبَ .

فَقُلْ : لَعَلَّهُ قَصَّرَ لِعُذْرٍ لَهُ لَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ .

وَلَا تَعِظَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ مَا لَمْ تَتَوَسَّمْ فِيهِ أَوَّلاً مَخَايِلَ ٱلْقَبُولِ ، وَإِلَّا . . لَمْ يَسْمَعْ مِنْكَ ، وَصَارَ خَصْماً عَلَيْكَ .

وَإِذَا أَخْطَؤُوا فِي مَسْأَلَةٍ ، وَكَانُوا يَأْنَفُونَ عَنِ ٱلتَّعَلُّمِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ . . فَلَا تُعَلِّمْهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْكَ عِلْماً ، وَيُصْبِحُونَ لَكَ أَعْدَاءً ، إِلَّا إِذَا تَعَلَّقَ ذَٰلِكَ بِمَعْصِيَةٍ يُقَارِفُونَهَا عَنْ جَهْلٍ . . فَٱذْكُرِ ٱلْحَقَّ بِلُطْفٍ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ كَرَامَةً وَخَيْراً . . فَٱشْكُرِ ٱللهَ ٱلَّذِي حَبَّبَكَ إِلَيْهِمْ .

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ شَرّاً . . فَكِلْهُمْ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَٱسْتَعِذْ بِٱللهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَلَا تُعَاتِبْهُمْ ، وَلَا تَقُلْ لَهُمْ : (لِمَ لَمْ تَعْرِفُوا حَقِّي) ، وَ(أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ) ، وَ(أَنَا ٱلْفَاضِلُ فِي ٱلْعُلُومِ) ؛ فَإِنَّ ذَٰلِكَ كَلَامُ ٱلْحَمْقَىٰ ، وَأَشَدُّ ٱلنَّاسِ حَمَاقَةً مَنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهَا .

وَٱعْلَمْ : أَنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُسَلِّطْهُمْ عَلَيْكَ إِلَّا لِذَنْبٍ سَبَقَ مِنْكَ ، فَٱسْتَغْفِرِ ٱللهَ مِنْ ذَنْبِكَ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ذَٰلِكَ عُقُوبَةٌ مِنَ ٱللهِ لَكَ .

وَكُنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ : سَمِيعاً لِحَقِّهِمْ ، أَصَمَّ عَنْ بَاطِلِهِمْ ، نَطُوقاً بِمَحَاسِنِهِمْ ، صَمُوتاً عَنْ مَسَاوِيهِمْ .

وَٱحْذَرْ مُخَالَطَةَ مُتَفَقِّهَةِ ٱلزَّمَانِ ، لَا سِيَّمَا ٱلْمُشْتَغِلِينَ بِٱلْخِلَافِ وَٱلْجِدَالِ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَرَبَّصُونَ بِكَ ـ لِحَسَدِهِمْ ـ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ، وَيَقْطَعُونَ عَلَيْكَ بِٱلظُّنُونِ ، وَيَتَغَامَزُونَ عَلَيْكَ بِٱلْعُيُونِ ، وَيُحْصُونَ عَلَيْكَ عَثَرَاتِكَ فِي حَالِ عِشْرَتِهِمْ ؛ حَتَّىٰ يَجْبَهُوكَ بِهَا فِي غَضَبِهِمْ وَمُنَاظَرَتِهِمْ ، لَا يُقِيلُونَ لَكَ عَثْرَةً ، وَلَا يَغْفِرُونَ لَكَ زَلَّةً ، وَلَا يَسْتُرُونَ لَكَ عَوْرَةً .

يُحَاسِبُونَ عَلَى ٱلنَّقِيرِ وَٱلْقِطْمِيرِ ، وَيَحْسُدُونَ عَلَى ٱلْقَلِيلِ وَٱلْكَثِيرِ ، وَيُحَرِّضُونَ عَلَيْكَ ٱلْإِخْوَانَ بِٱلنَّمِيمَةِ وَٱلْبَلَاغَاتِ وَٱلْبُهْتَانِ .

إِنْ رَضُوا . . فَظَاهِرُهُمُ ٱلْمَلَقُ ، وَإِنْ سَخِطُوا . . فَبَاطِنُهُمُ ٱلْحَنَقُ .

ظَاهِرُهُمْ ثِيَابٌ ، وَبَاطِنُهُمْ ذِئَابٌ .

هَـٰذَا مَا قَطَعَتْ بِهِ ٱلْمُشَاهَدَةُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، فَصُحْبَتُهُمْ خُسْرَانٌ ، وَمُعَاشَرَتُهُمْ خِذْلَانٌ .

هَـٰذَا حُكْمُ مَنْ يُظْهِرُ لَكَ ٱلصَّدَاقَةَ ، فَكَيْفَ مَنْ يُجَاهِرُكَ بِٱلْعَدَاوَةِ ؟!

وَكُنْ كَمَا قِيلَ[1] : [من مجزوء الكامل]

اِحْـــذَرْ عَـــدُوَّكَ مَـــرَّةً ... وَٱحْـــذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ

فَلَرُبَّمَا ٱنْقَلَبَ ٱلصَّدِيـ ... ـقُ فَكَانَ أَعْرَفَ بِٱلْمَضَرَّهْ

كَذَٰلِكَ قِيلَ[2] : [من الوافر]

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ ٱلصِّحَابِ

فَإِنَّ ٱلدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ ... يَكُونُ مِنَ ٱلطَّعَامِ أَوِ ٱلشَّرَابِ

وَكُنْ كَمَا قَالَ هِلَالُ بْنُ ٱلْعَلَاءِ ٱلرَّقِّيُّ[3] : [من البسيط]

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَىٰ أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ هَمِّ ٱلْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ ٱلشَّرَّ عَنِّي بِٱلتَّحِيَّاتِ

---

(١) أوردهما الثعالبي في « يتيمة الدهر » (١٢٧/٣) ، وابن عبد البر في « بهجة المجالس » (٦٩٦/١) وعزاها لمنصور الفقيه .

(٢) البيتان لابن الرومي في « ديوانه » (٢٣١/١) .

(٣) روى الأبيات الثلاثة الأولى ابن حبان في « روضة العقلاء » (٦٥٧/٢) ، وأوردها عدا البيتين الأخيرين أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (١٩٠/٨) .

وَأُظْهِرُ ٱلْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ مَلَا قَلْبِي مَسَرَّاتِ

وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَوَدَّاتِ

ٱلنَّاسُ دَاءٌ دَوَاءُ ٱلنَّاسِ تَرْكُهُمُ ... وَفِي ٱلْجَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ ٱلْأُخُوَّاتِ

فَسَالِمِ ٱلنَّاسَ تَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ... وَكُنْ حَرِيصاً عَلَىٰ كَسْبِ ٱلْمُرُوَّاتِ

فَخَالِقِ ٱلنَّاسَ وَٱصْبِرْ مَا بَقِيتَ لَهُمْ ... أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَىٰ ذَا تَقِيَّاتِ

وَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : (ٱلْقَ صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ بِوَجْهٍ وَاحِدٍ ؛ وَهُوَ ٱلرِّضَا ، مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ لَهُمْ وَلَا هَيْبَةٍ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّرْ مِنْ غَيْرِ كِبْرٍ ، وَتَوَاضَعْ مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ ، وَكُنْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فِي أَوْسَطِهَا ؛ فَكِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ ٱلْأُمُورِ ذَمِيمٌ[1] .

وَلَا تَنْظُرْ فِي عِطْفَيْكَ ، وَلَا تُكْثِرِ ٱلِٱلْتِفَاتَ ، وَلَا تَقِفْ عَلَى ٱلْجَمَاعَاتِ ، وَإِذَا جَلَسْتَ . . فَلَا تَسْتَوْفِزْ ، وَتَحَفَّظْ مِنْ تَشْبِيكِ أَصَابِعِكَ ، وَٱلْعَبَثِ بِلِحْيَتِكَ وَخَاتَمِكَ ، وَتَخْلِيلِ أَسْنَانِكَ ، وَإِدْخَالِ إِصْبَعِكَ فِي أَنْفِكَ ، وَكَثْرَةِ بُصَاقِكَ وَتَنَخُّمِكَ ، وَطَرْدِ ٱلذُّبَابِ عَنْ وَجْهِكَ ، وَكَثْرَةِ ٱلتَّمَطِّي وَٱلتَّثَاؤُبِ فِي وُجُوهِ ٱلنَّاسِ ، وَفِي ٱلصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا .

وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ هَادِئاً ، وَحَدِيثُكَ مَنْظُوماً مُرَتَّباً .

---

(١) عجز بيت ضمن بيتين أوردهما عبد القادر البغدادي في « خزانة الأدب » (١٢٢/٢) ؛ وهما : (من الطويل)

عليكَ بأوساطِ الأُمُورِ فإنَّها ... طريقٌ إلىٰ نهجِ الصَّوابِ قَوِيمُ

ولا تكُ فيها مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً ... كلا طرفَيْ قصدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

وَأَصْغِ إِلَى ٱلْكَلَامِ ٱلْحَسَنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ تَعَجُّبٍ مُفْرِطٍ ، وَلَا تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ ، وَٱسْكُتْ عَنِ ٱلْمَضَاحِكِ وَٱلْحِكَايَاتِ ، وَلَا تُحَدِّثْ عَنْ إِعْجَابِكَ بِوَلَدِكَ وَشِعْرِكَ وَكَلَامِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يَخُصُّكَ .

وَلَا تَتَصَنَّعْ تَصَنُّعَ ٱلْمَرْأَةِ فِي ٱلتَّزَيُّنِ ، وَلَا تَتَبَذَّلْ تَبَذُّلَ ٱلْعَبْدِ ، وَتَوَقَّ كَثْرَةَ ٱلْكُحْلِ وَٱلْإِسْرَافَ فِي ٱلدُّهْنِ .

وَلَا تُلِحَّ فِي ٱلْحَاجَاتِ ، وَلَا تُشَجِّعْ أَحداً عَلَى ٱلظُّلْمِ ، وَلَا تُعْلِمْ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ـ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ ـ مِقْدَارَ مَالِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قَلِيلاً . . هُنْتَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانَ كَثِيراً . . لَمْ تَبْلُغْ قَطُّ رِضَاهُمْ ، وَٱجْفُهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، وَلِنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَلَا تُهَازِلْ أَمَتَكَ وَلَا عَبْدَكَ فَيَسْقُطَ وَقَارُكَ .

وَإِذَا خَاصَمْتَ . . فَتَوَقَّ وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ وَعَجَلَتِكَ ، وَتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ ، وَلَا تُكْثِرِ ٱلْإِشَارَةَ بِيَدِكَ ، وَلَا تُكْثِرِ ٱلِٱلْتِفَاتَ إِلَىٰ مَنْ وَرَاءَكَ ، وَلَا تَجْثُ عَلَىٰ رُكْبَتَيْكَ .

فَإِذَا هَدَأَ غَضَبُكَ . . فَتَكَلَّمْ .

وَإِذَا قَرَّبَكَ ٱلسُّلْطَانُ . . فَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ مِثْلِ حَدِّ ٱلسِّنَانِ [1] .

---

(١) وقال أبو ذرّ لسلمة : (يا سلمة ؛ لا تغشَ أبواب السلاطين ؛ فإنَّك لا تصيب [شيئاً] من دنياهم . . إلَّا أصابوا من دينك أفضلَ منه) . وهٰذه فتنة عظيمة للعلماء ، وذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لا سيَّما مَنْ له لهجة مقبولة وكلام حلو ؛ فلا يزال الشيطان يلقي إليه : إنَّ في وعظك لهم ودخولك عليهم ما ←

وَإِيَّاكَ وَصَدِيقَ ٱلْعَافِيَةِ ؛ فَإِنَّهُ أَعْدَى ٱلْأَعْدَاءِ ، وَلَا تَجْعَلْ مَالَكَ أَكْرَمَ مِنْ عِرْضِكَ)[1] .

❋ ❋ ❋

← يردُّهم عن الظلم ، ويقيم شعائر الشرع ، إلىٰ أن يخيل إليه أنَّ الدخول عليهم من الدِّين ، ثم إذا دخل . . لم يلبث أن يتلطَّف بالكلام ويداهن ، ويخوض في الثناء والإطراء ، وفيه هلاك الدِّين . ولم يزل السلف ؛ مثلُ الحسن والثوريِّ وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط . . يتكلَّمون في علماء الدنيا من أهل مكَّة والشام وغيرهم ؛ إمَّا لميلهم إلى الدنيا ، أو لمخالطتهم السلاطين . « إحياء » المؤلف [٢٥٥/١ ـ ٢٥٦] .

وأمَّا مجانبة السُّلطان . . فلأنَّ مخالطته تدعو إلىٰ موافقته في ظلمه ، وتصديقه علىٰ كذبه .

ثمَّ يحشر صاحب هذه الصِّفة معهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ قيل : معناه : وأعوانهم وأشياعهم . ويُروىٰ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « سيكونُ بعدي أُمراءُ ؛ فمَنْ دخل عليهم فصدَّقهم علىٰ كذبهم ، وأعانهم علىٰ ظلمهم . . فليس منِّي ولا أنا منه ، ولا يَرِدُ الحوضَ » . وفي بعض الأخبار : (شرار العلماء . . أقربهم إلى الأمراء ، وخيار الأمراء . . أقربهم إلى العلماء) انتهىٰ .

وأمَّا مخالفة الظُّلم والظَّلَمة . . فلقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ فإذا كان الرُّكون إلى الظَّالمين مورثاً للنَّار . . فأولىٰ أن تكون مخالفتهم مورثةً لدار القرار . **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيَّاكم والظُّلمَ ؛ فإنَّ الظُّلم ظلماتٌ يوم القيامة »** . **وقال سلمان لرجلٍ من أصحابه** : (أتدري ما ظلمة يوم القيامة ؟) قال : لا ، قال : (ظلمةُ يوم القيامة من ظلم الخَلق) منه [أي : « رياض الأنس » (ق / ٧)] . انتهىٰ من هامش (أ) .

(١) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (٧٤٩/٢ ـ ٧٥٤) بنحوه عن الخطاب بن المعلَّى المخزومي ضمن وصية لابنه .

الخاتمة

فَهَـٰذَا ٱلْقَدْرُ يَا فَتَىٰ يَكْفِيكَ فِي بِدَايَةِ ٱلْهِدَايَةِ ، فَجَرِّبْ بِهَا نَفْسَكَ ، فَإِنَّهَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

ـ قِسْمٌ فِي أَدَاءِ ٱلطَّاعَاتِ .

ـ وَقِسْمٌ فِي تَرْكِ ٱلْمَعَاصِي .

ـ وَقِسْمٌ فِي مُخَالَطَةِ ٱلْخَلْقِ .

وَهِيَ جَامِعَةٌ لِجُمَلِ مُعَامَلَةِ ٱلْعَبْدِ مَعَ ٱلْخَالِقِ وَٱلْخَلْقِ .

فَإِنْ رَأَيْتَهَا مُنَاسِبَةً لِنَفْسِكَ ، وَرَأَيْتَ قَلْبَكَ مَائِلاً إِلَيْهَا ، رَاغِباً فِي ٱلْعَمَلِ بِهَا . . فَٱعْلَمْ أَنَّكَ عَبْدٌ نَوَّرَ ٱللهُ بِٱلْإِيمَانِ قَلْبَكَ ، وَشَرَحَ لَهُ صَدْرَكَ .

❁ ❁ ❁

وَتَحَقَّقْ : أَنَّ لِهَـٰذِهِ ٱلْبِدَايَةِ نِهَايَةً ، وَوَرَاءَهَا أَسْرَارٌ وَأَغْوَارٌ وَعُلُومٌ وَمُكَاشَفَاتٌ ، وَقَدْ أَوْدَعْنَاهَا كِتَابَ « إِحْيَاءِ عُلُومِ ٱلدِّينِ » ، فَٱشْتَغِلْ بِتَحْصِيلِهِ .

وَإِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَسْتَثْقِلُ ٱلْعَمَلَ بِهَـٰذِهِ ٱلْوَظَائِفِ ، وَتَسْتَكْثِرُ هَـٰذَا ٱلْقَدْرَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ، وَتَقُولُ لَكَ : أَنَّىٰ يَنْفَعُكَ هَـٰذَا ٱلْعِلْمُ فِي مَحَافِلِ ٱلْعُلَمَاءِ ؟! وَمَتَىٰ يُقَدِّمُكَ هَـٰذَا عَلَى ٱلْأَقْرَانِ وَٱلنُّظَرَاءِ ؟!

وَكَيْفَ يَرْفَعُ مَنْصِبَكَ فِي مَجَالِسِ ٱلْأُمَرَاءِ وَٱلْوُزَرَاءِ ؟! وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُوصِلَكَ إِلَى ٱلصِّلَةِ وَٱلْأَرْزَاقِ وَوِلَايَةِ ٱلْأَوْقَافِ وَٱلْقَضَاءِ . . فَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ أَغْوَاكَ وَأَنْسَاكَ مُنقَلَبَكَ وَمَثْوَاكَ .

فَٱطْلُبْ شَيْطَاناً مِثْلَكَ لِيُعَلِّمَكَ مَا تَظُنُّ أَنَّهُ يُوصِلُكَ إِلَىٰ بُغْيَتِكَ .

ثُمَّ ٱعْلَمْ : أَنَّهُ قَطُّ لَا يَصْفُو لَكَ ٱلْمُلْكُ فِي مَحَلَّتِكَ ، فَضْلاً عَنْ قَرْيَتِكَ أَوْ بَلَدِكَ ، ثُمَّ يَفُوتُكَ بِهِ ٱلْمُلْكُ ٱلْمُقِيمُ وَٱلنَّعِيمُ ٱلدَّائِمُ فِي جِوَارِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

وهو حسبنا ونعم الوكيل

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

عقيدة الإمام الغزالي

وهي ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة
التي هي إحدى مباني الإسلام

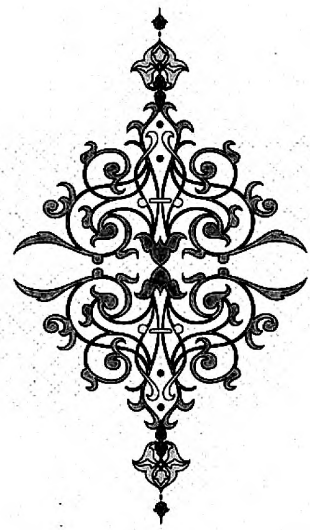

الإلهيات (١)

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمُبْدِئِ ٱلْمُعِيدِ ، ٱلْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ ، ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ ، وَٱلْبَطْشِ ٱلشَّدِيدِ ، ٱلْهَادِي صَفْوَةَ ٱلْعَبِيدِ ، إِلَى ٱلْمَنْهَجِ ٱلرَّشِيدِ ، وَٱلْمَسْلَكِ ٱلسَّدِيدِ ، ٱلْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ شَهَادَةِ ٱلتَّوْحِيدِ ، بِحِرَاسَةِ عَقَائِدِهِمْ عَنْ ظُلُمَاتِ ٱلتَّشْكِيكِ وَٱلتَّرْدِيدِ ، ٱلسَّائِقِ لَهُمْ إِلَى ٱتِّبَاعِ رَسُولِهِ ٱلْمُصْطَفَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً وَٱقْتِفَاءِ آثَارِ صَحْبِهِ ٱلْأَكْرَمِينَ ٱلْمُكْرَمِينَ بِٱلتَّأْيِيدِ وَٱلتَّسْدِيدِ ، ٱلْمُتَجَلِّي لَهُمْ فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَحَاسِنِ أَوْصَافِهِ ٱلَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، ٱلْمُعَرِّفِ إِيَّاهُمْ فِي ذَاتِهِ :

أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَرْدٌ لَا مِثْلَ لَهُ ، صَمَدٌ لَا ضِدَّ لَهُ ، مُنْفَرِدٌ لَا نِدَّ لَهُ .

وَأَنَّهُ وَاحِدٌ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَهُ ، أَزَلِيٌّ لَا بِدَايَةَ لَهُ ، مُسْتَمِرٌّ

---

(١) تمَّ إلحاقُ « عقيدة الإمام الغزالي » هنا نظراً لوجودها في المخطوطة (أ) لكونها أقرب إلىٰ عهد المؤلف ، وهي قد انفردت بإثبات « عقيدة الإمام » عن سائر المخطوطات ، علماً بأنَّ هٰذه العقيدة مثبتة أيضاً في كتابه القيم « إحياء علوم الدين » (١/٣٢٩) ، فآثرنا وضعها هنا لِمَا لها من أهمية ، ونفعاً للأمة ، والله الموفق .

ٱلْوُجُودِ لَا آخِرَ لَهُ ، أَبَدِيٌّ لَا نِهَايَةَ لَهُ ، قَيُّومٌ لَا ٱنْقِطَاعَ لَهُ ، دَائِمٌ لَا ٱنْصِرَامَ لَهُ ، لَمْ يَزَلْ ـ وَلَا يَزَالُ ـ مَوْصُوفاً بِنُعُوتِ ٱلْجَلَالِ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِ بِٱلِٱنْقِضَاءِ وَٱلِٱنْفِصَالِ ، بِتَصَرُّمِ ٱلْآبَادِ وَٱنْقِرَاضِ ٱلْآجَالِ ، بَلْ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ، وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

التَّنْزِيهُ

وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُصَوَّرٍ ، وَلَا جَوْهَرٍ مَحْدُودٍ مُقَدَّرٍ .

وَأَنَّهُ لَا يُمَاثِلُ ٱلْأَجْسَامَ ؛ لَا فِي ٱلتَّقْدِيرِ ، وَلَا فِي قَبُولِ ٱلِٱنْقِسَامِ .

وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ ، وَلَا تَحُلُّهُ ٱلْجَوَاهِرُ ، وَلَا بِعَرَضٍ ، وَلَا تَحُلُّهُ ٱلْأَعْرَاضُ ، بَلْ لَا يُمَاثِلُ مَوْجُوداً ، وَلَا يُمَاثِلُهُ مَوْجُودٌ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَلَا هُوَ مِثْلَ شَيْءٍ .

وَأَنَّهُ لَا يَحُدُّهُ ٱلْمِقْدَارُ ، وَلَا تَحْوِيهِ ٱلْأَقْطَارُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْجِهَاتُ ، وَلَا تَكْتَنِفُهُ ٱلْأَرَضُونَ وَٱلسَّمَاوَاتُ .

الِٱسْتِوَاءُ

وَأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى ٱلْعَرْشِ ـ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي قَالَهُ ، وَبِٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي أَرَادَهُ ـ ٱسْتِوَاءً مُنَزَّهاً عَنِ ٱلْمُمَاسَّةِ وَٱلِٱسْتِقْرَارِ ، وَٱلتَّمَكُّنِ وَٱلْحُلُولِ وَٱلِٱنْتِقَالِ .

لَا يَحْمِلُهُ ٱلْعَرْشُ ، بَلِ ٱلْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ مَحْمُولُونَ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَمَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ .

وَهُوَ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ وَٱلسَّمَاءِ ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَىٰ تُخُومِ ٱلثَّرَىٰ ؛ فَوْقِيَّةً لَا تَزِيدُهُ قُرْباً إِلَى ٱلْعَرْشِ وَٱلسَّمَاءِ ، كَمَا لَا تَزِيدُهُ بُعْداً عَنِ ٱلْأَرْضِ وَٱلثَّرَىٰ ، بَلْ هُوَ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ عَنِ ٱلْعَرْشِ ، كَمَا أَنَّهُ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ عَنِ ٱلثَّرَىٰ .

وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْعَبْدِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؛ **إِذْ لَا يُمَاثِلُ قُرْبُهُ قُرْبَ ٱلْأَجْسَامِ ، كَمَا لَا تُمَاثِلُ ذَاتُهُ ذَاتَ ٱلْأَجْسَامِ .**

وَأَنَّهُ لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ ، وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ ، تَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ ، كَمَا تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ ، بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ ٱلزَّمَانَ وَٱلْمَكَانَ ، وَهُوَ ٱلْآنَ عَلَىٰ مَا عَلَيْهِ كَانَ .

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ بَائِنٌ عَنْ خَلْقِهِ بِصِفَاتِهِ ، لَيْسَ فِي ذَاتِهِ سِوَاهُ ، وَلَا فِي سِوَاهُ ذَاتُهُ .

وَأَنَّهُ مُقَدَّسٌ عَنِ ٱلتَّغَيُّرِ وَٱلِٱنْتِقَالِ ، لَا تَحُلُّهُ ٱلْحَوَادِثُ وَلَا تَعْتَرِيهِ ٱلْعَوَارِضُ ، بَلْ لَمْ يَزَلْ فِي نُعُوتِ جَلَالِهِ مُنَزَّهاً عَنِ ٱلزَّوَالِ ، وَفِي صِفَاتِ كَمَالِهِ مُسْتَغْنِياً عَنْ زِيَادَةِ ٱلِٱسْتِكْمَالِ .

وَأَنَّهُ فِي ذَاتِهِ مَعْلُومُ ٱلْوُجُودِ بِٱلْعُقُولِ ، كَمَا أَنَّهُ مَرْئِيُّ ٱلذَّاتِ بِٱلْأَبْصَارِ ؛ نِعْمَةً مِنْهُ وَمِنَّةً وَلُطْفاً بِٱلْأَبْرَارِ فِي دَارِ ٱلْقَرَارِ ، وَإِتْمَاماً لِلنَّعِيمِ بِٱلنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ .

القُدْرَة

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ حَيٌّ قَادِرٌ جَبَّارٌ قَاهِرٌ ، لَا يَعْتَرِيهِ قُصُورٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، وَلَا يُعَارِضُهُ فَنَاءٌ وَلَا مَوْتٌ .

وَأَنَّهُ ذُو ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ وَٱلْقُدْرَةِ وَٱلْجَبَرُوتِ ، لَهُ ٱلسُّلْطَانُ وَٱلْقَهْرُ وَٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ، وَٱلسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، وَٱلْخَلَائِقُ مَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ .

وَأَنَّهُ ٱلْمُنْفَرِدُ بِٱلْخَلْقِ وَٱلِاخْتِرَاعِ ، وَٱلْمُتَوَحِّدُ بِٱلْإِيجَادِ وَٱلْإِبْدَاعِ ، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ ، لَا يَشِذُّ عَنْ قَبْضَتِهِ مَقْدُورٌ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ تَصَارِيفُ ٱلْأُمُورِ ، لَا تُحْصَىٰ مَعْلُومَاتُهُ ، وَلَا تَتَنَاهَىٰ مَقْدُورَاتُهُ .

العِلْمُ

وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ ٱلْمَعْلُومَاتِ ، مُحِيطٌ بِمَا يَجْرِي مِنْ تُخُومِ ٱلْأَرْضِ إِلَىٰ أَعْلَى ٱلسَّمَاوَاتِ ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ، بَلْ يَعْلَمُ دَبِيبَ ٱلنَّمْلَةِ ٱلسَّوْدَاءِ عَلَى ٱلصَّخْرَةِ ٱلصَّمَّاءِ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ ، وَيُدْرِكُ حَرَكَةَ ٱلذَّرِّ فِي جَوِّ ٱلْهَوَاءِ ، وَيَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَىٰ ، وَيَطَّلِعُ عَلَىٰ هَوَاجِسِ ٱلضَّمَائِرِ ، وَحَرَكَاتِ ٱلْخَوَاطِرِ وَخَفِيَّاتِ ٱلسَّرَائِرِ ؛ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ ، لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفاً بِهِ فِي أَزَلِ ٱلْآزَالِ ، لَا بِعِلْمٍ مُتَجَدِّدٍ حَاصِلٍ فِي ذَاتِهِ بِٱلْحُلُولِ وَٱلِانْتِقَالِ .

الإرادة

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ ، مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ ؛ فَلَا يَجْرِي فِي ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ : قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ ، خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ ، نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ ، إِيمَانٌ أَوْ كُفْرٌ ، عِرْفَانٌ أَوْ نُكْرٌ ، فَوْزٌ أَوْ خُسْرَانٌ ، زِيَادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ ، طَاعَةٌ أَوْ عِصْيَانٌ . . إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَحُكْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ ؛ فَمَا شَاءَ . . كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ . . لَمْ يَكُنْ .

لَا يَخْرُجُ عَنْ مَشِيئَتِهِ لَفْتَةُ نَاظِرٍ وَلَا فَلْتَةُ خَاطِرٍ ، بَلْ هُوَ ٱلْمُبْدِئُ ٱلْمُعِيدُ ، ٱلْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ ، وَلَا مُعَقِّبَ لِقَضَائِهِ ، وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ فَلَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ أَنْ يُحَرِّكُوا فِي ٱلْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يُسْكِنُوهَا دُونَ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ . . لَعَجَزُوا عَنْهُ .

وَأَنَّ إِرَادَتَهُ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ فِي جُمْلَةِ صِفَاتِهِ ، لَمْ يَزَلْ كَذَٰلِكَ مَوْصُوفاً بِهَا ، مُرِيداً فِي أَزَلِهِ لِوُجُودِ ٱلْأَشْيَاءِ فِي أَوْقَاتِهَا ٱلَّتِي قَدَّرَهَا ، فَوُجِدَتْ كَمَا أَرَادَهَا فِي أَزَلِهِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ ، بَلْ وَقَعَتْ عَلَىٰ وَفْقِ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَبَدُّلٍ وَلَا تَغَيُّرٍ ، دَبَّرَ ٱلْأُمُورَ لَا بِتَرْتِيبِ أَفْكَارٍ وَلَا تَرَبُّصِ زَمَانٍ ؛ فَلِذَٰلِكَ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ .

السمع والبصر

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، يَسْمَعُ وَيَرَىٰ ، لَا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ

مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِيَ ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَتِهِ مَرْئِيٌّ وَإِنْ دَقَّ ، وَلَا يَحْجُبُ سَمْعَهُ بُعْدٌ ، وَلَا يَدْفَعُ رُؤْيَتَهُ ظَلَامٌ .

يَرَىٰ مِنْ غَيْرِ حَدَقَةٍ وَأَجْفَانٍ ، وَيَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ أَصْمِخَةٍ وَآذَانٍ ، كَمَا يَعْلَمُ بِغَيْرِ قَلْبٍ ، وَيَبْطِشُ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ ، وَيَخْلُقُ بِغَيْرِ آلَةٍ ؛ إِذْ لَا تُشْبِهُ صِفَاتُهُ صِفَاتِ ٱلْخَلْقِ ، كَمَا لَا تُشْبِهُ ذَاتُهُ ذَاتَ ٱلْخَلْقِ .

الْكَلَامُ

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ مُتَكَلِّمٌ آمِرٌ نَاهٍ وَاعِدٌ مُتَوَعِّدٌ ؛ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ قَائِمٍ بِذَاتِهِ ، لَا يُشْبِهُ كَلَامَ ٱلْخَلْقِ ، وَلَيْسَ بِصَوْتٍ يَحْدُثُ مِنْ بَيْنِ ٱنْسِلَالِ هَوَاءٍ وَٱصْطِكَاكِ أَجْرَامٍ ، وَلَا بِحَرْفٍ يَنْقَطِعُ بِإِطْبَاقِ شَفَةٍ أَوْ تَحْرِيكِ لِسَانٍ .

وَأَنَّ ٱلْقُرْآنَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَٱلزَّبُورَ . . كُتُبُهُ ٱلْمُنَزَّلَةُ عَلَىٰ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ .

وَأَنَّ ٱلْقُرْآنَ مَقْرُوءٌ بِٱلْأَلْسِنَةِ ، مَكْتُوبٌ فِي ٱلْمَصَاحِفِ ، مَحْفُوظٌ فِي ٱلْقُلُوبِ ، وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، لَا يَقْبَلُ ٱلْإِنْفِصَالَ وَٱلِافْتِرَاقَ بِٱلِانْتِقَالِ إِلَى ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَوْرَاقِ .

وَأَنَّ مُوسَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ كَلَامَ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ صَوْتٍ وَلَا حَرْفٍ ؛ كَمَا يَرَى ٱلْأَبْرَارُ ذَاتَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ .

وَإِذَا كَانَتْ لَهُ هَـٰذِهِ ٱلصِّفَاتُ . . كَانَ حَيّاً عَالِماً قَادِراً مُرِيداً سَمِيعاً بَصِيراً مُتَكَلِّماً ؛ بِٱلْحَيَاةِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْقُدْرَةِ وَٱلْإِرَادَةِ وَٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ وَٱلْكَلَامِ ، لَا بِمُجَرَّدِ ٱلذَّاتِ .

الأفعال

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا مَوْجُودَ سِوَاهُ إِلَّا وَهُوَ حَادِثٌ بِفِعْلِهِ ، وَفَائِضٌ مِنْ عَدْلِهِ ، عَلَىٰ أَحْسَنِ ٱلْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ، وَأَتَمِّهَا وَأَعْدَلِهَا .

وَأَنَّهُ حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ ، عَادِلٌ فِي أَقْضِيَتِهِ ، وَلَا يُقَاسُ عَدْلُهُ بِعَدْلِ ٱلْعِبَادِ ؛ إِذِ ٱلْعَبْدُ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ٱلظُّلْمُ بِتَصَرُّفِهِ فِي مِلْكِ غَيْرِهِ ، وَٱللَّهُ لَا يُصَادِفُ لِغَيْرِهِ مِلْكاً حَتَّىٰ يَكُونَ تَصَرُّفُهُ فِيهِ ظُلْماً ، فَكُلُّ مَا سِوَاهُ ؛ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ ، وَمَلَكٍ وَشَيْطَانٍ ، وَسَمَاءٍ وَأَرْضٍ ، وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ ، وَجَوْهَرٍ وَعَرَضٍ ، وَمُدْرَكٍ وَمَحْسُوسٍ . . حَادِثٌ ٱخْتَرَعَهُ بَعْدَ ٱلْعَدَمِ ٱخْتِرَاعاً ، وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً ؛ إِذْ كَانَ فِي ٱلْأَزَلِ مَوْجُوداً وَحْدَهُ ـ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ ـ فَأَحْدَثَ ٱلْخَلْقَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ؛ إِظْهَاراً لِقُدْرَتِهِ ، وَتَحْقِيقاً لِمَا سَبَقَ مِنْ إِرَادَتِهِ ، وَلِمَا حَقَّ فِي ٱلْأَزَلِ مِنَ كَلِمَتِهِ ، لَا لِٱفْتِقَارِهِ إِلَيْهِ وَحَاجَتِهِ .

وَأَنَّهُ مُتَفَضِّلٌ بِٱلْخَلْقِ وَٱلِٱخْتِرَاعِ وَٱلتَّكْلِيفِ لَا عَنْ وُجُوبٍ عَلَيْهِ ، وَمُتَطَوِّلٌ بِٱلْإِنْعَامِ وَٱلْإِصْلَاحِ لَا عَنْ لُزُومٍ .

فَلَهُ ٱلْفَضْلُ وَٱلْإِحْسَانُ وَٱلنِّعْمَةُ وَٱلِٱمْتِنَانُ ؛ إِذْ كَانَ قَادِراً عَلَىٰ أَنْ يَصُبَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْوَاعَ ٱلْعَذَابِ ، وَيَبْتَلِيَهُمْ بِضُرُوبِ ٱلْآلَامِ

وَٱلْأَوْصَابِ ، وَلَوْ فَعَلَ ذَٰلِكَ . . لَكَانَ مِنْهُ عَدْلاً ، وَلَمْ يَكُنْ قَبِيحاً وَلَا ظُلْماً .

وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُ عِبَادَهُ عَلَى ٱلطَّاعَاتِ ؛ بِحُكْمِ ٱلْكَرَمِ وَٱلْوَعْدِ ، لَا بِحُكْمِ ٱلِٱسْتِحْقَاقِ وَٱللُّزُومِ لَهُ ؛ إِذْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ حَقٌّ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ظُلْمٌ ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ حَقٌّ .

وَأَنَّ حَقَّهُ فِي ٱلطَّاعَاتِ وَجَبَ عَلَى ٱلْخَلْقِ بِإِيجَابِهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، لَا بِمُجَرَّدِ ٱلْعَقْلِ ، وَلَٰكِنَّهُ بَعَثَ ٱلرُّسُلَ وَأَظْهَرَ صِدْقَهُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلظَّاهِرَةِ ، فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ ، فَوَجَبَ عَلَى ٱلْخَلْقِ تَصْدِيقُهُمْ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ .

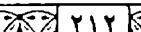

النّبوّات

مَعْنَى ٱلْكَلِمَةِ ٱلثَّانِيَةِ ؛ وَهِيَ : شَهَادَةُ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَأَنَّهُ بَعَثَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلْعَرَبِيَّ ٱلْقُرَشِيَّ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَتِهِ إِلَىٰ كَافَّةِ ٱلْعَرَبِ وَٱلْعَجَمِ ، وَٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ ؛ فَنَسَخَ بِشَرِيعَتِهِ ٱلشَّرَائِعَ إِلَّا مَا قَرَّرَ مِنْهَا .

وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَجَعَلَهُ سَيِّدَ ٱلْبَشَرِ ، وَمَنَعَ كَمَالَ ٱلْإِيمَانِ بِشَهَادَةِ ٱلتَّوْحِيدِ ؛ وَهُوَ قَوْلُكَ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) . . مَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا ٱلشَّهَادَةُ بِٱلرَّسُولِ ؛ وَهُوَ قَوْلُكَ : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) .

❋ ❋ ❋

السّمعيّات

وَأَلْزَمَ ٱلْخَلْقَ تَصْدِيقَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ فِي أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

وَأَنَّهُ لَا يَتَقَبَّلُ إِيمَانَ عَبْدٍ . . حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

وَأَوَّلُهُ : سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ؛ وَهُمَا : شَخْصَانِ مَهِيبَانِ هَائِلَانِ ، يُقْعِدَانِ ٱلْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيّاً ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ ؛ فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْإِيمَانِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَهُمَا فَتَّانَا ٱلْقَبْرِ ، وَسُؤَالُهُمَا أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

❁ ❁ ❁

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِعَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَحِكْمَةٌ وَعَدْلٌ عَلَى ٱلْجَسَدِ وَٱلرُّوحِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ .

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْمِيزَانِ ذِي ٱلْكِفَّتَيْنِ وَٱللِّسَانِ ؛ وَصِفَتُهُ فِي ٱلْعِظَمِ مِثْلُ طِبَاقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، تُوزَنُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ بِقُدْرَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱلصَّنْجُ يَوْمَئِذٍ : مَثَاقِيلُ ٱلذَّرِّ وَٱلْخَرْدَلِ ؛ تَحْقِيقاً لِتَمَامِ ٱلْعَدْلِ ، فَتُطْرَحُ صَحَائِفُ ٱلْحَسَنَاتِ فِي كِفَّةٍ مِنَ ٱلنُّورِ فَيَثْقُلُ بِهَا ٱلْمِيزَانُ عَلَىٰ قَدْرِ دَرَجَاتِهَا عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتُطْرَحُ صَحَائِفُ ٱلسَّيِّئَاتِ فِي كِفَّةِ ٱلظُّلْمَةِ فَيَخِفُّ بِهَا ٱلْمِيزَانُ بِعَدْلِ ٱللهِ .

❁ ❁ ❁

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلصِّرَاطِ وَهُوَ حَقٌّ ؛ وَهُوَ : جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ ، أَحَدُّ مِنَ ٱلسَّيْفِ ، وَأَدَقُّ مِنَ ٱلشَّعْرِ ، تَزِلُّ عَلَيْهِ أَقْدَامُ ٱلْكُفَّارِ بِحُكْمِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فَتَهْوِي بِهِمْ إِلَى ٱلنَّارِ ، وَتَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ ٱللهِ فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ دَارِ ٱلْقَرَارِ .

❁ ❁ ❁

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْحَوْضِ ٱلْمَوْرُودِ حَوْضِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَشْرَبُ مِنْهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ قَبْلَ دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ ، وَبَعْدَ جَوَازِ ٱلصِّرَاطِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً . . لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً ، عَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ ٱللَّبَنِ ، وَأَحْلَىٰ مِنَ ٱلْعَسَلِ ، حَوْلَهُ أَبَارِيقُ عَدَدَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ ، فِيهِ مِيزَابَانِ يَصُبَّانِ مِنَ ٱلْكَوْثَرِ .

❁ ❁ ❁

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْحِسَابِ ، وَتَفَاوُتِ ٱلْخَلْقِ فِيهِ إِلَىٰ مُنَاقَشٍ فِي ٱلْحِسَابِ ، وَإِلَىٰ مُسَامَحٍ فِيهِ ، وَإِلَىٰ مَنْ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛ وَهُمُ ٱلْمُقَرَّبُونَ .

فَيَسْأَلُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَنْ شَاءَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَبْلِيغِ ٱلرِّسَالَةِ ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ ٱلْكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ ٱلرُّسُلِ ، وَيَسْأَلُ ٱلْمُبْتَدِعَةَ عَنِ ٱلسُّنَّةِ ، وَيَسْأَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ عَنِ ٱلْأَعْمَالِ .

وَيُؤْمِنَ بِإِخْرَاجِ ٱلْمُوَحِّدِينَ مِنَ ٱلنَّارِ بَعْدَ ٱلِٱنْتِقَامِ ، حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مِنْهُمْ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ .

❁ ❁ ❁

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِشَفَاعَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ ٱلْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ ٱلشُّهَدَاءِ ، ثُمَّ سَائِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ؛ كُلٌّ عَلَىٰ حَسَبِ جَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ . . أُخْرِجَ بِفَضْلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَلَا يَخْلُدُ فِي ٱلنَّارِ مُؤْمِنٌ ، بَلْ يُخْرَجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ ٱلْإِيمَانِ .

❁ ❁ ❁

وَأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ ٱلصَّحَابَةِ عَلَىٰ تَرْتِيبِهِمْ ، وَأَنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ ، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَأَنْ يُحَسِّنَ ٱلظَّنَّ بِهِمْ وَبِجَمِيعِ ٱلصَّحَابَةِ بِجُمْلَتِهِمْ ، وَيُثْنِيَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَثْنَى ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ؛ فَكُلُّ ذَٰلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ ٱلْأَخْبَارُ ، وَشَهِدَتْ بِهِ ٱلْآثَارُ .

❁ ❁ ❁

فَمَنِ ٱعْتَقَدَ جَمِيعَ ذَٰلِكَ مُوقِناً بِهِ . . كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَقِّ وَعِصَابَةِ ٱلسُّنَّةِ ، وَفَارَقَ رَهْطَ ٱلضَّلَالَةِ وَحِزْبَ ٱلْبِدْعَةِ .

فَنَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَىٰ كَمَالَ ٱلْيَقِينِ ، وَالثَّبَاتَ عَلَى ٱلدِّينِ ، لَنَا وَلِكَافَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

في وجه التدريج والإرشاد في ترتيب درجات الاعتقاد

ٱعْلَمْ : أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَرْجَمَةِ ٱلْعَقِيدَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدَّمَ إِلَى ٱلصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ نُشُوئِهِ ؛ لِيَحْفَظَهُ حِفْظاً ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْكَشِفُ لَهُ مَعْنَاهُ فِي كِبَرِهِ شَيْئاً فَشَيْئاً .

فَٱبْتِدَاؤُهُ : ٱلْحِفْظُ ، ثُمَّ ٱلْفَهْمُ ، ثُمَّ ٱلِاعْتِقَادُ وَٱلْإِيقَانُ وَٱلتَّصْدِيقُ بِهِ ، وَذَٰلِكَ مِمَّا يُحَصَّلُ فِي ٱلصِّبَا بِغَيْرِ بُرْهَانٍ ؛ فَمِنْ فَضْلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ قَلْبِ ٱلْإِنْسَانِ . . شَرْحُهُ فِي أَوَّلِ نُشُوئِهِ لِلْإِيمَانِ ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَىٰ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ ، وَكَيْفَ يُنْكَرُ ذَٰلِكَ وَجَمِيعُ عَقَائِدِ ٱلْعَوَامِّ مَبَادِئُهَا ٱلتَّلْقِينُ ٱلْمُجَرَّدُ وَٱلتَّقْلِيدُ وَٱلتَّعْلِيمُ ٱلْمَحْضُ ؟!

نَعَمْ ؛ يَكُونُ ٱلِاعْتِقَادُ ٱلْحَاصِلُ بِمُجَرَّدِ ٱلتَّقْلِيدِ غَيْرَ خَالٍ عَنْ نَوْعٍ مِنَ ٱلضَّعْفِ فِي ٱلِابْتِدَاءِ ؛ عَلَىٰ مَعْنَىٰ : أَنَّهُ يَقْبَلُ ٱلْإِزَالَةَ بِنَقِيضِهِ لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ .

وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْوِيَتِهِ وَإِثْبَاتِهِ فِي نَفْسِ ٱلصَّبِيِّ وَٱلْعَامِّيِّ ؛ حَتَّىٰ يَتَرَسَّخَ وَلَا يَتَزَلْزَلَ ، وَلَيْسَ ٱلطَّرِيقُ فِي تَقْوِيَتِهِ أَنْ يُعَلَّمَ صَنْعَةَ ٱلْجَدَلِ وَٱلْكَلَامِ ، بَلْ يَشْتَغِلُ بِتِلَاوَةِ ٱلْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ ، وَقِرَاءَةِ ٱلْحَدِيثِ وَمَعَانِيهِ ، وَيَشْتَغِلُ بِوَظَائِفِ ٱلْعِبَادَاتِ .

فَلَا يَزَالُ ٱعْتِقَادُهُ يَزْدَادُ رُسُوخاً ؛ بِمَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ مِنْ أَدِلَّةِ ٱلْقُرْآنِ وَحُجَجِهِ ، وَبِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْأَحَادِيثِ وَفَوَائِدِهَا ، وَبِمَا يَسْطَعُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ ٱلْعِبَادَاتِ وَوَظَائِفِهَا ، وَبِمَا يَسْرِي إِلَيْهِ مِنْ مُشَاهَدَةِ ٱلصَّالِحِينَ وَمُجَالَسَتِهِمْ ، وَسِيمَاهُمْ وَسَمَاعِهِمْ ، وَهَيْئَاتِهِمْ فِي ٱلْخُضُوعِ لِلّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَٱلْخَوْفِ مِنْهُ وَٱلِٱسْتِكَانَةِ لَهُ ؛ لِيَكُونَ أَوَّلَ ٱلتَّلْقِينِ كَٱلْقَاءِ بَذْرٍ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَتَكُونَ هَـٰذِهِ ٱلْأَسْبَابُ كَٱلسَّقْيِ وَٱلتَّرْبِيَةِ لَهُ ؛ حَتَّىٰ يَنْمُوَ ذَٰلِكَ ٱلْبَذْرُ وَيَقْوَىٰ وَيَكُونَ شَجَرَةً طَيِّبَةً رَاسِخَةً ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ ٱلصَّبِيُّ إِذَا وَقَعَ نُشُوءُهُ عَلَىٰ هَـٰذِهِ ٱلْعَقِيدَةِ :

فَإِنِ ٱشْتَغَلَ بِكَسْبِ ٱلدُّنْيَا . . لَمْ يَنْفَتِحْ لَهُ غَيْرُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يَسْلَمُ فِي ٱلْآخِرَةِ بِٱعْتِقَادِ ٱلْحَقِّ ؛ إِذْ لَمْ يُكَلِّفِ ٱلشَّرْعُ أَجْلَافَ ٱلْعَرَبِ أَكْثَرَ مِنَ ٱلتَّصْدِيقِ وَٱلْجَزْمِ بِظَاهِرِ هَـٰذِهِ ٱلْعَقِيدَةِ ، وَأَمَّا ٱلْبَحْثُ وَٱلتَّفْتِيشُ وَتَكَلُّفُ نُظُمِ ٱلْأَدِلَّةِ . . فَلَمْ يُكَلَّفُوا ذَٰلِكَ أَصْلاً .

وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَالِكِي طَرِيقِ ٱلْآخِرَةِ وَسَاعَدَهُ ٱلتَّوْفِيقُ حَتَّى ٱشْتَغَلَ بِٱلْعَمَلِ وَلَازَمَ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ، وَٱشْتَغَلَ بِٱلرِّيَاضَةِ وَٱلْمُجَاهَدَةِ . . ٱنْفَتَحَ لَهُ أَبْوَابٌ مِنَ ٱلْهِدَايَةِ تَكْشِفُ عَنْ حَقَائِقِ هَـٰذِهِ ٱلْعَقِيدَةِ بِنُورٍ إِلَهِيٍّ يُقْذَفُ فِي قَلْبِهِ ؛ وَذَٰلِكَ بِسَبَبِ ٱلْمُجَاهَدَةِ تَحْقِيقاً لِوَعْدِهِ تَعَالَىٰ إِذْ قَالَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وَهُوَ ٱلْجَوْهَرُ ٱلنَّفِيسُ ٱلَّذِي هُوَ غَايَةُ ٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلْمُقَرَّبِينَ ، وَإِلَيْهِ ٱلْإِشَارَةُ بِٱلسِّرِّ ٱلَّذِي وَقَرَ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ فَضَلَ بِهِ ٱلْخَلْقَ .

وَٱنْكِشَافُ ذَٰلِكَ ٱلسِّرِّ ـ بَلْ تِلْكَ ٱلْأَسْرَارِ ـ لَهُ دَرَجَاتٌ بِحَسَبِ دَرَجَاتِ ٱلْمُجَاهَدَةِ وَدَرَجَاتِ ٱلْبَاطِنِ فِي ٱلنَّظَافَةِ وَٱلطَّهَارَةِ عَمَّا سِوَى ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ، وَفِي ٱلِٱسْتِضَاءَةِ بِنُورِ ٱلْيَقِينِ ؛ وَذَٰلِكَ كَتَفَاوُتِ ٱلْخَلْقِ فِي أَسْرَارِ ٱلطِّبِّ وَٱلْفِقْهِ وَسَائِرِ ٱلْعُلُومِ ؛ إِذْ تَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ ٱلِٱجْتِهَادِ وَٱخْتِلَافِ ٱلْفِطْرَةِ فِي ٱلذَّكَاءِ وَٱلْفِطْنَةِ ، وَكَمَا لَا تَنْحَصِرُ تِلْكَ ٱلدَّرَجَاتُ . . فَكَذَٰلِكَ هَٰذِهِ .

خواتيم النسخ الخطية

خاتمة النسخة (أ)

ووافق الفراغُ من نسخه : يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الآخر ، سنة ست وتسعين وخمس مئة ، والحمد لله علىٰ إحسانه .

كتبه العبد الفقير إلىٰ رحمة الله : عبدُ العزيز بن هبة الله بن عساكر القيسرانيُّ ، حامداً الله ومصلياً علىٰ نبيه محمد وآله ومسلماً .

خاتمة النسخة (ب)

تمَّ « **بداية الهداية** » بعون الله وحسن توفيقه ، والحمد لله ربِّ العالمين .

وجاء في خاتمة المجموع للنسخة (ب) : (**قد وقع الفراغُ في استنساخ هٰذا الكتاب الشريف** في يوم الأحد من شهر جمادى الأول ، في زمان سليم كراي خان بن بهادر كراي خان ، خلَّد الله دولته ، سنة سبع وثمانين وألف من الهجرة النبوية للنبيِّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم) .

خاتمة النسخة (د)

تمَّ كتابُ « **بداية الهداية** » بحمد الله ولطفه وحسن توفيقه ،

بتاريخ يوم الأحد الرابع عشر في رمضان ، سنة ثلاث وتسع مئة من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

بخطِّ الفقير إلىٰ كرم الله اللطيف الخبير ، المعترفِ بالذنب والتقصير : **عبدِ الله بن أبي بكر** المكنىٰ بـ (دَوعني) لطف الله به وغفر له ولوالديه ، وللناظر في الكتاب وصاحبه وقارئه ومستمعه ، والداعي للجميع بخيرٍ بمنِّه وكرمه ، إنَّه هو الغفور الرحيم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بلغَ مقابلةً يوم الاثنين حادي عشر رجبٍ الأصبِّ في الرابع بعد تسع مئة من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

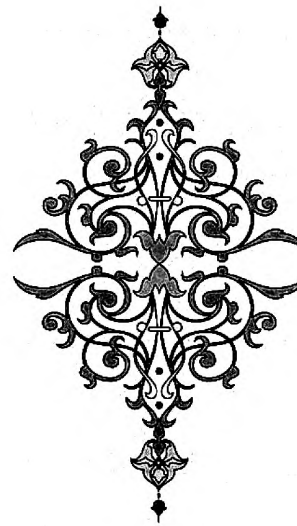

أهمّ مصادر ومراجع التّحقيق (١)

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للزبيدي ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها) ، لابن حبان ؛ الإمام الحافظ المجود الرحلة أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، بترتيب الإمام الحافظ الأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي المصري الحنفي (ت ٧٣٩ هـ) ، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- إحياء علوم الدين ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- آداب الصحبة ، للسلمي ؛ إمام الصوفية وصاحب تاريخها الحافظ أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، مصر .

---

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

- آداب المريدين ، **للسهروردي** ؛ الإمام الفقيه الصوفي الأستاذ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري السهروردي البغدادي الشافعي (ت ٥٦٣ هـ) ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار الوطن العربي ، القاهرة ، مصر .
- أدب الدين والدنيا ، **للماوردي** ؛ الإمام الفقيه الأصولي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- الأدب المفرد ، **للبخاري** ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ٤ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، نسخة مصورة لدىٰ دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، بيروت ، لبنان .
- الأذكار من كلام سيد الأبرار (حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار) ، **للنووي** ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ٨ ، (١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٨ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- الأربعين الطوسية من الأحاديث النبوية ، **للطوسي** ؛ للإمام الحافظ المحدث أبي الحسن محمد بن أسلم بن سالم الخراساني الطوسي (ت ٢٤٢ هـ) ، تحقيق عبد الهادي الخرسة ومحمد خالد الخرسة ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، نشره المحققان ، دمشق ، سورية .
- الأمالي ، **لابن سمعون** ؛ الإمام المحدث الواعظ أبي الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن سمعون البغدادي الحنبلي (ت ٣٨٧ هـ) ، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

- البركة في فضل السعي والحركة ، **للحبيشي** ؛ الإمام الفقيه الأديب المشارك جمال الدين أبي عمر محمد بن عبد الرحمٰن بن عمر الحبيشي الوصابي اليمني الشافعي (ت ٧٨٢ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- البصائر والذخائر ، **للتوحيدي** ؛ فيلسوف الأدباء المتكلم الموسوعي أبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي (ت ٤١٤ هـ) ، تحقيق الدكتورة وَداد بنت عفيف القاضي ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- بغية المسترشدين في تلخيص فتاوىٰ بعض الأئمة من المتأخرين مع ضم فوائد جمة من كتب شتىٰ للعلماء المجتهدين ، **للمشهور** ؛ الإمام الفقيه مفتي الديار الحضرمية الشريف عبد الرحمٰن بن محمد بن حسين المشهور باعلوي الحسيني الحضرمي الشافعي (ت ١٣٢٠ هـ) ، وعليه حاشية العلامة الفقيه الحبيب أحمد بن عمر الشاطري (ت ١٣٦٠ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٨ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، **لابن عبد البر** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، **لابن عساكر** ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، **لابن حجر الهيتمي** ؛ الإمام المجتهد

الفقيه شيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر السلمنتي الهيتمي السعدي المكي الشافعي (ت ٩٧٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٥ هـ ، ١٨٩٥ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذٰلك ، لابن شاهين ؛ الإمام الحافظ الثقة الواعظ أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين البغدادي (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق صالح أحمد مصلح الوعيل ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، السعودية .
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، للمنذري ؛ الإمام الحافظ الفقيه المؤرخ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري المصري الشافعي (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محيي الدين مستو وسمير العطار ويوسف بديوي ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، للطبري ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، عني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، بيروت ، لبنان . عمان ، الأردن .
- التلخيص الحبير (التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز) ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، عني به الدكتور محمد الثاني موسىٰ ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار أضواء السلف ، الرياض ، السعودية .
- التوبة ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، ط ١ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، مصر .

- الجامع لشعب الإيمان ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، **للمعافى** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأديب أبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى النهرواني الجريري الشافعي (ت ٣٩٠ هـ) ، الدكتور محمد مرسي الخولي (ت ١٤٠٢ هـ) والدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، **لأبي نعيم الأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، **للبغدادي** ؛ الإمام الأديب النحوي اللغوي عبد القادر بن عمر بن بايزيد البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .
- الخلاصة ، المسمىٰ : « خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر » ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به الدكتور أمجد رشيد محمد علي ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- ديوان ابن الرومي ، **لابن الرومي** ؛ الشاعر العباسي الكبير أبي الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي البغدادي (ت ٢٨٣ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، ط ٣ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .

- ديوان الأعشى الكبير ، للأعشى ؛ للشاعر الجاهلي صاحب المعلقة أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى الكبير (ت ٧ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود إبراهيم محمد الرضواني ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، قطر .
- ديوان الإمام الحداد (الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم) ، للحداد ؛ الإمام الكبير المجدد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد الحسيني الحضرمي الشافعي (ت ١١٣٢ هـ) ، بعناية الشريف عبد القادر جيلاني بن سالم خرد الحضرمي الحسيني ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار السنابل ودار الحاوي ، دمشق ، سورية ـ بيروت ، لبنان .
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (أنوار العقول لوصي الرسول صلى الله عليه وسلم) ، لسيدنا علي رضي الله عنه ؛ أمير المؤمنين وأحد المبشرين بالجنة علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد همو ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- ذيل تاريخ بغداد ، لابن النجار ؛ الإمام الحافظ المؤرخ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن حسن ابن النجار البغدادي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، للندوي ؛ أبي الحسن علي الحسني الندوي (ت ١٤٢٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .
- روضة العقلاء ، لابن حبان ؛ الإمام الحافظ المجود الرحلة أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق عبد العليم محمد الدرويش ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سورية .
- رياض الأنس للمذكرين ، للمطوعي ؛ الإمام الواعظ العارف بالله أبي سعيد

الحسن بن علي بن محمد المطوعي النيسابوري (ت ؟) ، مخطوطة مصورة رقم ، (١٢١٠) ، مكتبة الأوقاف (الشرفية) ، حلب ، سورية .

- الزهد والرقائق برواية المروزي مع زيادات رواية نعيم بن حماد عليه ، لابن المبارك ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي (ت ١٨١ هـ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة الهند لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الزهد ، لهناد الدارمي ؛ الإمام الحافظ الثقة الزاهد أبي السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

- سنن ابن ماجه ، لابن ماجه ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدىٰ دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن أبي داوود ، لأبي داوود ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، للترمذي ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- سنن الدارقطني ، **للدارقطني** ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني البغدادي الشافعي (ت ٣٨٥ هـ) ، عني به عبد الله هاشم يماني ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٦ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- السنن الكبرىٰ ، **للنسائي** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- السنن الكبير ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر .
- سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، **للذهبي** ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، **لابن العماد** ؛ الإمام الفقيه الأديب المؤرخ شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الدمشقي الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ، تحقيق محمود الأرنؤوط ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .
- شرح صحيح مسلم (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) ، **للنووي** ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٩ هـ ، ١٩٣٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة البهية لدىٰ مكتبة الغزالي ، دمشق ، سورية .

- شفاء الأشواق بحكم ما يكثر بيعه في الأسواق ، للسمهودي ؛ الإمام الفقيه المؤرخ الحجة الشريف نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي الحسني الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، مخطوطة مصورة رقم : (٢٧٦٢) ، جامعة الرياض ، الرياض ، السعودية .
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) « الطبعة السلطانية اليونينية » ، للبخاري ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار طوق النجاة ودار المنهاج ، بيروت ، لبنان . جدة ، السعودية .
- صحيح مسلم (الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لمسلم ؛ حافظ الدنيا المجود الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .
- الصمت وآداب اللسان ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق نجم عبد الرحمٰن خلف ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- طبقات الشافعية الكبرىٰ ، للتاج السبكي ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

- العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب ، **للمزجد** ؛ الإمام الفقيه المحقق القاضي صفي الدين أبي السرور أحمد بن عمر بن محمد المزجد المذحجي الزبيدي الشافعي (ت ٩٣٠ هـ) ، عني به مهند تيسير خذها ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- العزيز شرح الوجيز (الشرح الكبير) ، **للرافعي** ؛ الإمام الفقيه عالم العرب والعجم وشيخ الشافعية إمام الدين أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) ، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- العقد الفريد ، **لابن عبد ربه** ؛ الإمام الأديب شاعر الأندلس شهاب الدين أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأموي القرطبي (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق الأديب أحمد أمين (ت ١٣٧٣ هـ) والأديب أحمد الزين (ت ١٣٦٦ هـ) والعلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر .
- عوارف المعارف ، **للسهروردي** ؛ الإمام المحدث شيخ الصوفية شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي القرشي البغدادي الشافعي (ت ٦٣٢ هـ) ، تحقيق أديب الكمداني ومحمد محمود المصطفى ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، السعودية .
- العوالي ، **للإمام مالك** ؛ عالم المدينة وإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن نافع الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، بروايات الأئمة (هشام بن عمار ، الحاكم الكبير ، سليم الرازي ، أبي بكر الخطيب ، أبي اليمن الكندي ، عمر بن الحاجب) ، تحقيق محمد الحاج الناصر ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- عيون الأخبار ، **لابن قتيبة الدينوري** ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق ثلة من أهل العلم ، ط ١ ، (١٣٤٣ هـ ، ١٩٣٠ م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

- فتاوى ابن زياد (الأنوار المشرقة في الفتاوى المحققة) ، **لابن زياد** ؛ الإمام الفقيه المفتي أبي الضياء عبد الرحمٰن بن عبد الكريم ابن زياد الغيثي المقصري الشافعي (ت ٩٧٥ هـ) ، مخطوطة مصورة رقم : (١٥٩٨) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .
- الفردوس بمأثور الخطاب ، **للديلمي** ؛ الإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- قانون التأويل ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به محمود بيجو ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، نشره محققه ، دمشق ، سورية .
- قصر الأمل ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد ، **لأبي طالب المكي** ؛ الإمام الفقيه شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي الشافعي (ت ٣٨٦ هـ) ، بعناية العلامة محمد الزهري الغمراوي (ت بعد ١٣٦٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٠ هـ ، ١٨٩٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس ، **للعجلوني** ؛ محدث الشام العلامة المفسر أبي الفداء إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- الكفاية في شرح بداية الهداية ، **للفاكهي** ؛ الإمام الفقيه المشارك الزاهد زين الدين عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الشافعي (ت ٩٨٢ هـ) ، ط ١ ، (١٢٩٦ هـ ، ١٨٧٦ م) ، صورة عن طبعة مطبعة الوهبية ، القاهرة ، مصر .
- المجروحين من المحدثين ، **لابن حبان** ؛ الإمام الحافظ المجود الرحلة أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الصميعي ، الرياض ، السعودية .
- المستدرك على الصحيحين ، **للحاكم** ؛ الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم الطهماني النيسابوري الشافعي (ت ٤٠٥ هـ) ، وبهامشه تعليقات الأئمة : البيهقي والذهبي وابن الملقن وابن حجر العسقلاني ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار الميمان ، الرياض ، السعودية .
- مسند أبي داوود الطيالسي ، **للطيالسي** ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي داوود سليمان بن داوود بن الجارود الطيالسي الفارسي البصري (ت ٢٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٢١ هـ ، ١٩٠٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، **لابن حنبل** ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- مسند البزار (البحر الزخار) ، **للبزار** ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمٰن زين الله (ت ١٤١٨ هـ) وعادل سعد وصبري عبد الخالق ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية .

ـ مسند الشهاب (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب) ، **للقضاعي** ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الشافعي (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

ـ مصابيح السنة ، **للبغوي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمٰن مرعشلي ومحمد سليم إبراهيم سمارة وجمال حمدي الذهبي ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ـ المصنف ، **لابن أبي شيبة** ؛ الإمام العلم سيد الحفاظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ المعجم الأوسط ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .

ـ المعجم الصغير ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ المعجم الكبير ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- مناقب الشافعي ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق العلامة السيد أحمد صقر (ت ١٤١٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .
- المنقذ من الضلال ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- الموطأ ، **لمالك بن أنس** ؛ عالم المدينة وإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن نافع الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧١ هـ ، ١٩٥١ م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .
- الوافي بالوفيات ، **للصفدي** ؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكي الصفدي الدمشقي الشافعي (ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ٢ ، (١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢ م) ، دار فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ألمانيا .
- الوجيز في فقه الإمام الشافعي ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، تحقيق سيد عبده أبو بكر سليم ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الرسالة ، القاهرة ، مصر .
- الوسيط في المذهب ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، تحقيق أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار السلام ، القاهرة ، مصر .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، **للواحدي** ؛ الإمام المفسر النحوي

الفقيه أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد صيرة والدكتور أحمد الجمل ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، **لابن خلكان** ؛ الإمام المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي الدمشقي الشافعي (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، **للثعالبي** ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

* * *

محتوى الكتاب

بين يدي الكتاب ١١

ترجمة الإمام الغزالي ١٨

وصف النسخ الخطية ٣٨

منهج العمل في الكتاب ٤٢

صور من المخطوطات المعتمدة ٤٥

بداية الهداية ٥٣

خطبة الكتاب ٥٥

ـ القسم الأول : في الطاعات ٦١

فصل في آداب الاستيقاظ من النوم ٦٥

باب آداب دخول الخلاء ٦٧

باب آداب الوضوء ٧٠

آداب الغسل من الجنابة ٧٧

آداب التيمّم ٧٩

آداب الخروج إلى المسجد ٨٠

آداب دخول المسجد إلىٰ طلوع الشمس ٨١

آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال ٩١

آداب الاستعداد لسائر الصلوات ٩٩

آداب النوم ١٠٤

آداب الصلاة ١٠٩

آداب الإمامة والقدوة ١١٩
آداب الجمعة ١٢٥
آداب الصيام ١٣١
ـ القسم الثاني : القول في اجتناب المعاصي ١٣٧
القول في معاصي القلب ١٦٣
ـ القسم الثالث : القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق والخلق ١٧٧
الخاتمة ٢٠١
« عقيدة الإمام الغزالي » ٢٠٣
الإلـهيَّات ٢٠٥
التنزيه ٢٠٦
الاستواء ٢٠٦
القدرة ٢٠٨
العلم ٢٠٨
الإرادة ٢٠٩
السمع والبصر ٢٠٩
الكلام ٢١٠
الأفعال ٢١١
النبوَّات ٢١٣
السمعيَّات ٢١٤
السؤال ٢١٤
عذاب القبر ٢١٤

الميزان ٢١٤
الصراط ٢١٥
الحوض ٢١٥
الحساب ٢١٥
البعث ٢١٥
الشفاعة ٢١٦
فضل الصحابة ٢١٦
فصل : في وجه التدريج والإرشاد ، في ترتيب درجات الاعتقاد ٢١٧

❁ ❁ ❁

خواتيم النسخ الخطية ٢٢٠
أهم مصادر ومراجع التحقيق ٢٢٣
محتوى الكتاب ٢٣٨

❁ ❁ ❁